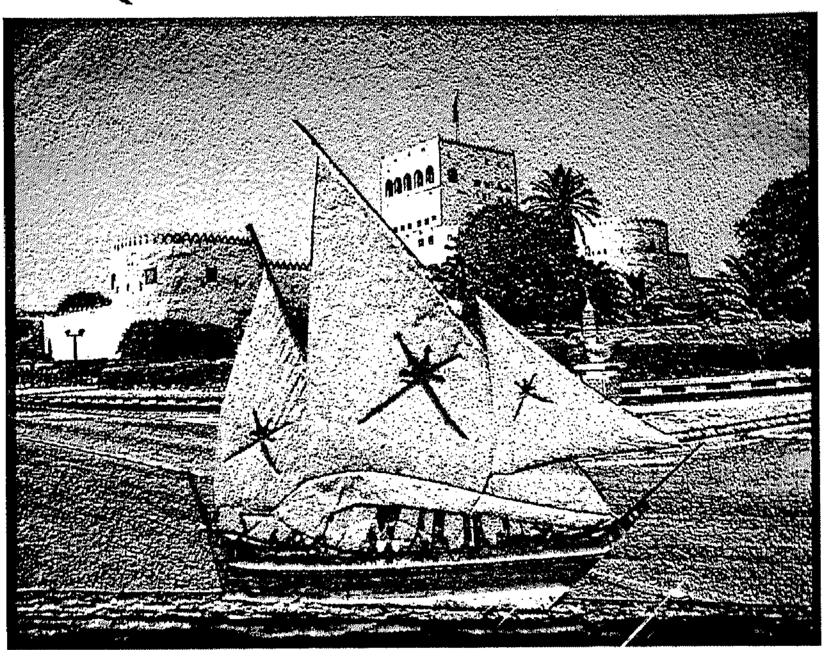




صحار عبر التاريخ



حصاد الندوة التي أقامها المنتدى الأدبي في صحار

الفترة من: ٢٨ ـ ٢٩ محرم ١٤١٨هـ . الموافق: ٤ ـ ٥ يونيو ١٩٩٧م

الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م

اهداءات ٢٠٠٢
السفير فتحي الجويلي
دمنهور



صحار عبر التاريخ

حصاد الندوة التي أقامها
المنتدى الأدبي في صحار

الفترة من: ٢٨ إلى ٢٩ محرم ١٤١٨هـ
الموافق: ٤ إلى ٥ يونيو ١٩٩٧م

الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م



هذا الاصدار:

نحمدك اللهم حمدا كثيرا طيبا مباركا، ونصلي ونسلم على أفضل الخلق سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبع هديه بإحسان الى يوم الدين وبعد..

فقد كان من البديهي بمكان ان تحتل المدن الإسلامية عبر التاريخ مكان الصدارة في دراسات الدارسين وبحوث الباحثين، الا انه من المؤسف اننا لم نجد من بينهم من أولى عناية خاصة بحواضر عمان ومدنها بل ان تاريخ عمان وبشكل عام قوبل بشيء من عدم الاهتمام والانصاف من قبل العديد من المؤرخين والجغرافيين لظروف لا داعي لذكرها، مما يلقي على كافة المؤسسات العلمية والثقافية بالسلطنة مهمة انسانية وذلك باعادة النظر في صياغة تاريخنا الناصع بشكل عام وتاريخ مدن عمان وحواضرها ذات الثوابت الحضارية والفكرية والإنسانية والتي كان لألقها الثقافي وتأثيرها الاجتماعي والاقتصادي حضوره الفاعل والمتميز والمؤثر بالحوافز على الساحتين المحلية والعالمية منذ عصور ما قبل التاريخ.

واعتزازا بهذا الدور الرائد الذي اضطلعت به حواضرنا وتقديرا للمهمة الوطنية والعلمية الملقاة على عاتق الاجيال الحاضرة والمستقبلة، فقد حرصت وزارة التراث القومي والثقافة ممثلة في المنتدى الأدبي على منح تلك المدن العناية والرعاية والاهتمام. وذلك عبر الندوات العلمية والثقافية التي يشارك فيها نخبة من المؤرخين والباحثين المتخصصين للعمل على ابراز اهميتها ومكانتها التاريخية والجغرافية وبما تستحقه من دراسات جادة عميقة وموضوعية تثري المكتبة العمانية والعربية وتنقل بأمانة البصمات المتميزة والاشعاعات المضيئة لهذه المدن عبر التاريخ.

والله والي التوفيق،،،

صحار بين التاريخ والآثار

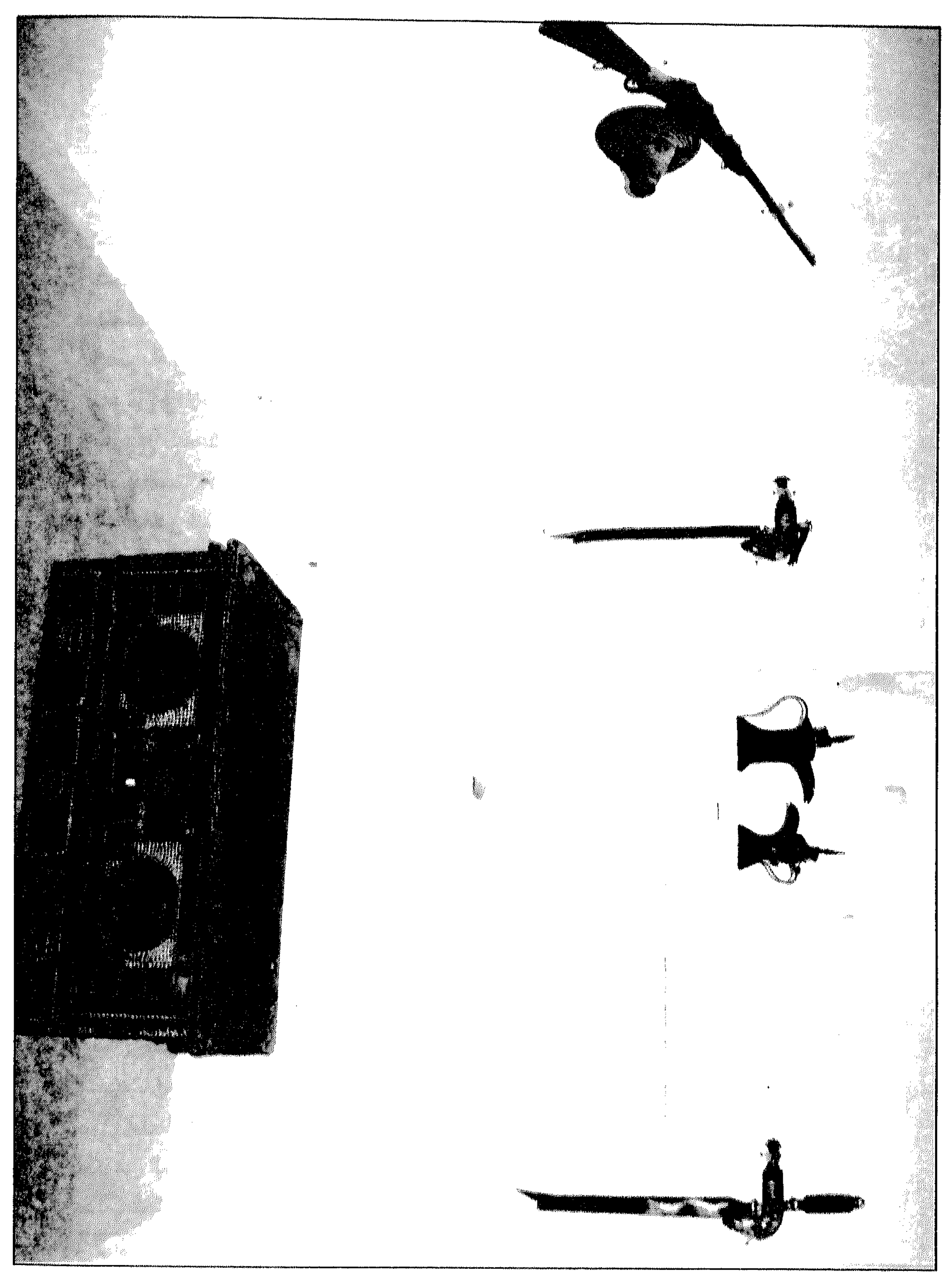
أ.د. معاوية ابراهيم
رئيس قسم الآثار - جامعة السلطان قابوس

تركز محاضرة معاوية ابراهيم المزودة بالشرائح والوسائل الايضاحية الاخرى على الموضوعات التالية:

* صحار وأهمية موقعها الجغرافي.
* صحار في المصادر التاريخية: العهد الساساني: صحار عاصمة عمان، صحار كمدينة ومركز تجاري، صحار وعلاقاتها الخارجية، صحار في كتابات ابن حوقل والاصطخري والمقدسي وآخرين.
* تاريخ البحث الأثري في صحار.
* المخلفات الأثرية في صحار والمواقع المتصلة بها.
* المصادر التاريخية ومدى مطابقتها مع الشواهد الأثرية في صحار.
* الشواهد الأثرية وبعثة جامعة هارفرد.
* الشواهد الأثرية وأعمال البعثة الفرنسية.
* صحار واستخراج النحاس وتصديره: مناجم عرجا، مناجم الاصيل، مناجم بيضا.
* قلعة صحار.
* اقتراحات بشأن حصر المواقع والمعالم الأثرية في صحار.
* الموازنة بين تنمية المدينة والمحافظة على تراثها.
* اقتراحات بشأن أعمال التنقيب والصيانة والترميم في صحار والمواقع المجاورة لها.

*الحضور الكرام يسعدني ان اكون بكم ومعكم في هذه الأمسية، ولنتحدث حول مدينتكم ومدينتنا صحار العربية هذه المدينة التي استقطبت الباحثين والعلماء من مختلف بلدان العالم، ويؤسفني أن اقول ان غالبية الدراسات الأثرية التي اجريت حتى الآن في صحار وحول صحار هي من المختصين، وبدأت هذه الدراسات بالبعثة الدنماركية في مستهل السبعينات باشراف باحثة دنماركية اسمها كارين فريفلت هذه الباحثة التي اجرت دراسات حول صحار لتتعرف على بيئة صحار ومقوماتها الزراعية والعمرانية، وكشفت النقاب عن عدد من المواقع والمواضع التي تعود بتاريخها إلى نهاية الألف الثالثة ق.م وكثير منها في صلب الثالثة ق.م بما في ذلك مواقع سكنية واعداد كبيرة من المرافق، التي وجدتها باعداد

* المحاضرة كما تم رصدها عبر تسجيل الفيديو الخاص بالندوة.



كبيرة شاخصة تمثل هذه الحقبة المزدهرة أيضا من تاريخ عمان.

وتلا كارين فريفلت بعثة من جامعة هارفرد الأمريكية باشراف مختصة يبدو ان النساء هن أكثر اهتماماً بصحار من الباحثين الاجانب خاصة.

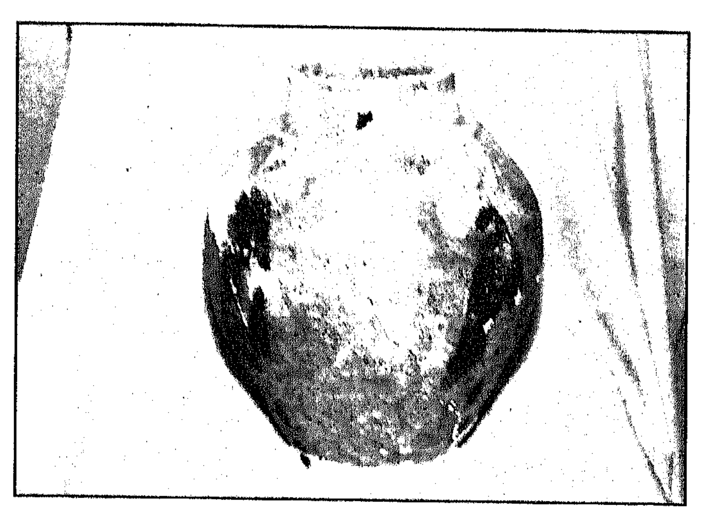
لكن هذه ايضاً باحثة جادة جاءت الى عمان من جامعة هارفرد الأمريكية ايضاً في السبعينات اسمها بياتريس لوكابي وكان معها مختص بالآثار الاسلامية مختص متميز وضع الأسس الأولى لتصنيف الخزف الإسلامي الذي وجد في عمان واسمه دونل كامب وقد وضع أول دراسة حول هذا التصنيف.

وبعد ذلك جاءت باحثة فرنسية اسمها مونيك كارفران من المركز الوطني للأبحاث الفرنسية وهذه الباحثة من الذين جاءوا منطقة الخليج العربي وتعرفوا على معالمها الإسلامية واجرت تنقيبات في أكثر من موقع، ومعلوماتنا من داخل صحار مستمدة من تقارير هذه الباحثة التي اجرت حفريات ومجسات حول القلعة وداخل المدينة، وللأسف الشديد فان هذه السيدة لم تواصل أعمالها وانتقلت الى أماكن أخرى، وهي الآن* موجودة في باكستان وتجري حفريات هناك، هذه البحوث رغم قلتها مهمة للغاية وتكاد معلوماتنا أن تكون مقتصرة على نتائج هذه الأعمال.

عندما طلب مني الأخوة الكرام في المنتدى الأدبي وأنا شاكر لهم هذا الطلب ان اتقدم بمحاضرة حول آثار صحار اسميتها في البداية صحار بين المصادر التاريخية والمصادر الأثرية ولكنني اكتشفت فيما بعد إن من بين الحضور من هم أقدر مني على تناول الموضوع التاريخي والمصادر التاريخية وتحليلها وسأقصر عرضي في هذه الأمسية على ابرز (المخلفات الأثرية من داخل صحار ومن خارجها).

بالمناسبة الباحثة الفرنسية التي ذكرت اسمها قبل قليل هي التي قامت بتنظيم المتحف الموجود داخل القلعة – هذه الخارطة التي تشاهدونها في هذه الشريحة أيضاً من داخل المتحف تصور موقع صحار والاتصالات الخارجية (الدولية) آنذاك والتي كانت قائمة بين عمان والمراكز الحضارية الأخرى، وغالبية هذه الطرق كانت مسلطة نحو صحار أولاً ومن ثم تتجه نحو الخليج العربي وبلاد ما بين النهرين ومن ثم إلى بلاد الشام – وبالطبع لا يخفى عليكم جغرافية عمان وطوبوغرافيتها وكذلك موقع صحار في منطقة وسطية من الساحل العماني من منطقة الباطنة وكيف تصب الطرق الممتدة من الجبال نحو المدينة – هذه خارطة اخرى تبين لكم موقع صحار بالنسبة لعمان أو شبه الجزيرة العمانية وكذلك اتصالها مع مضيق هرمز وبوابة الخليج العربي – وهذه المواقع التي تشاهدونها على هذه الخارطة من شبه الجزيرة العمانية تعود الى الألف الثالثة ق.م وتشاهدون مدى كثافة هذه المواقع، وغالبية المواقع في حقيقة الأمر شهدت بداية للتحضر أو المدنية. وهناك مؤشرات واضحة

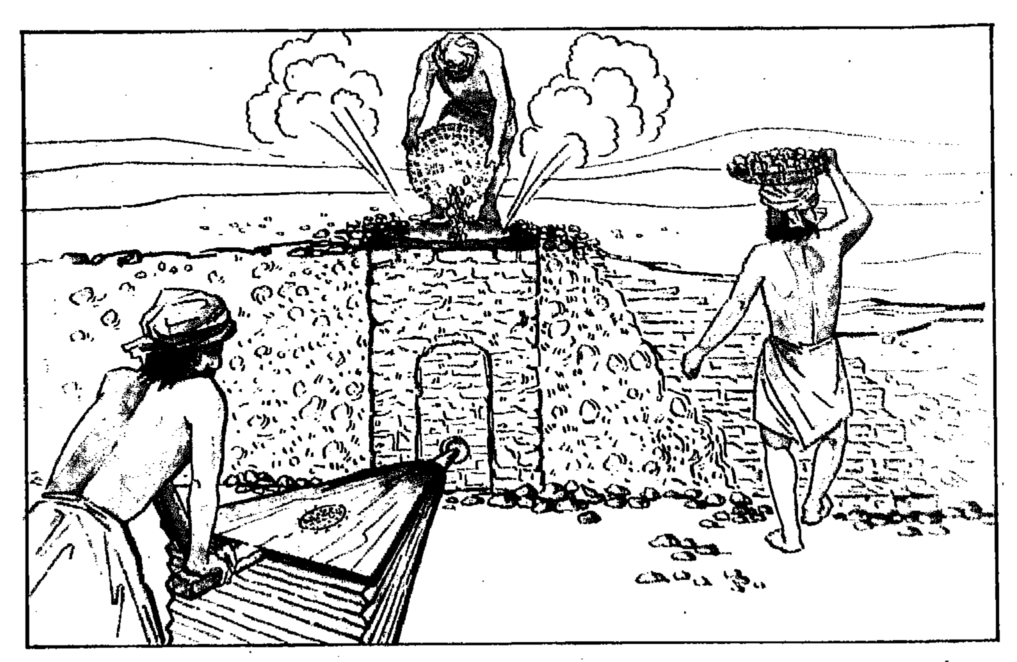
* حتى لحظة إلقاء المحاضرة في ندوة صحار.







بعض اللقى الاثرية - في صحار



على أن غالبية هذه المواقع إما انها كانت موانئ تجارية رئيسية موجودة على الساحل وإما انها كانت مدناً ومواقع زراعية مهمة لكن المهم في هذه الفترة، أو من مقومات هذه الفترة كانت مادة النحاس وهكذا عرفت عمان أكثر ما عرفت في المصادر المكتوبة التي وردتنا من بلاد ما بين النهرين بشكل خاص على انها ارض النحاس - وكان الدكتور سعيد الغيلاني مشكورا قد اشار بالأمس إلى أهمية صحار في المصادر الاسلامية خاصة المبكرة منها واعتذر عن قلة مصادر المؤرخين والرحالين الأوروبيين الذين جاءوا الى المنطقة.

وبعد ذلك اردت ان اضمّن هذه المجموعة بعض الصور التي وردتنا من هؤلاء الرحالين، ومن أوائلهم الرحالة الدنماركي كرستيان نيبور الذي وضع أول كتاب علمي عن رحلاته العلمية في الجزيرة العربية؛ هذا الكتاب؛ فعلا من الكتب التي تثمن وتلاحظون هنا مدى دقة هذا الرحالة الذي جاء الى المنطقة في القرن السابع عشر ووضع مجموعة من التقارير حول الجزيرة العربية، ووصف طوبوغرافيتها وطرقها وسكانها وعاداتها وتقاليدها - وهذه خارطة الادريسي الذي يذكر صحار هنا وكأنها المركز الرئيسي بعمان، وعمان وهذه الدائرة تحيط بصحار ومن ثم في هذه المنطقة موضحاً مناطق اخرى او مراكز رئيسية في الجزيرة العربية كمكة المكرمة ومنطقة نجد وكذلك عددا من المواقع الساحلية في الجزيرة العربية.

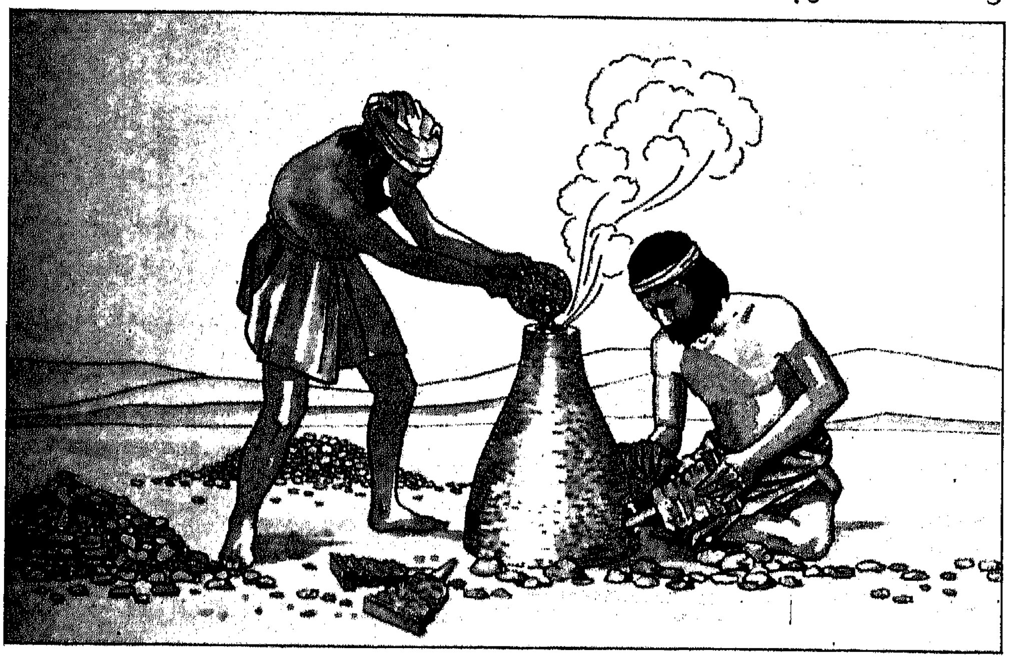
من خارطة الأدريسي ايضاً هذا المقطع الذي يجسد أرض عمان وكذلك صحار هنا ودما وعددا من المواقع الساحلية الأخرى مثل قلهات وصور.

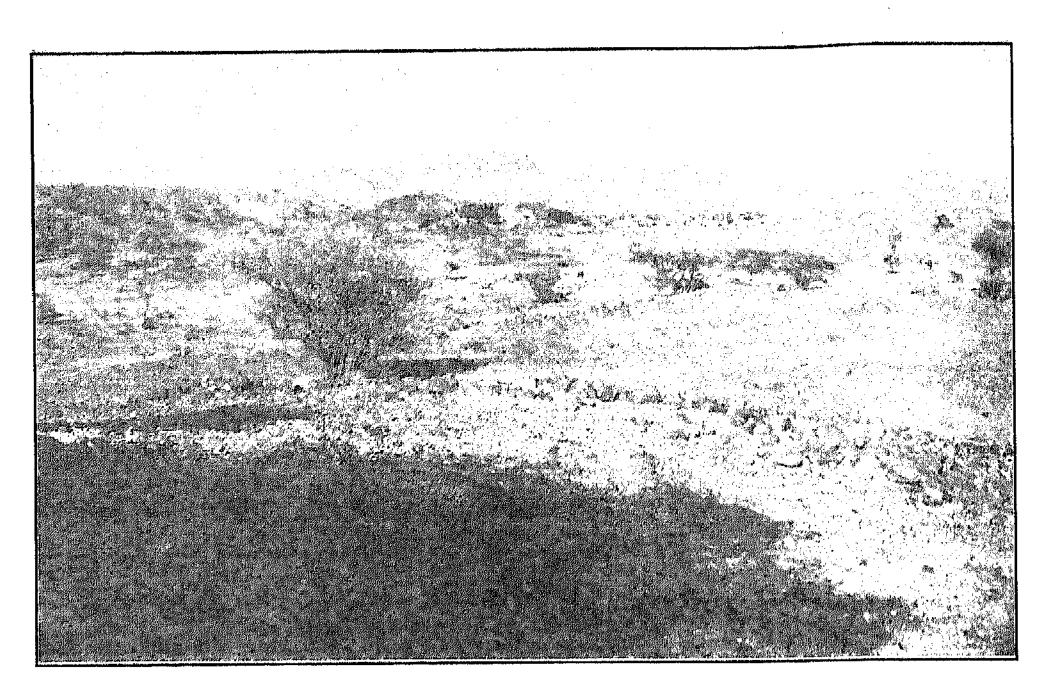
عدد من الرحالين ايضا تركوا لنا رسومات أو لوحات مصورة لصحار بما فيها الجميلة التي تعود للقرن السابع عشر الميلادي ونرى فيها القلعة وما تتضمنه من مبان اضافية الى السور الذي تتخلله مجموعة من الأبراج كما نشاهد اليوم.

قلنا ان المقومات الاقتصادية لازدهار عمان وبداية تكوين المدن فيها يرجع إلى حد كبير الى الناس الى السكان أولا وقدراتهم على استغلال الموارد الطبيعية ومن أهم هذه الموارد في تلك الفترة هو النحاس وهذا أحد مناجم النحاس الموجودة في الجبال المحيطة بصحار.

هذه الخارطة تبين لنا توزيع مناجم النحاس في عمان أو على الساحل العماني مجموعة كبيرة جداً الناظر الى الخارطة يستنتج مباشرة ان وراء هذه النهضة في الألف الثالثة قبل الميلاد كانت هذه المادة الرئيسية وهذه ليست جميع المناجم، ولكن هذه حصيلة ما توصل اليه المختصون في علم التنجيم والبحث عن المعادن بما في ذلك بعثة جامعة هارفرد والبعثة الألمانية من متحف بوخمن للتعدين الذي ارسل البعثات التي كانت مجهزة لدراسة هذا الموضوع.

مادة النحاس في فترة من الفترات أو في غالبية الفترات كان يحصل عليها من الطبقات العليا من الصخور خاصة في الصخور المعروفة بالافيوليت وكان المنجمون او مستخرجو النحاس يفتحون قنوات طويلة للحصول على عروق النحاس في الطبقات العليا بعد عمليات جلب النحاس وتجميعها كانت تدق وتصفى ومن ثم توضع في افران وهذه نوعيات من الأفران لصهر النحاس التي عرفت بشكل خاص في الفترات الإسلامية اللاحقة، سلسلة من الأفران متصلة على بداية المنحدرات وهناك تقنية عالية جداً لهذه الأفران تستحق الدراسة وللأسف انه لا توجد.





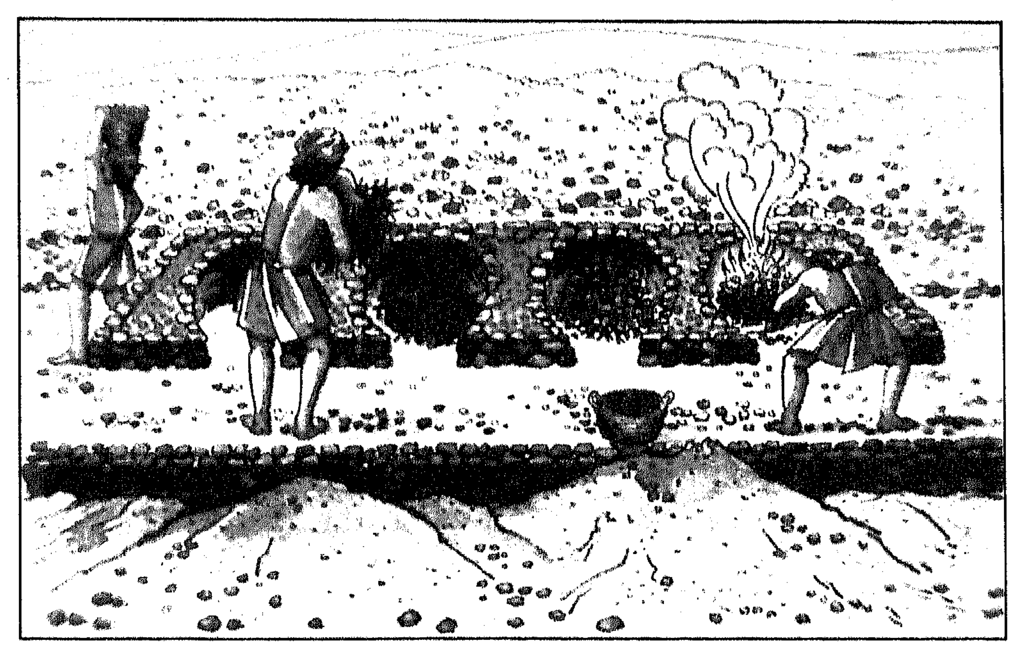
هذه بعض المدقات التي وجدناها لدق النحاس الخام وفرزه الأولي والتي كانت تدق على حجارة بازلتية من هذا النوع ومن ثم هذا النحاس المدقوق والمطحون كان يوضع في الأفران بهذه الطريقة التي كانت تغذى بالفحم وكذلك النار كانت تشعل من خلال الكور أو المنفاخ من الجانب والمساح او الرسام الموجود عندنا أعد هذا التصور للأفران التي تعرفنا عليها، في الحقيقة ان جامعة السلطان قابوس قامت بدراسة بعض هذه المواقع خاصة التي تعود للفترات الإسلامية وقمنا بدراسة موقع في منطقة سمائل من هذه الفترة وهو مطابق تماماً لمناجم النحاس الموجودة حول صحار في بعض الأماكن كانت الأفران عبارة عن حفر غائرة في الأرض كما هو الحال في بعض الأفران التي وجدت في عرجا.

غالبية الأفران التي وجدت في عرجا حول صحار هي من النوع الذي يشبه حدوة الحصان وسلسلة الأفران المتصلة.

هذه بعض اكتشافات البعثة الألمانية لبعض قوالب النحاس التي كانت تجلب إلى الموانئ على الدواب وتصدر من صحار وهنا أود ان اؤكد ان كل الانتاج من النحاس كان يأتي الى صحار في تلك الفترة مما يعني ان العملية كان يجب ان تكون مركزية للسيطرة على انتاج النحاس ولتصديره حتى يكون مربحا او مجزياً الى حد كبير.

وأبو جعفر الأزكوي يذكر لنا بشيء من التفصيل عن العقود التي كانت توقع بين اصحاب الأرض واصحاب المناجم وكذلك الذين يشرفون على عملية الانتاج وواضح من خلال النصوص وكذلك من طبيعة المواقع السكنية التي كشفنا عنها ان عمال المناجم لم يكونوا من العشائر المحليين وإنما كانوا قادمين من مناطق أخرى وهذه يطول البحث فيها، أكثر ما يميز مواقع

النحاس وأسهل شيء للتعرف على مواقع النحاس هو الغابات التي عادة توجد بكميات كبيرة لاننا نأخذ بعين الاعتبار ان حوالي ٩٠٪ من المواد المستخرجة من النحاس الخام هي النفايات ومن خلالها نستطيع ان نتعرف على النفايات الموجودة في كل موقع من المواقع - أيضاً تعرفنا على الأماكن التي كان يعيش فيها المنجمون أو منتجو النحاس، هذه من خلال حفرياتنا في موقع بالقرب من لزغ في وادي سمائل موقع اسمه وادي الصفافير، دراسة هذه المواقع السكنية في منتهى الجاذبية ومنتهى الأهمية، تبين لنا مدى تأقلم هؤلاء مع المنطقة وواضح بأن المواقع السكنية في بعض المناجم أو مواقع البحث عن النحاس كانت مؤقتة حيث تجري في مواسم معينة، وكانت هناك عائلات تستقر ليسوا فقط عمالا؛ وجدنا المقابر بالقرب من المواقع السكنية. المقابر هذه كانت تضم رجالا ونساء وأطفالا وغير ذلك مثلاً هذا الحي السكني لموقع التعدين في موقع عرجا القريب من ضواحي صحار، هذا الذي كشفت عنه البعثة الألمانية النحاس لم يكن فقط يصدر كمادة صلبة تامة الى المناطق الأخرى وإنما كانت هناك منتجات نحاسية أيضاً على نطاق واسع منذ الألف الثالثة قبل الميلاد وحتى العصور الإسلامية، ومن هذه المنتجات كانت الأسلحة والسيوف والخناجر وكذلك رؤوس الرماح والحُلي - هذه بعض الأمثلة من الأسلحة ايضا - هذه مجموعة من رؤوس السهام، هذه بعض الأواني النحاسية التي تعود للألف الثانية ق.م وكذلك بعض الحُلي المصنوعة من النحاس ومن ينظر الى هذه الحُلي ويتذكر الحُلي الفضية التي يتعامل معها العمانيون حتى الأن تذكرنا بها الى حد كبير، أيضاً هذه الصناعة استمرت حتى وقتنا الحاضر واردت ان اورد بعض الأمثلة من المنتجات النحاسية العمانية في وقتنا الحاضر.

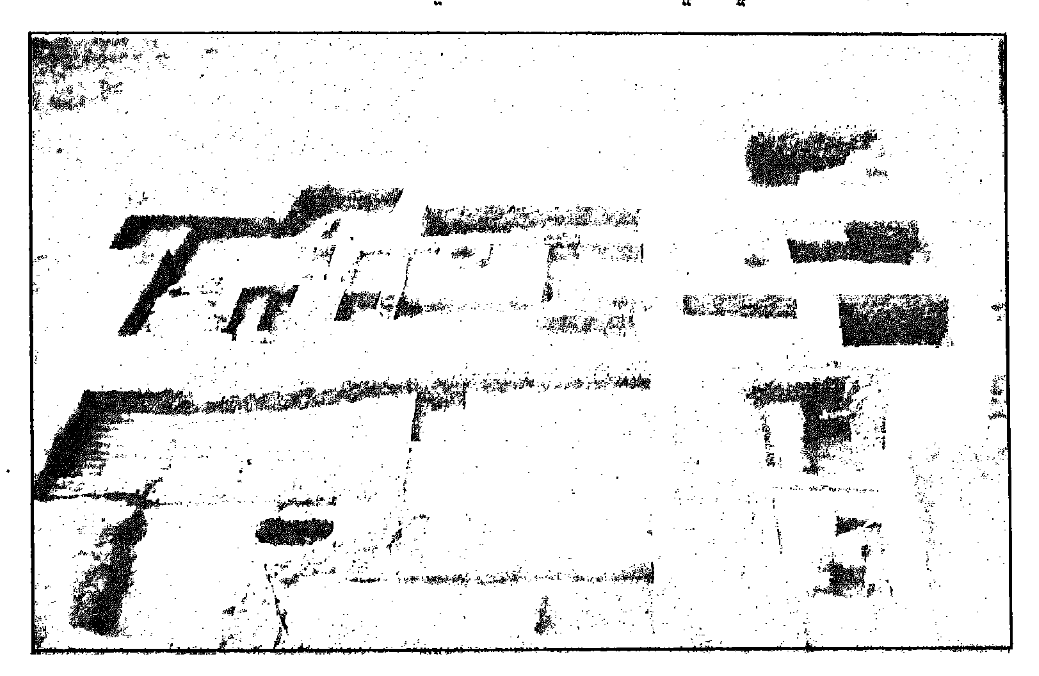




عودة الأن الى الخارطة والى صحار مرة أخرى، وهنا صحار وموقعها الجغرافي الهام بين واديي الجزي وسومر، وكذلك الطريق الرئيسي الذي يخترق وادي الجزي باتجاه البريمي، وفي هذه المنطقة تتركز مجموعة من مناجم النحاس مثل الاصيل وعرجا وبيضا، وهذه التي جرت فيها مجموعة من الدراسات من خلال الباحثين الذين اشرت اليهم؛ ايضاً اشار بعض الزملاء إلى أن صحار ليست موقعا محصنا وانما صحار كانت ترتبط بشكل واضح بالمواقع السكنية والتحصينات الموجودة في بداية المرتفعات ومن هذه التحصينات حورا برغا التي ايضا قامت بدراستها الباحثة الفرنسية مونيك كارفا بالاشتراك مع باحث امريكي اسمه فريدرك فريفلت من جامعة بنسلفينيا وهذه الباحثة الفرنسية قامت بوضع مجسات بالقرب من القلعة وكذلك بوسط المدينة القديمة وللأسف هذه المجسات كانت عبارة عن حفر صغيرة استطاعت من خلالها التعرف على الطبقات المتعاقبة التي مرت على صحار ولم تعطنا معلومات عن امتداد هذه الطبقات، ومثل هذه الدراسة تحتاج إلى وقت طويل وحبذا لو كان هناك توازن بين نمو المدينة وتطورها والمخلفات الثقافية فيها؛ لكن الدراسات التي اجريت بالمدينة نفسها هذه مثلا منطقة القاعة وهذا امتداد المدينة في الوقت الحاضر وهذا امتداد المدينة في ما بين القرن الرابع والقرن العاشر الميلادي، نلاحظ ان المدينة في تلك الفترة كانت اوسع مما هي عليه الآن او من مساحة المدينة في الوقت الحاضر، نلاحظ ايضا وجود طورين هنا ومجموعة من المرافق الصناعية المهمة هنا كانت أفران لصهر النحاس هنا كانت أفران لصهر الحديد وفي الجانب الآخر الى الجهة الشمالية كان يوجد مصنع للطوب أو الطابوق، حيث كان ينتج في المدينة على نطاق واسع.

هذه مرة اخرى نتيجة دراسات بعثة أخرى تبين الاخوار وكذلك أماكن صهر النحاس والحديد واماكن استخراج الصلصال الذي كان يستعمل لصناعة الطابوق.

ايضا هناك دراسات أولية حول المقومات الزراعية حول مدينة صحار ومدى أهميتها في ازدهار المدينة، هذه صور حديثة لقلعة صحار والاراضي الزراعية وبعض الأحياء السكنية من حولها. هذه صورة جوية تبين لنا القلعة وأماكن الحفريات التي اجرتها البعثة الفرنسية باشراف مونيك كريفلت وهذه فقط تفصيل للقلعة. هذه صورة حديثة. هذه صورة تبين القلعة وبعض الجدران التي كشفت عنها البعثة والتي تعود في جزئها الأسفل الى الألف الأولى ق.م واستمرت حتى العصور الاسلامية المبكرة، في الفترات التي تسبق العهد الإسلامي عبارة عن اربع طبقات رئيسية، هذه شريحة تبين امتداد هذه الطبقات التي تبدأ بالعهد الفارسي أو الغرثي المبكر وتستمر حتى العهد الساساني ومن ثم تأتي الطبقات الإسلامية، هذه الطبقات استطاعوا ان يعرفوها من خلال عينات من الفخار ومن خلال بعض قطع النقود ومن خلال بعض قطع الزجاج لكن أهم اداة بيد الأثريين لعملية التأريخ هو الفخار لأنه اصبح لديهم معرفة جيدة لمميزات كل فترة من الفترات الزمنية وهذا الذي نسميه المرحلة رقم (١) في صحار، هذه المرحلة الثانية وكذلك المرحلة الثالثة ومن ثم المرحلة الرابعة وهذه هي التي تسبق العهد الإسلامي مباشرة.



مداخلات

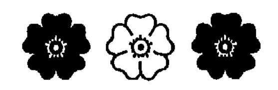
الاضافة الاولى: دارت حول النفق الذي يؤدي الى حورابرغا من قلعة صحار وهذا النفق مقسم الى سبعة انفاق وواحد من السبعة هو الوحيد الذي يمكن الحصول فيه على الاكسجين والستة المتبقية صممت بطريقة تضلل الاعداء من الوصول للهدف.

تعقيب الباحث على الاضافة: هناك مصادر تذكر هذا النفق بأنه يوصل الى حورابرغا وهم يذهبون على الخيل وليس على ارجلهم، وأنه متسع جدا من الداخل ويقال ان آثار الخيل ما زالت موجودة في حورابرغا الصحارية.

المداخلة الاولى : دارت حول طبيعة المساكن الصحارية وفيما إذا كان بعضها من السعف؟.

رد المحاضر: دلت حفريات البعثة الفرنسية حول القلعة ان البيوت كانت مصنوعة من الآجر /الطابوق الاحمر والذي كان يستخرج من صحار ويصنع فيها، واما بيوت

السعف
فكانت في الفترات
التاريخية المتأخرة والتي اشار اليها
كريستين نيبوويلستيد ومايلز ومن بعدهم.
المداخلة الثانية: دارت حول العاملين في
المناجم الصحارية؟
رد المحاضر: ان عمال المناجم هؤلاء ليسوا من
القبائل المستقرة في المنطقة نفسها (عرجا - الاصيل)
وانما كانوا مستقرين في اماكن منزوية بعض
الشيء من البلدات والمدن العمانية؛ هناك بعض
المراجع لبعض المؤرخين العرب والاجانب تشير
الى ان العمانيين كانت لهم نظرة دونية
لبعض الحرف وبالقرب من بعض اماكن
تصنيع النحاس وجدت بعض المذابح
لنوع من الطقوس المرتبطة
بعبدة النار.



صحار في كتابات الجغرافيين والمؤرخين

إعداد: الدكتور/ سعيد بن محمد الغيلاني
قسم التاريخ - كلية الآداب
جامعة السلطان قابوس

التسمية:

صُحار، بالضم، وآخره راء، قصبة عمان مما يلي الجبل[1] وتوام قصبتها مما يلي الساحل، مدينة طيبة الهواء والخيرات

سميت بصحار نسبة إلى صحار بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام[2].

وهي تقع على خليج عمان على خط عرض ٢٤- ٢٢ شمالاً وخط طول ٥٦-٤٥ شرقاً[3].

كانت صحار كما ذكر ياقوت الحموي قصبة عمان، وهي مدينة قديمة جدا وعند ظهور الإسلام كانت مركزا تجارياً هاماً ثم ازدادت أهميتها بعد الإسلام.

ولقد ذكر المسعودي عندما تكلم عن عمان ان عاصمتها تسمى (سنجار) وهو يعني صحار، كما أشار الى ان الفرس كانوا يسمونها مزون[4].

والرأي عندي* بأن مزون اسم قديم أطلق على عمان، كما ذكرت كتب التاريخ العمانية إضافة إلى اسماء أخرى عرفت بها عمان قديما منها (مجان) و(الغبيراء) وهو الاسم الذي اطلقه عليها رسولنا الكريم محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم.

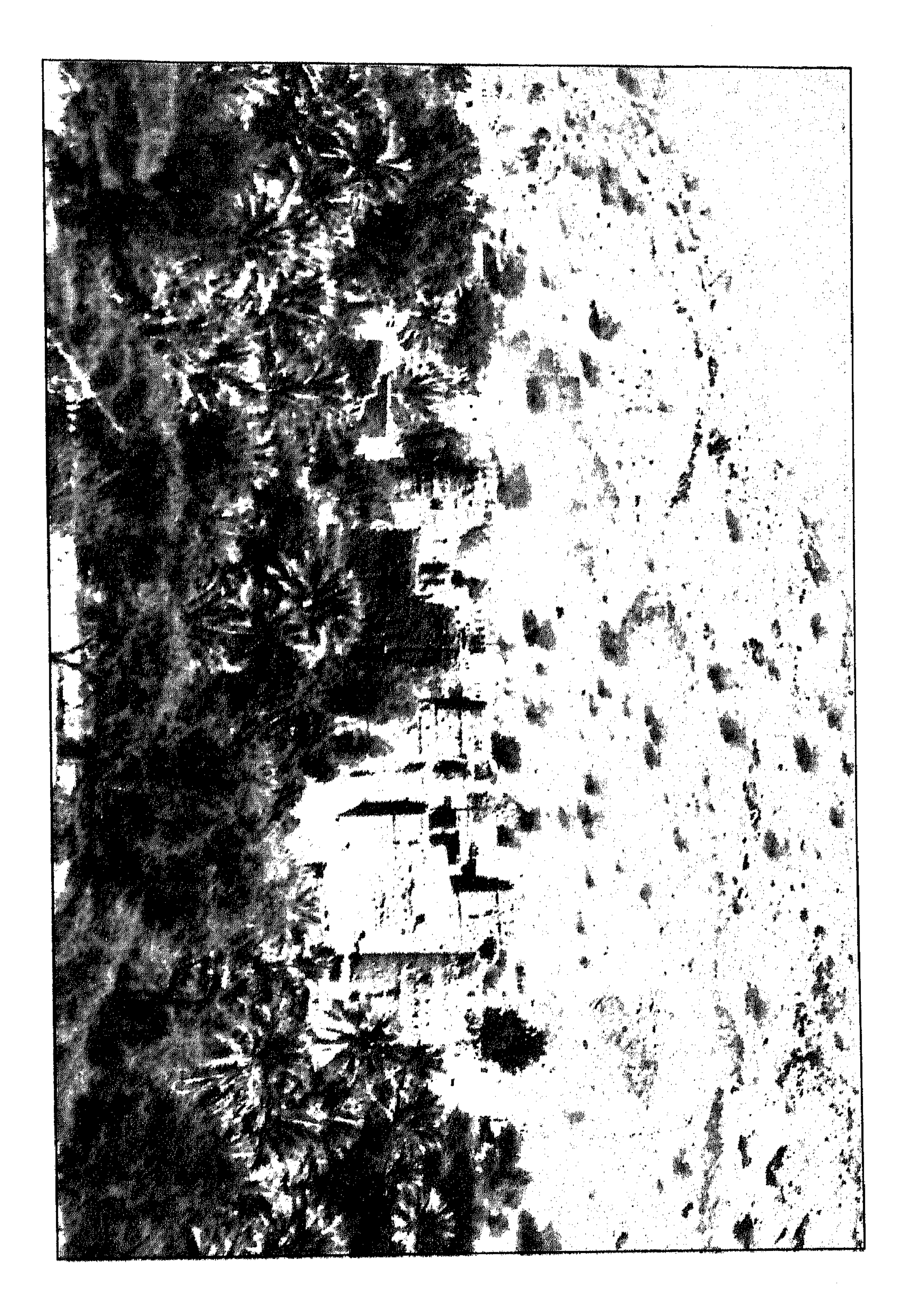
ومن أسماء صحار القديمة «دستجرد» وان اسم صحار حديث، ولكن النسابة العماني الصحاري، سلمة بن مسلم العوتبي، ذكر في كتابه الأنساب ان دستجرد هذه المدينة من ضمن مدن صحار، وذكر ان العجم بنتها في تلك الفترة[5].

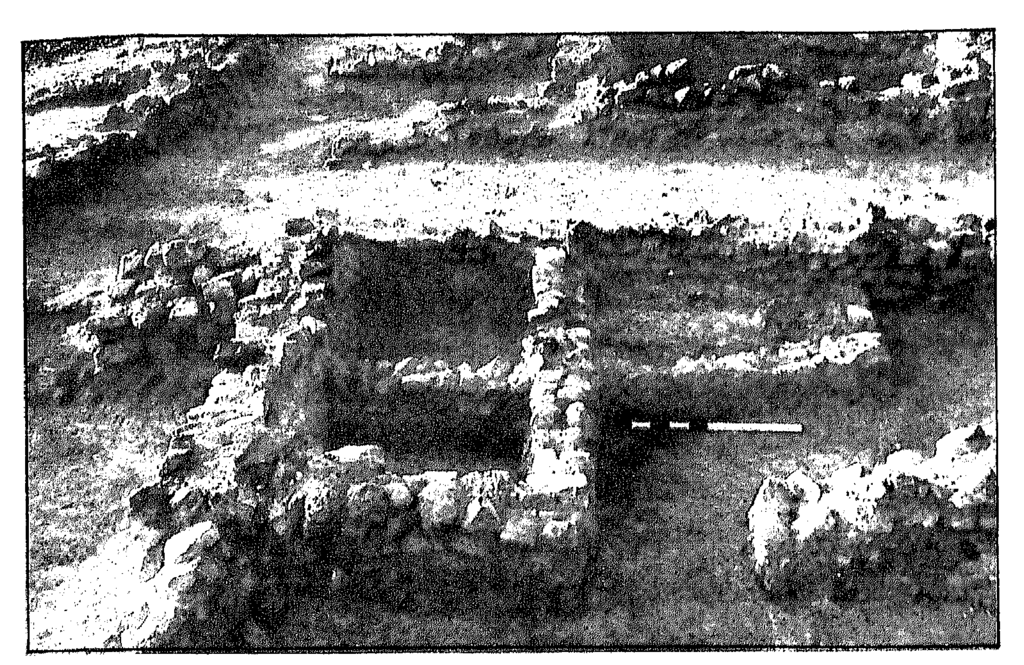
كانت مدينة ذات شهرة و اسعة، وكانت عاصمة لعمان في تلك الفترة وكان ملوك عمان من آل الجلندى يغلب عليهم هذا الاسم حيث ذكر ان «الجلندى بن المستكبر» هو الذي كان يأخذ العشور ممن يقصد سوق صحار في تلك الفترة[6].

اما عن اهميتها فهذا شيء لا يختلف عليه اثنان خاصة ونحن نتتبع ذلك من خلال ما تركه لنا الجغرافيون والرحالون الاقدمون، خاصة الذين، زاروا عمان في الماضي، ومنهم الرحالة (الهمداني) الحسن بن أحمد بن يعقوب وهو من رجال القرن الرابع الهجري، فعندما زار عمان ذكر «ان كورتها العظمى صحار»[7].

كانت هذه المدينة قبل الإسلام يقام بها سوق من أسواق العرب المعروفة في العصر الجاهلي، وكما هو معروف كان للعرب أسواق متفرقة في السنة الواحدة، وكانت تقام بصفة

* الباحث.





دورية في أجزاء معروفة ومحددة من جزيرة العرب، وكانت لكل سوق من هذه الأسواق وظائف محددة في توفير مستلزمات المنطقة التي تحيط بها السوق، وكانت هذه الأسواق تعقد بصفة دورية(٨) وفيها يجتمع سائر الناس آمنين على دمائهم وأموالهم وغالبا ما كانت تقام بقرب المراكز الحضرية، كما كان النشاط فيها لا يقتصر على البيع والشراء بل كانت أيضا بمثابة مهرجانات أدبية اجتماعية كسوق عكاظ مثلا.

ومن المعروف ان أسواق العرب كما ذكرها اليعقوبي هي «سوق المشقر» ويقام في جمادى الأولى، وسوق «صحار ويقام في رجب، ثم يرتحلون منه الى سوق دبا ويعشرهم آل الجلندى في هذين السوقين، ثم سوق شحر فعدن وصنعاء، فالرابية (بحضرموت) وعكاظ في ذي القعدة وسوق المجاز(٩).

ويذكر سعيد الأفغاني بان كلاً من سوقي صحار ودبا كانتا خاضعتين قبل الاسلام للنفوذ الفارسي(١٠).

وكانت أسواق عمان تتمتع بخصوصية عن الأسواق السابقة، بحكم موقعها على البحر، ولم تكن تقتصر على العرب، وانما كان يجتمع فيها تجار من الحبشة والهند والصين وفارس وغيرها من البلدان(١١).

أما عن سبب قيامها في شهر رجب، يعني ذلك ان يقام السوق في هذا الشهر يغنى صاحبها عن الحماية «لأنه من المعروف ان شهر رجب كان من الأشهر الحرم».

اما في العصر الإسلامي، فقد ازدادت أهمية هذه المدينة العظيمة وبلغت مكانة رفيعة حتى القرن الرابع الهجري، حيث كانت صحار بعد الإسلام هي المركز الرئيسي للادارة

والملاحة والتجارة.

ومن المعروف ان رسول الرسول الكريم، وفد على ملكي عمان عبد وجيفر في صحار حيث كانا يقيمان بهذه المدينة، قد اشار السالمي في تحفته أن أول موضع دخله ابن العاص بعمان «دستجرد» وهي مدينة تابعة لصحار[١٢].

وهنا يجب ان نتوقف قليلاً أمام هذه الحادثة لكي نسلط الضوء على الوضع الديني في عمان قبل الإسلام، والتعرف على أهم الديانات التي كانت سائدة في عمان قبل الإسلام.

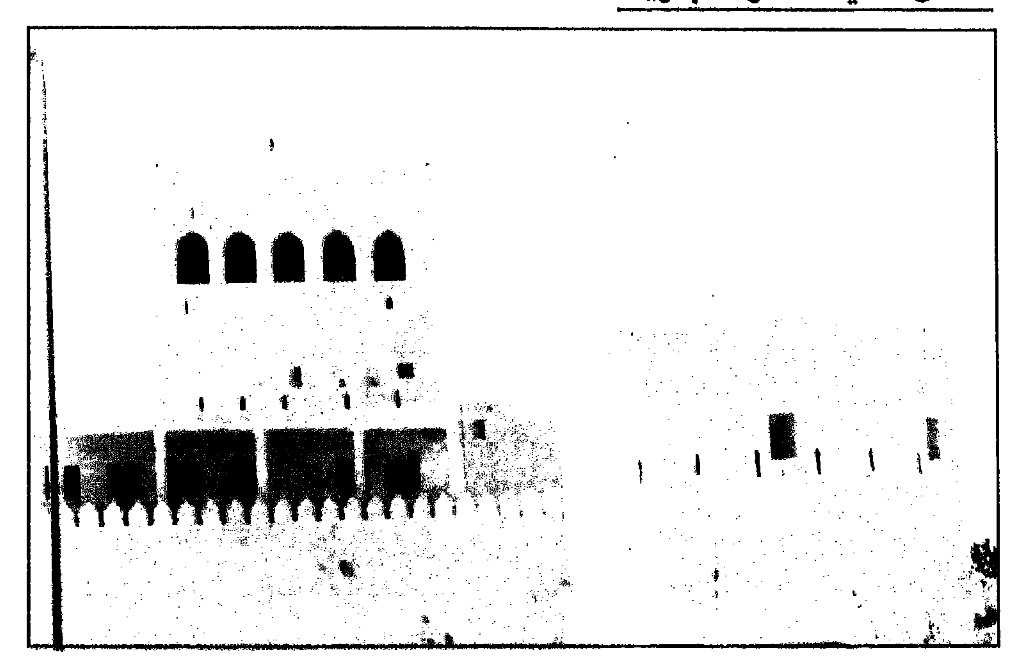
أشار البلاذري في كتابه فتوح البلدان، ان الأغلبية على عمان كانت الأزد وبها جالية فارسية كبيرة[١٣].

فمما لاشك فيه ان سكان هذه البلاد، كانوا قد عرفوا الكثير من الديانات التي انتشرت في ذلك الوقت، خاصة إذا علمنا ان عمان عامة وصحار خاصة كانت مناطق جذب، لذا كان يلتقي بها الكثير من الاجناس مع الحضارات المختلفة.

وذلك بحكم شهرتها التجارية، وساعد هذا الانفتاح على الشعوب المختلفة التأثير والتأثر بها، لذا عرفت هذه البلاد الكثير من عادات ومعتقدات تلك الشعوب.

لذا عرفت البلاد عبادة الأوثان «او الاصنام» وكان من أصنام الأزد المعروفة «مناة وذي الخلصة – وعائم»[١٤] وهذا بالاضافة الى صنم ناجر أو باجر الذي كانت تعظمه قبائل طي في سمائل[١٥].

اما عن أهمية صحار التجارية:



مما لاشك فيه ان هذه المدينة كانت قد شهدت تطوراً كبيراً في التجارة في العصر الاسلامي الأول، ولقد أشار الى ذلك الرحالون والجغرافيون المسلمون الذين زاروا هذه المدينة، وسجلوا لنا مشاهداتهم وانطباعاتهم عنها، وللأمانة أرى انهم اعطوها حقها في ذلك، حيث انهم مدحوا وأطنبوا في مدحهم، وبالطبع فإن ذلك لم يأت من فراغ، فهم كانوا يصفون مشاهداتهم من خلال رحلاتهم المتعددة إلى الأماكن التي كانوا يزورونها.

وقبل ان أشير إلى ذلك، لا بد لنا ان نتعرف على ما ذكروه لنا، واعترف بانني لا استطيع تتبع كل ما كتب عن هذه المدينة العريقة.

وفي الحقيقة ان هذا الاهتمام كان يراودني أثناء دراستي، وكان مبعث ذلك ما وقع تحت نظري من كتابات عن هذه المدينة وكلها تجمع على أهمية وعظمة صحار.

وسأورد بعض ما كتبه هؤلاء عن صحار التاريخ، علما بأن الجغرافيين المسلمين أشاروا في مؤلفاتهم إلى أهميتها التجارية وعلاقتها بالمراكز الأخرى مثل الصين والهند وشرق افريقيا، واليمن وكذلك مع المدن الخليجية مثل سيراف والبصرة[١٦].

فذكر سليمان التاجر المتوفى سنة ٢٣٧ هـ في (سلسلة التواريخ) عن حركة السفن والمراكب التجارية من سيراف وهي من المدن المشتهرة في تلك الفترة بوصفها مركزاً تجارياً في زمن العباسيين، حيث كانت مركزا لتجارة الشرق وتستقبل السفن الكبرى والتي يتعذر دخولها دجلة.

كما يشير سليمان إلى ان منطقة عمان (صحار) كانت تنطلق منها سفن الهند والصين، ويشير إلى خطورة البحر عند جبال عمان، حيث يوجد بها الموضع الذي يسمى «الدردور» وهو مضيق بين جبلين «كسير وعوير» وفي العادة كانت السفن عندما تصل إلى صحار، حيث تتزود منها ثم تواصل مسيرها إلى مسقط، وبالتالي تكمل الرحلة إلى كولم ملى (ملبار) وأشار إلى ان السفن كانت تنقل الحرير إلى بلاد العرب.

ويشير أبوزيد الحسن بن اليزيد المتوفى في أوائل القرن الرابع الهجري في كتابه (أخبار الصين والهند) ان بلاد عمان كانت تشتهر بالربابنة والأدلاء لتزويد المراكب الصينية والهندية والعربية بهم.

أما عن علاقات عمان بجزر الشرق الأقصى فيقول بأن في جزيرة (كله) تجمع الأمتعة من الأعواد والكافور والصندل والعاج والرصاص والأبنوس والبقم (صبغ أو شجر يصبغ به) وهو لفظ معرب والأقاوية (يستخدم في الطيب) وهذه البضائع كلها تنقل من الجزيرة إلى عمان (صحار).

أما ابن خرداذبه (أبو القاسم عبدالله بن محمد المتوفى سنة ٣٠٠ هـ) فإنه يذكر لنا الطريق البري من البصرة إلى عمان: فذكر، ان الانتقال من البصرة إلى عمان - ثم الحدوثة، ثم إلى عرفجا، ثم إلى الزابوقة، ثم إلى المقر ثم إلى عصبى، ثم إلى المعرس ثم

إلى خليجه، ثم إلى حسان ثم إلى القرى، ثم إلى مسيلحه، ثم إلى حمص، ثم إلى ساحل هجر، ثم إلى العقير، ثم الى قطر، ثم إلى السبخه، ثم إلى عمان وهي صحار ودبا[17].

ولكن نظرا لكثرة السفن، فإن هذا الطريق البري وخاصة بين عمان والبحرين كان به الكثير من المشاق، كما يصعب سلوكه لتمانع العرب وتنازعهم فيما بينهم مما يهدد أمن الطريق كما ذكر ابن حوقل [18].

وأردت الاشارة الى ذلك حتى نسجل هذا في مجمل حديثنا عن صحار كما ورد في المصادر الجغرافية، ولنثبت ذلك كما ورد في المصادر.

اما الاصطخري المتوفى سنة ٣٤٠ هـ فيذكر في كتابه (مسالك الممالك) ان قصبة عمان فهي صحار، وتقع على البحر، وبها متاجر البحر، وتقصدها المراكب وهي أعمر مدينة بعمان، وأكثرها مالا، ولا تكاد تعرف على ساحل البحر بجميع بلاد الإسلام مدينة أكثر عمارة ومالاً من صحار[19].

أما ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبي ت سنة ٣٦٧ هـ) يصف عمان انها ذات اقليم مستقلة بأهلها فسحة، كثيرة النخيل والفواكه الجرموية من الموز والرمان وغيرها.

وأشار إلى ان قصبتها صحار وهي على البحر، وبها من التجار والتجارة ما لا يحصى، كثرة وهي أعمر مدينة بعمان، وأكثرها مالاً ولا يكاد يعرف على شط بحر فارس (الخليج العربي) بجميع الاسلام مدينة أكثر عمارة ومالاً من صحار وذكر ان حدود أعمالها ثلاثمائة فرسخ، وكان الغالب عليها الشراة.

اما المقدسي (شمس الدين أبو عبدالله الشامي) المتوفى سنة ٣٧٥هـ، فقد ذكر ان صحار قصبة عمان، ليس على بحر الصين بلد أجمل منها، وبالطبع فإن هذا الوصف يعطينا صورة واضحة عما بلغته صحار من رقي وتطور وشهرة ومكانة في تلك الفترة.

. ويصف أسواق صحار بانها عجيبة، حيث انها تحوي خيرات زبيد وصنعاء، فضلا عن خيرات الهند والصين، ولذا فانها في نظره خزانة الشرق والعراق – ودهليز الصين – ومغوثة اليمن، وبهذه العبارات يؤكد المقدسي على أهميتها التجارية العظمى التي جعلت منها خزانة تحتوي على كل اصناف المتاجر.

أما بالنسبة لشكل المدينة، أوضح ان منازلها على درجة عالية من الجمال حيث بنيت بالآجر (الطين المحروق – القرميد) والساج والطين.

في حين كان مسجدها قد بني على أحسن وجه حيث ان محرابه كان به لولب يدور ويتلون بعدة الوان، هذا مما يوضح لنا مستوى الرقي والتقدم الذي بلغته صحار في تلك الفترة[20]

أما الأدريسي (أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن ادريس الادريسي الحسني – الطالبي المتوفى سنة ٥٦٠ هـ).

فيذكر عن صحار انها على ضفة الخليج وانها من أقدم مدن عمان، وأكثرها أموالاً قديما وحديثا «بالطبع يتكلم عن الفترة التي عاش فيها».

ويقصدها التجار في كل سنة ما لا يحصى عددهم، واليها تجلب البضائع من اليمن ويتجهز منها بأنواع التجارات، وأحوال أهلها واسعة جدا، ومتاجرها مربحة[٢١].

أهم السلع التجارية المستوردة والمصدرة:

كانت اهم الواردات إلى عمان يجلب معظمها من الهند والصين حيث كانت أهم سلعة تستورد من الصين هي «الحرير» الذي اشتهرت به هذه البلاد منذ القدم[٢٢].

ولكنه كان قليل الاستعمال في البلاد العربية قبل الاسلام، وكانت له بعد ذلك سوق رابحة بالرغم من ارتفاع أسعاره[٢٣].

ويذكر ان تاجرا كان يعمل بالتجارة في عمان ثم غادرها سنة ٩١٢هـ (أوائل القرن الثالث الهجري) نتيجة لتشاجره مع تاجر يهودي أخر، ثم عاد إلى عمان بعد مرور حوالي ثلاثين عاما على ظهر سفينة تجارية، ومعه صفقة من الحرير تعادل مليون دينار وباع هذه البضاعة التي جلبها من الصين في مدينة صحار العمانية[٢٤].

وبالطبع من خلال ما سبق نستطيع ان نتبين حجم هذا السوق الكبير الذي كانت تجري فيه المعاملات المالية بالملايين.

اضافة إلى الحرير كانت البلاد تستورد العقاقير وآلات الصيادلة والعطور من مسك وزعفران، وبقم، فضلا عن الساج والعاج والديباج والجزع واليواقيت والابنوس والنارجيل والقند والاسسكندروس والصبر والحديد والرصاص والخيزران والخضار والبلور والفلفل.

وذكر ان تجارات الصين كانت تضرب بها الأمثال.

ومن السلع المستوردة ايضا من بلاد الصين «القرفاء» وهي من التوابل المرغوبة وكانت القرفه تعرف في فارس باسم «خشب الصين»[٢٥] كما انها كانت تعرف باسم الدارسيني[٢٦].

اما الواردات الهندية، فكانت المنطقة أيضا بمثابة سوق تروج فيها الكثير من السلع الهندية، وبالطبع كانت العلاقات بين سكان هذه البلاد وأهل الهند علاقات قديمة، ترجع إلى عصر ما قبل الاسلام ثم استمرت هذه العلاقة بل وزادت في عصر الإسلام.

ولعل أهم سلعة كانت هي شجرة العود[٢٧] وخشب الساج والساسمْ والخيزران والنارجيل (جوز الهند) والأرز، والذي كان ولا يزال يعتمد عليه العمانيون في غذائهم والصندل، بالاضافة الى الفلفل والبهارات والتوابل.

اما بالنسبة لأهم السلع التي كانت ترد الى اقليم الخليج من شرق افريقيا فكان الذهب هو اهم سلعة تجلب من تلك البلاد.

واشار ابن حوقل ان التبر كان من الكثرة بحيث لا يوجد مثله في نواحٍ غيرها في البلاد[٢٨] وكان يستورد أيضا العاج الذي كان يصدر الفائض منه الى بلاد الهند والصين[٢٩].

يعد اللؤلؤ من أهم السلع التي كانت تصدر إلى الهند والصين وبالطبع عرفت مغاصات اللؤلؤ في مناطق شتى من العالم ولكن أجوده ما كان يستخرج من مغاصات منطقة الخليج (عمان والبحرين).

كما كان سكان البلاد يصدرون الأسماك المجففة أو المملحة وكانت أهم الأسماك التي تصدر خاصة إلى الهند السمك المعروف باسم الكنعد[٣٠] كما اشار د.حسين علي المسري.

وكان يصدر أيضا من هذه البلاد التمور كما أشار الى ذلك القلقشندي[٣١] وبخاصة إلى بلاد الهند والسند (الملتان والمنصورة) وكان يصدر أيضا الكندر (اللبان).

اضافة إلى الخيول العربية الأصيلة والتي كانت تستورد من عمان والتي كانت تعرف (بالخيل العراب والنظار).

واكتفي بما ذكرته عن أهم السلع التجارية راجياً ان أكون قد سلطت ضوءا ولو بسيطا على هذه البقعة الغالية من بلادنا والتي - بلاشك - كان لها اسهاماتها الواضحة في حضارة ورقي وتطور اسم عمان على مرّ العصور.

معاني الكلمات

* التوابل يطيب بها الطعام
* البقم: خشب شجرة كبيرة ورقها مثل ورق اللوز وساقها أحمر: يصبغ بطبيخه ويلحم الجراح ويقطع الدم المنبعث من أي عضو ويجفف القروح.
* القند: عسل قصب السكر جمر أو سويق مقدود ومقند: أي مخلوط بالقند.
* الابنوس: شجر ينبت في الحبشة والهند» خشبه اسود صلب ويصنع منه الأواني والأثاث.
* الساسم: شجر اسود وهو الابنوس

المراجع والمصادر

١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، الجزء الثالث ص٣٩٣
٢) نفس المصدر: ص٣٩٣
٣) دائرة المعارف الإسلامية: الجزء ١٤ ص١٤٦
٤) مروج الذهب ومعادن الجوهر: المسعودي: ص١٤٩
٥) الأنساب: العوتبي: الجزء الثاني: ص٢٦٢
٦) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام: د.جواد علي: الجزء الرابع ص٤٤١
٧) صفة جزيرة العرب: الهمداني: ٢٦٥
٨) تاريخ اليعقوبي: المجلد الأول: ص٢٧٠
٩) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام: سعيد الأفغاني ص٢١٢
١٠) نفس المرجع ص٢١٣
١١) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام: سعيد الافغاني ص٢١٣
١٢) تحفة الأعيان: السالمي: الجزء الأول: ص٥٨
١٣) فتوح البلدان: البلاذري: ص٨٧
١٤) عُمان والحضارة الإسلامية: د.سعيد عاشور وآخرون: ص٢١
١٥) دائرة المعارف الإسلامية: المجلد الثاني: ص٣٨
١٦) العقود الفضية في أصول الاباضية: سالم بن حمد الحارثي ص٨
١٧) بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته: د.سعيد عبدالفتاح عاشور ص٧٢
١٨) سيراف: مدينة جبلية على ساحل بحر فارس (الخليج العربي) كانت قديما روضة الهند، ياقوت الحموي: معجم البلدان: الجزء الثالث ص٢٩٤
١٩) البصرة
٢٠) جزيرة كله: جزيرة بها ميناء، يحمل نفس الاسم ويحمل أيضا اسم كله باره تقع على الساحل الغربي بشبه جزيرة الملايو، العمانيون والملاحة والتجارة: د.رجب محمد عبدالحليم ص١٠٦
٢١) المسالك والممالك: ابن خرداذبه: ٦٠
٢٢) صورة الأرض: ابن حوقل: ص٤٧
٢٣) مسالك الممالك: الاصطخري: ص٢٤
٢٤) صورة الأرض: ابن حوقل: ص٤٤-٤٥
٢٥) أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم: المقدسي: ص٩٢-٩٣
٢٦) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: الادريسي: المجلد الأول: ص١٥٥
٢٧) الحيرة المدينة والمملكة العربية: يوسف رزق الله غنيمه ص٩١
٢٨) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري: آدم مز: الجزء الثاني ص٣٠٢
٢٩) حصاد الندوة الدولية لطرق الحرير: بحث بعنوان مدينة صحار وعلاقتها بطرق الحرير البحرية، مونيك كارفران ص٩٢
٣٠) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: المقدسي: ص٩٧
٣١) القرفة قشر شجر من الفصيلة الغاربة: اشهره القرفه الصيني: المعجم الوسيط: الجزء الثاني ص٧٥٦
٣٢) تجارة الخليج بين المد والجزر في القرنين الثاني والثالث الهجريين د.عطيه القوص: ص٨
٣٣) النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية: د.علي حسن السليمان ص٢٣٩
٣٤) صبح الأعشى في صناعة الانشاء: القلقشندي: الجزء الثاني ص١٣٣
٣٥) صورة الارض: ابن حوقل: ٦٣
٣٦) آثار البلاد وأخبار العباد: القزويني ص٢٣-٢٤
٣٧) تاريخ العلاقات السياسية والاقتصادية بين العراق والخليج العربي د.حسين علي المسري (٢٤٩)
٣٨) صبح الاعشى في صناعة الانشاء: القلقشندي: الجزء الثاني ص١٢٠
٣٩) الحياة في الخليج في العصر الوسطى في ضوء مشاهدات ابن بطوطة د. حامد زيان غانم ص٢٠٧.

المداخلات

المداخلة الاولى دارت حول
الفترة التي وصف فيها الرحالون
والجغرافيون صحار بالازدهار والعمران
والتجارة مع العلم انها تعرضت لعدة غزوات
ولاكثر من طوفان وهل اعيد اعمارها ام انها كانت عامرة
بالبيوت والسكان والتجارة في فترة واحدة وما مدى تأثير
هذه الغزوات على انهيار هذا التجمع كله، والمداخلة الثانية... عن
سنجار هذا الاسم الذي اورده المسعودي هل هو أورده بجانب اسم
صحار ام هو تصحيف لاسم صحار ام انه اسم فارسي؟ وبالنسبة
للجلندى او الجلندي هل هو بالياء ام بالالف اللينة؟ وهل زار
الهمداني علامة اليمن صحار بالفعل ام انه اخذ الاخبار من الناس؟
* المداخلة الثالثة هل كانت هناك قوافل برية تنطلق من صحار
الى اليمن؟ وهل صحار هي ميناء توام؟
* رد المحاضر على المداخلة الاولى بأنه لم يفهم القصد من الرحالة حيث لم
يحدد المداخل اسم الرحالة وكان رد المحاضر على المداخلة الثانية بان
سنجار هو اسم قديم لصحار أو من اسماء مدن تابعة لصحار وبالنسبة
للجندي (بالياء) او بالالف المقصورة فانه من الممكن ان الاصح الجلندى
بالالف المقصورة واحيانا ترد الجلندي بالياء ايضا . اما بالنسبة
للهمداني فانا متأكد من انه رحالة من خلال كتابه «صفة جزيرة
العرب» تحقيق محمد بن علي الاكوع، والذي حققه بعد ذلك حمد
الجاسر وأوكد انه زار عمان والبصرة ومصر.
* رد المحاضر على المداخلة الثالثة انه كان هناك طريق بري
للحج من مكة ولكن هذا الطريق كان صعبا تتخلله
المفازات الواسعة وكان اتصالهم عن طريق البحر
حيث ان السفينة يمكنها حمل مئات الاطنان
ولان صحار مدينة ساحلية فقد كانت
الطريق الاكثر أمنا.

صحار في مواجهة الأحداث

اعداد: علي بن محسن آل حفيظ

لعله من الواقعية القول: أن اسم صحار، قد ارتبط وجدانيا بالعديد من المسميات أو الصفات ذات الدلالات القيمية والتاريخية والثقافية، فحينما تذكر (ماجان التاريخ) ونحاسها تذكر صحار، وحينما يذكر ازدهار التجارة في موانئ الخليج في العصور الوسطى تذكر صحار، وحينما يذكر الحرير وتجارته وأسطورة السندباد البحري تذكر صحار، وحينما تذكر أسواق العرب في الجاهلية تذكر أيضا صحار.

أما الثقافة والفكر وعلم التاريخ، فكل هذا له وشائج وصلات عميقة بصحار العصور الوسطى ولا غرو في ذلك فموقعها على ساحل خليج عُمان قد أهلها لتصبح مركز جذب حضاريا يشع نورا ساطعا كالشمس في كل الاتجاهات والأنحاء.

وان مدينة ، هذا شأنها لا يمكن أن يصفو لها الشرب دوما من كأس الحياة ويهدأ لها البال، فالمنغصات كثيرة ومعكرو صفو الحياة اكثر.

ولهذا واجهت صحار أحداثا جساما عبر تاريخها كانت في كل مرة تمثل تقرير المصير بالنسبة للأرض العُمانية كلها ان لم يكن لمنطقة الخليج بأسره.

ولعله لهذا كانت تنتفض جبال عُمان ووديانها لإنقاذ صحار من المحن حين تواجهها، فتدفع الأرض العُمانية الثمن ويقدم العربي العُماني التضحيات دفاعا عن وجوده وأرضه.

فكثيرة هي فترات التاريخ التي شهدت فيها صحار أحداثا ساخنة يصل امتدادها في عمق الزمن إلى ما قبل الإسلام بعصور طويلة. فمن عهد الملك الفارسي (اردشير)[1] في القرن الثالث قبل الميلاد، إلى عهد شيروس الأكبر في القرن السادس قبل الميلاد.

ولقد امتد تطلع الفرس إلى عُمان حتى العصور الإسلامية حيث تجسد هذا التطلع في العهد البويهي في القرن الرابع الهجري اذ حاقت بصحار كارثة وضعت حدا لرخائها وازدهارها.

ولا يعني هذا أن محن صحار التاريخية كانت كلها تأتي من البر الفارسي ومن غير

١- م سعيد الصقلاوي: التحصينات العُمانية.

٢- صحار عبر التاريخ: اندرو ويليامسون/ترجمة محمد أمين عبدالله- وزارة التراث القومي والثقافة.

العرب، بل واجهت محنا مماثلة (ان لم تكن اكثر شراسة واخطر عتادا وعدة. فهجوم والي البحرين محمد بن نور في القرن الرابع الهجري)[1] بإيعاز من سلطة الخلافة المركزية، قد واجهت، صحار صدمته القوية مما جعل القبائل العُمانية تستشعر ضرورة الصمود الوطني امام هذا الهجوم الخلافي الذي يرفع رايات وشعارات بألوان شتى– وكانت القصة المعروفة بدحر المعتدين، الا ان العدوان لم ينته هنا، بل تشاء الأيام أن تقلبه على اوجه مختلفة.

وقد كانت محنة عُمان مع القرامطة قبل ذلك، حيث زلزلوا عرش الخلافة العباسية بعد ثورة الزنج في القرن الثالث الهجري والتي الصقت بالزنج كما تشاء حيل السياسة، إذ ليس للزنج منها إلا لقبها هذا، فهي ثورة الطبقات المحرومة في المجتمع العباسي.

ولعله لهذا كان طلب المقتدر العباسي من والي صحار احمد بن هلال مقاومة القرامطة في عُمان.

ومع هذا، مكث القرامطة في عُمان زمنا ليس بالقصير. كما بقوا في بقاع أخرى من شبه الجزيرة والخليج.

وإذا كانت صحار في كل دورة من دورات الأزمنة التاريخية تتحمل العبء الأكبر من وزر الغزاة وشراستهم ، فما ذلك إلا لضعف موقعها الدفاعي من ناحية، ولما كانت تزخر به من ثراء من ناحية أخرى يسيل له لعاب الطامعين. فهي حاضرة عُمان الإسلامية وسوقها في الجاهلية ومقر ملوكها آل الجلندى ومأوى التجارة والثقافة. ففيها ذكر ابن دريد وممدوحيه من آل ميكال وبها برز العلامة سلمة بن مسلم العوتبي صاحب كتاب الأنساب والضياء وغيرهما في القرن الرابع الهجري واقوام تلت هؤلاء من العلماء والأدباء يعلو اليوم بهم جميعا اسم صحار.

فلكل الاسباب التي ذكرناها، كان الغزاة يعملون دوما لاحتلال صحار. فباحتلالها يتم الاجهاز على النشاط التجاري والثقافي لعُمان من جهة الشرق والشمال. ولعله لهذا، حاول الفرس عزل العُمانيين عن السواحل البحرية، وذلك باحتلالهم لصحار. علما ان علاقة العُمانيين بالبحر وبالأسفار إلى الأقطار البعيدة[2]، تعود إلى أزمنة غابرة قبل التاريخ.

ونظرا لكون صحار حاضرة عُمان لفترات تاريخية مختلفة، فمن الطبيعي أن يتكون فيها المجتمع التجاري، وذلك بحكم الموقع والصلات التجارية النشطة، ومن الطبيعي أيضا والأمر هكذا أن تتجه إليها أنظار الطامعين وتتصورها أحلام الغزاة، فغالبا ما يكون المجتمع التجاري فريسة للبغي والعدوان والشواهد ماثلة في كل العصور.

فيما يتعلق بالاحتلال الفارسي لسواحل عُمان لفترات تاريخية مختلفة فيتدرج ضمن نهج سياسي ارتسمته بلاد فارس منذ فجر التاريخ للتطلع جنوبا نحو الجزيرة العربية وبالأخص

١– صحار عبر التاريخ/اندرو ويلياسون ترجمة محمد أمين عبدالله/وزارة التراث القومي والثقافة

٢– دور العُمانيين في الملاحة والتجارة الإسلامية. د. عبدالرحمن العانيبا وزارة التراث القومي والثقافة ١٩٩٤م، انظر أيضا: العواصم السياسة العُمانية للدكتور احمد شلبي– ندوة عُمان في التاريخ.

عُمان واليمن ولا يتطلع إلى غير هذا الاتجاه وهذا ما يلفت نظر المراقب الحصيف.

وإذا تمكن العُمانيون من تصفية[1] الوجود الفارسي من السواحل العُمانية ومن صحار على وجه الخصوص بعيد دخول عُمان أرضا وشعبا في رحاب الدعوة المحمدية، فان أحلام الطامعين تظل في مخططات الساسة والفاتحين تتحين الفرص للعدوان هنا أو هناك.

وما اكثر هذه الفرص التي تتاح في الأرض العربية للأعداء للنفوذ من خلالها إلى حرمات الأرض وأعراض الأهل وهذا ما عانت منه صحار، بل وعُمان كلها عبر مراحل التاريخ. ولعل الخصومات القبلية هي في مقدمة كل الأسباب السلبية لجلب الضرر، بل والخراب وأنواع الويلات الأخرى.

فهل نحتاج لضرب الأمثلة!!؟

ما كانت جيوش ولاة بني أمية وبعدهم ولاة بني العباس لتتمكن من الوصول إلى عُمان لولا الصراعات القبلية الداخلية. فحين تنقسم الجبهة الداخلية يسهل النفاذ من مساحات جدار الحيطة والاحتراز مهما كان علوه ومنعته. ولهذا كانت حملة معز الدولة البويهي لاحتلال سواحل عُمان، حيث احتل من ضمن ما احتله مدينة صحار عام ٣٤٠هـ ودمر وقتل وشرد من نجا، وكان يسوق النجدات من مقر السلطة في بغداد للإمعان في السيطرة على السواحل العُمانية.

ولعل الحقبة البويهية من اصعب حقب الاحتلال الاجنبي على عُمان، إذ تمكن البويهيون من التغلغل إلى داخلية عُمان وجميع شواطئها، بعد أن وجدوا أنصارا مؤيدين لهذه الأسباب أو تلك.

ثم يأتي دور السلاجقة[2] وغزوهم لعمان، بعد احتلالهم لهرمز عام ٤٥٦هـ وقد تمكنوا من حكم الساحل العُماني وجزره لمدة تقارب قرنين من الزمان او اكثر. ثم أعقبهم التركمان الذين غزوا عُمان وكان على يدهم انهيار صحار التجاري، ولكن ابن المجاور اليمني المولد، الفارسي الأصل يعزو خراب صحار في هذه الفترة إلى القبائل العُمانية.

ونحن لا نستبعد هذا، فكم من حاضرة عربية مزدهرة خربتها الهجمات القبلية في تاريخنا.

ولعل مدينة صحار، قد عرفت جور ذي القربى من عهود قديمة فوجود خنادق للدفاع[3] عنها يعود تاريخها إلى القرن الثالث قبل الميلاد لدليل على ما نقول.

وهذا، للأسباب التي أشرنا إليها آنفا، أي مبررات العدوان على مدينة وديعة مسالمة. ذنبها موقعها الذي جلب عليها الخير والشر في آن معا. وكثيرة المدن العربية التي هذا شأنها والتي لا يزال بعضها يلعق جراحه ولا تهجع من انين قبور أبنائها الذين ذهبوا جراء

١- صحار عبر التاريخ، مرجع سابق.
٢- صحار عبر التاريخ مرجع سابق.
٣- حمدي تمام - موسوعة زائد مج ١ ص ٢٣.

البغي والعدوان عليها، وهذه قصة أخرى لا مجال لتفصيلها هنا.

ينقل عن الأصمعي قوله: الدنيا ثلاث:[1] عُمان والابلة وسيراف. وعُمان هنا هي: صحار كما يعتقد، اذ قال القلقشندي: عُمان مدينة جليلة بها مرسى السفن من الصين والهند والزنج، وليس على بحر الخليج مدينة اجل منها. وهذا ما يؤكد قول الأصمعي انه يعني صحار. فكأنما صحار هي عُمان كلها، وهذا دليل على ما وصلت إليه صحار في عصورها السالفة من رقي وازدهار.

صحار والغزو البرتغالي:

توافق الغزو البرتغالي مع فترة ضعف وتفكك شمل كل عُمان، مما سهل– وكالعادة– على الغزاة مهمتهم[2].

أما أسباب هذا الضعف في هذه الحقبة من الزمن فمرجعها إلى تشتت القوى المحلية في شبه الجزيرة والخليج، بسبب الحكم التركي الأجنبي، حيث أوغل الأتراك في تبديد أي تجمع للقوى الوطنية المحلية في منطقة شبه الجزيرة العربية، بل وفي جميع الأقاليم العربية. فحينما دفعتهم حاجة الدفاع عن ممتلكات الإمبراطورية العثمانية أمام زحف الاستعمار الأوروبي الحديث المتمثل بالغزو البرتغالي، اعتمدوا طرقا وأساليب قاسية لتجميع القوى، انقلبت عليهم بالسخط وعدم الرضا اكثر مما فادتهم. فقصص بطش القادة الأتراك في موانئ ومدن شبه الجزيرة العربية ضد السكان المحليين إحدى العوامل أيضا التي مهدت لوصول البرتغاليين إلى الشواطئ العربية لمنطقة شبه الجزيرة والخليج.

ولقد كانت مدينة صحار إحدى مستهدفات الغزو البرتغالي، فهذا البوكيرك منظم الحملة البرتغالية على عُمان يقول عن صحار لتبرير غزوها من قبل قواته: إنها مدينة جميلة ذات منازل أنيقة، أراضيها واسعة وممتدة مزروعة بالقمح والذرة والشعير[3] .. الخ.

ويبدو أن سيطرة الفرس على هرمز في فترة اجتياح البرتغاليين لبلاد الشرق، قد امتدت إلى السواحل العُمانية وبالأخص ساحل الباطنة، نظرا لما نجده من ذكر لولاة ورجال حرب وسياسة من الفرس في صحار في هذه الفترة، وهذا ما جعل البرتغاليين يبنون صلات مصالح مع الفرس ضد عرب عُمان وان كانت لفترات مؤقتة انطلاقا من مبدأ سياسة (فرق تسد) لصفوف المسلمين، من عرب وفرس وغيرهم. وقد دغدغ البرتغاليون أحلام التوسع والسيطرة في عُمان لدى الفرس ايام الملك نادر شاه، شريطة سيطرتهم أي البرتغاليين– على الجمارك ومنافذ التجارة، حيث يمثل هذا هدفهم الأسمى لأي مدينة يحتلونها، – فكأنما قد رسموا وحددوا زمنهم المؤقت في الأرض العربية.

١- ملامح من تاريخ عُمان في عهد الرسالة- ندوة عُمان في التاريخ.

٢- محمد صابر- دولة اليعاربة والوحدة الوطنية- ندوة عُمان في التاريخ.

٣- صحار عبر التاريخ، مرجع سابق.

فهم لا شأن لهم بحكم السكان أو بتسيير أحوالهم لأي أمر من الأمور، إنما مهمتهم السيطرة على منافذ التجارة واحتلاب موارد البلاد.

وفي احتلال البرتغاليين لمدينة صحار، ضمن مسلسلة الموانئ العُمانية التي احتلوها نجدهم يبررون مهاجمتهم في بعض الأحيان بمبررات تعكس وجه سياستهم لإثارة الفتن وتمزيق الصف الوطني حتى يسهل لهم البقاء ويبعد عنهم خطر المقاومة الوطنية.

وهذا يتجلى في مهاجمتهم لصحار اكثر من مرة بحجة الاستنجاد بهم من قبل هذه الشخصية او تلك ضد خصومها، وهذا كان في بداية حملة الاستنهاض الوطني لتوحيد عُمان وتحريرها من الغزاة بقيادة الامام الفذ ناصر بن مرشد اليعربي.

وحدث مثل هذا الموقف أيضا اكثر من مرة وفي حقب تاريخية متباعدة او متفاوتة، وهذا ما نجده في ثنايا سجل الأحداث، وقد نبرره حينا ونعجز عن تبريره أحيانا أخرى. ومهما تكن الامور فموالاة أعداء الوطن والأمة ليس من مبرر شرعي لها إلا الأنانية وحب السلطة. وقد لا تصدق مثل هذه القصص والمواقف التي ننقلها نحن اليوم عن مصادر ومراجع أجنبية غالبا ما تحاول تشويه الموقف الوطني وتبرير مهاجمتها واحتلالها للأرض العربية.

وهذا يجعلنا لا نجزم بصدق هذه المعلومات ولا ننكرها أيضا، إنما نضع أمامها اكثر من علامة استفهام. او انه خيال ووهم من أقاصيصهم لتبرير هجومهم على صحار فمثل هذه الحيل او المواقف ليست بدعا او نكرة في سجلات تاريخ الأرض العربية وهي أيضا من ظواهر الفعل الانساني يمكن حدوثه في أي مكان واي زمان.

ولعل دق اسفين الخلاف ما بين العرب والفرس يمثل جوهر السياسة البرتغالية في المنطقة، اذ نجدهم يتحالفون مع الفرس ضد العرب حينا، ويبعدون الفرس ويبطشون بهم ويقربون العرب، حينا آخر. وهذا ما تجلى على يد القائد البرتغالي ذي السمعة الجبروتية (روي فريير)[1] فقد اتبع هذا القائد البرتغالي أساليب الوقيعة والخداع واللعب على التناقضات العنصرية والقومية، وخلف تراثا من سوء الأفعال والسمعة التي يندى له جبين الإنسانية، وهذا ما نجده اليوم مذكورا في العديد من الأبحاث وبأقلام البرتغاليين أنفسهم.

ولعل اغرب ما في هذا، والحال هذه، عدم إدراك كل من العرب والفرس لسياسة العدو الاستعماري وما كان ضرورة للتحالف والتضامن ضد هذا الوحش الاستعماري انطلاقا من رباط العقيدة الدينية الواحدة ووحدة الجوار الجغرافي والتراث المشترك.

انما نجح البرتغاليون بتبديد أي حلم في هذا الاتجاه ولهذا تناوبت الحراب البرتغالية هامات العرب والفرس حقبة من الدهر ليست بالقصيرة.

يقول احد الباحثين الغربيين: ان البرتغاليين كانوا ينظرون لإنجازاتهم في شواطئ الجزيرة العربية، على انها عكس للفتوحات الإسلامية في القرنين السابع والثامن لشبه

١- حصاد ١٩٩٠ مج ٢ ص ٢٥ - ٢٧ إصدار وزارة التراث القومي والثقافة.

جزيرة ايبريا، فهاهم البرتغاليون يهاجمون شواطئ شبه الجزيرة العربية نفسها ويهددون مدينة مكة المقدسة ويخضعون الامراء المسلمين لحكمهم[1].

ومن هنا، كان مقتضى التضامن والوحدة للصف الإسلامي عربا وفرسا ضد الاستعمار البرتغالي للتعجيل بتصفيته وإبعاده عن الأرض المقدسة، ولكن أوهام السياسة والتمذهب والنزعات القومية والإقليمية، قد مكنت للخصم ان يرتع ويمرح ردحا من الزمن تجرعت المنطقة كلها كأس مراراتها لتنوع ويلاتها.

كان حال مدينة صحار كحال بقية المدن والموانئ العُمانية والخليجية واليمنية أيضا فربما كانت عدن والمكلا والشحر وغيرها من مدن الموانئ اليمنية، نقول: ربما كانت كل من هذه المدن بمثابة صحار اليمن لما واجهته من ويلات البرتغاليين والمواقف البطولية التي قدمها ابناؤها كما قدمت صحار. فمثال ما واجهته مدينة الشحر[2] عام ١٥٢٢م على يد البرتغاليين يعطي صورة جلية عن بشاعة البرتغاليين وحقدهم ضد الإسلام والمسلمين من ناحية والضعف وعدم التماسك العربي والإسلامي من ناحية اخرى، جراء الحكم التركي وسياساته ضد القوى العربية المحلية.

يذكر مؤرخ برتغالي معاصر يدعى[3] انطونيو بوكارو ان البرتغاليين هاجموا صحار بالتعاون مع رجال القبائل عام ١٦١٦م، وان المدينة تعرضت للنهب والاستباحة من قبل المهاجمين برتغاليين وعربا عُمانيين، وان البرتغاليين اخضعوا السكان كعبيد.

وقد يذهب البعض منا اليوم إلى ان هذا التعاون بين بعض الاطراف القبلية العُمانية والمحتلين البرتغاليين كان ضد قوى محتلة اخرى، هي قوة الفرس، وهذا تبرير غير مقبول، لان الوالي العُماني هو: محمد بن مهنا الذي دافع بما أوتي من قوة، ولكن تفوق قوة تحالف المهاجمين اخضعته للغلبة والقهر كما تقول المصادر. ليس هذا فحسب، بل احرقت المدينة وتم التخلص من السكان.

واذا كان ظهور وبروز المقاومة الجهادية الوطنية العُمانية بقيادة بطل الجهاد الامام ناصر بن مرشد اليعربي نذير الشؤم الاول على الاستعمار البرتغالي لسواحل عُمان ومناطق[4] الخليج كافة، فان تسنم احمد بن سعيد البوسعيدي كرسي الزعامة فيما بعد لاستكمال مشروع فرض الجهاد لتطهير الأرض العُمانية، من الوجود البرتغالي، قد محا الحكم البرتغالي بل وكسر كبرياءه على الارض العُمانية وذلك بصموده كالطود الشامخ في صحار، دفاعا عنها وتخليدا لمن سبقوه من الرجال الابطال، اذ عين احمد بن سعيد البوسعيدي واليا لصحار في الربع الاخير من عهد اليعاربة اذا جاز لنا

١- حصاد ١٩٩٠ مج ٦ ص ١٩٦ اصدار وزارة التراث القومي والثقافة.
٢-الشهداء السبعة ص ٨ محمد عبدالقادر بامطرف. اصدارات عام ١٩٧٤م بغداد.
٣- بروفسور. س. بوكسر ملاحظات جديدة عن الصلات بين العُمانيين والبرتغاليين من ١٦١٣ - ١٦٣٣.
٤-حصاد ١٩٩٠ مج ٤ ص ٣٤ اصدار وزارة التراث القومي والثقافة.

التعبير، أي فترة الانحدار إلى التكاسل والضعف والذي عادة يكون مقدمة لأفول نجم العهد السلطوي.

وقد كان من مظاهر ضعف سلطة هذا العهد اليعربي استشراف الفرس وتطلعهم للمرة الالف او اكثر نحو الشواطئ العُمانية بقيادة[1] الملك الفارسي نادر شاه والذي امر قائده لطيف خان بعد انضمام زعيم الهولة اليه وهو رحمة بن مطر لاحتلال منطقة الظاهرة، المتن الشمالي لسهل الباطنة، لحصار صحار واستعادتها من يد واليها احمد بن سعيد.

واذا كانت منطقة الظاهرة قد سقطت في ايدي المهاجمين الا ان صحار قد استعصت هذه المرة على السقوط بقيادة واليها البطل الفذ احمد بن سعيد.

ولقد واصل لطيف خان حصاره لصحار، ويقال ان عدد الجيش المحاصر لصحار يربو على الستين الفا من الجنود، وان البلدة او المدينة كانت تتلقى ما يزيد على ثلاثة الاف قذيفة مدفع يوميا، مما تسبب بقتل عدد كبير من الاهالي وتدمير الكثير من المنازل، والمحلات التجارية.

ومع هذا كله، انكسر الحصار وارتفعت المطرقة الفارسية من على هامتها، بفضل استراتيجية واليها البارعة والمتمثلة بفتح الجبهات المتواصلة ضد الوجود الفارسي هذه المرة على جميع السواحل العُمانية.

وهكذا تمكن احمد بن سعيد من طرد الفرس، ليس من صحار فحسب، بل من مسقط وغيرها من اماكن التواجد الفارسي.

ومما يؤسف له ان نجد في هذه الفترة لحركة الجهاد الوطني بعض التثلم، بل والتشقق في الصف الجهادي العُماني، اذ وقف بعض الطامعين في الحكم إلى جانب الفرس، كعادة من سبقهم في الانحياز إلى المصلحة الذاتية وخذلان مصلحة الوطن. وهذا ما نجده في العديد من المصادر والمراجع.

واخيرا انتصرت صحار، بل وعُمان كلها وجبرت الجراحات والتمت الاواصر وانضمت القوى وتوحدت ليعلو علم الدولة العُمانية ثانية في كل الافاق، وبقيت صحار عربية عُمانية منتمية لأرومة الأرض والتاريخ، تقدم للأجيال قصة الأحداث للموعظة والعظة وتنكب الحذر وعدم الغفلة فالزمن لمن ملكه.

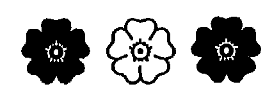
١- سيرة الامام احمد بن سعيد مؤسس الدولة البوسعيدية ١٧٠٠ - ١٧٨٣م. د.عبدالقادر حمود القحطاني.

المداخلات

المداخلة: دارت حول
كتاب الغرب وما يفترونه على
التاريخ المحلي وتاريخ المنطقة
بغرض زعزعة التآزر الشعبي ودق اسفين
الخلاف والوقيعة وكذلك عن الحكم
التركي والتحامل عليه.

ورد المحاضر: بقوله اننا عندما نطلع على
وثائق الاجانب الذين مروا بنا والبلاد العربية
نجد العديد من الحكايات والاقاصيص تنسب
لاشخاص وشخصيات هي ادعاءات باطلة
على هذه الشخصيات.

واما بالنسبة لحكم الاتراك للعرب
فكان سليما مائة بالمائة حيث
انهم مسلمون وفيهم قادة
عظام نشروا الاسلام.



صحار ودورها الثقافي

إعداد: سعيد بن سليمان العيسائي

سأتحدث في هذه المحاضرة عن جملة من الأمور ذات صلة بالنشاط الثقافي للمدينة، وأولها سوق صحار الذي اشتهرت به هذه المدينة في الجاهلية:

وسأتحدث كذلك عن أسباب الازدهار الثقافي وعن العوامل المؤثرة في انتعاش الحركة الأدبية وسيكون للأعلام شأن كبير في هذه المحاضرة حيث سأركز على أشهر الأعلام مبينا دورهم ونتاجهم الفكري والثقافي.

ولن أغفل كذلك حركة نشاط التأليف الذي قام به عدد قليل من علماء هذه المدينة من خلال كتب مهمة وقيمة في مختلف المجالات.

سوق صحار بوصفه من أكبر التظاهرات الفكرية والثقافية في الجاهلية

علاقة صحار بالشعر والأدب علاقة قديمة قدم التاريخ، ذلك ان موقعها المتميز على الساحل ووقوعها في طريق القوافل التجارية، أضاف إلى شهرتها شهرة وإلى جمالها جمالا ورونقا وبهاءً.

والأسواق الأدبية عند العرب في الجاهلية ما هي إلا تقليد عرفه العرب واعتادوا على إقامته في أوقات مختلفة من السنة وفي مواسم محددة ومعروفة على امتداد الجزيرة العربية[1].

ويمكن القول بأن أسواق العرب في الجاهلية كسوق عكاظ وسوق ذي المجاز وسوق صحار وسوق أدم تعد بمثابة تظاهرة عربية ثقافية، واقتصادية وسياسية أو بمثابة مؤتمر عربي إقليمي[2].

وتشير المصادر وكتب تاريخ الأدب إلى انه كان للعرب مجالس يخصصونها للمناظرات والمساجلات الشعرية، ويدير هذا المجلس احد فحول الشعراء الذي يتخذه الحاضرون حكما يرجعون إليه فيما اختلفوا فيه، فيجيز أحدهم على الأخر، ويصدر أحكامه النقدية في شعر هذا او ذاك من الشعراء ويدلي بأرائه في تفوق شاعر على غيره من الشعراء الأخرين[3].

وكان ذلك حافزا قويا على الإجادة والإبداع في فنون الشعر، وسببا قويا في الإتيان بالأفضل والأحسن والأقوى من قصائد الشعر وأغراضه.

وسوق صحار هي السوق السادسة في ترتيب الأسواق بعد دومة الجندل وهجر وعمان والمشقر وحباشة.

---

(١) شعراء لكن سفراء: مقالة للكاتب سعيد بن سليمان العيسائي، بمجلة السراج ص ٨٤.

(٢) المرجع السابق: ص٨٤.

(٣) المرجع السابق: ص ٢١٧-٢١٨ بتصرف.

وقد ذكر المرزوقي أن هذه السوق كانت تقوم لعشرين يوما من رجب، على خلاف بين المؤلفين حول بدء قيامها، فمن قائل انها تبدأ في مطلع رجب وقائل في العاشر منه[1].

غير ان قيامها في رجب يوفر لها الحماية ويغني قاصديها من الخضاره، فلا يخافون غير المحلين الذين لا يراعون الحرمات[2].

ويتبين مما سبق أن هذه السوق كانت تقام في إحدى الفترات الزمنية التي تدخل ضمن ما كان يسمى عند العرب بالأشهر الحرم.

ويضيف الكاتب نقلا عن المرزوقي ـ كما يتضح من الأسلوب ـ قائلا: «ويعشر الناس في هذه السوق ملوك عمان، وهم عادة من رهط الجلندى بن المستكبر، وهو من الأزد»[3].

وتذكر بعض المصادر التاريخية ان ملك عمان آل إلى آل الجلندى بن المستكبر بعد أن انقضى ملك مالك بن فهم الأزدي وملك أولاده من بعده وصار ملك فارس إلى بني ساسان الذين عقدوا صلحا بينهم وبين آل الجلندى بعمان[4].

وبنو الجنلدى هؤلاء هم الذين بعث إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم خطابا يدعوهم فيه إلى الإسلام فأسلموا عن إيمان وقناعة تامة وأسلم معهم أهل عمان في العام الثامن للهجرة[5].

ثانيا: أسباب الازدهار الثقافي (النهضة العلمية) لمدينة صحار

١- الموقع الجغرافي:

الموقع الجغرافي لأية مدينة إما أن يكون مصدر نعمة أو مصدر نقمة على تلك المدينة أو بمعنى أن يجلب عليها الخير كل الخير أو يجلب عليها الشر كل الشر وخصوصا إذا كان ذلك الموقع على الساحل.

أما صحار فقد اختلف الأمر بالنسبة لها إلى حد كبير فهي وإن كانت عانت من ويلات الغزاة والطامعين على امتداد العصور إلا أن مكانتها وشهرتها وموقعها الجغرافي المتميز جعل منها كل ذلك مطمعا للطامعين ومطمحا للطامحين.

ولا يمكن أن نغفل ما أكسبها إياه ذلك الموقع الجغرافي المتميز من انتعاش اقتصادي وتجاري وملاحي وثقافي على مر العصور.

ولقد تحدث المؤرخون عن موقعها وجمالها في أكثر من مصدر تاريخي وفي أكثر من موضع مشيدين بما لها من مكانة ومؤكدين على ما كان لها من علو شأن ورفعة منزلة.

يقول عنها المؤرخ الاصطخري: «وهي على البحر وبها متاجر البحر، وقصد المراكب،

(١) أسواق العرب: المرجع سابق ص ١٧٨.
(٢) المرجع السابق: ص ١٧٨.
(٣) المرجع السابق: ص ١٧٨.
(٤) عمان في التاريخ: ص ١٠٩.
(٥) المرجع السابق (ص ٢١٧-٢١٨ بتصرف).

وهي أعمر مدينة بعمان وأكثرها مالا، ولا تكاد تعرف على بحر فارس بجميع بلاد الإسلام مدينة أكثر عمارا ومالا من صحار»[1].

ويقول عنها المرزوقي بأنها «قصبة عمان، وحاضرتها مما يلي الجبل باتجاه الساحل فموقعها على البحر وبها متاجر البحر وقصد المراكب»[2].

يتضح لنا بأن موقعها الجغرافي المتميز قد أعطاها من المكانة والشهرة ما لم تنله غيرها من المدن الساحلية، وهذا يعد من المحاسن التي يجلبها الموقع على مدن الساحل لا كما يرى بعض الكتاب بأن وقوع المدن على الساحل يجعلها عرضة للتهديد المستمر من قبل الطامعين والغزاة.

٢- الانتعاش الاقتصادي والتجاري (الحركة التجارية).

مما لاشك فيه أن الموقع الساحلي يشكل أهمية كبرى في إنعاش الحركة الاقتصادية والتجارية ذلك ان البحر هو الوسيلة الوحيدة في ذلك الوقت لنقل البضائع من مكان إلى آخر.

فالموانئ البحرية كانت وما زالت مصدر انتقال السفن ورسوها محملة بشتى البضائع من أماكن مختلفة من العالم.

وكانت صحار من أهم هذه الموانئ البحرية كما يذكر الرحالة والمؤرخون.

ومن هؤلاء ياقوت الحموي الذي يقول عنها : «إن فيها أسواقا عجيبة، وآبارا عذبة ذات مياه غزيرة وهي دهليز الصين وخزانة الشرق»[3].

ويضيف قائلا: «وهي مدينة طيبة الهواء والخيرات والفواكه، مبنية بالآجر والساج، ليس على بحر العرب بلد أجلّ منها وهي أعمر مدينة بعمان، وأكثرها تجارة ومالا ويسارا»[4].

ويصف المؤلف الفارسي صاحب كتاب «حدود العالم» صحار، فيقول: «بندر الدنيا كلها، وليس في الدنيا مدينة تجارها أكثر مالا من تجارها، تجلب إليها تجارات الشرق والغرب، والجنوب والشمال ومنها تحمل إلى سائر المواضع»[4].

وكانت صحار تنتج فائضا كبيرا من المنتجات الزراعية وبخاصة التمور والفواكه شبه الاستوائية ويصف بعض الكتاب الحالة الزراعية في صحار خلال فترة ازدهارها بأنها كانت تنتج كميات هائلة من البلح بالإضافة إلى الموز والتين[5].

ومن البضائع التي كانت تصدر إلى مختلف دول العالم كالهند والصين والبصرة: التمر العماني والنحاس الصحاري والليمون والأقمشة واللؤلؤ والبخور وغيرها من الفواكه والمنتجات[6].

وكان التجار العمانيون في صحار يستوردون من الصين الحرير والمسك والذهب

---

(١) عمان في أمجادها البحرية ص ٢٨.
(٢) أسواق العرب، مرجع سابق: ص١٧٨.
(٣) أسواق العرب، مرجع سابق، ص ١٧٨.
(٤) المرجع السابق ص ١٧٨.
(٥) عمان في أمجادها البحرية، مرجع سابق: ص ٢٨.
(٦) عمان في التاريخ، مرجع سابق: ص ٢٩٤.

والفضة والديباج[١]، ومن الهند القطن والذهب والفضة وأنياب الفيل والساج والفلفل والأخشاب[٢].

٣- الازدهار العمراني:

لا يكون هناك ازدهار اقتصادي وتجاري إلا ويستلزم بالضرورة أن يكون معهما ازدهار عمراني، وما النهضة العمرانية إلا وليدة وفرة في رأس المال.

وهذه المادة تتوافر من خلال حركة نشطة للبيع والشراء ونشاط واضح للاستيراد والتصدير.

ومن يقرأ كتب التاريخ يتبين تلك الحالة العمرانية المزدهرة من خلال وصف المؤرخين للبيوت وطريقة بنائها وأسواقها ومساجدها.

يشير إلى ذلك ما أورده المؤرخ المقدسي من خلال وصفه للمدينة وأسواقها، وبيوتها وبنائها من الآجر والساج ويصفها أيضا بأنها شاهقة بنفسها[٣].

وصحار القديمة المشهورة المذكورة في كتب الرحالة والمؤرخين ليست هي المدينة التي نراها اليوم فقد احتفت كثير من تلك المعالم بسبب الطوفان الذي أغرق كثيرا من المنازل، كما أنه قد يكون للحرائق والغزوات المتتالية دور في اختفاء تلك المعالم[٤].

٤- وفرة المياه وبالتالي ازدهار الزراعة:

تؤكد المصادر كما مر في أكثر من موضوع على وفرة المياه في مدينة صحار منذ القدم الأمر الذي أدى تبعا لذلك إلى توفر الحاصلات الزراعية بكميات كبيرة بشكل يمكن من تصديرها إلى بعض الدول كالهند والعراق والصين.

ومن تلك الحاصلات الفواكه بأنواعها كالمانجو والليمون والموز والتين والعنب والخوخ والخضروات كالطماطم والخيار والحبوب والتمور[٥].

إن مدينة فيها من المواد الغذائية ما يكفيها ويزيد، جديرة بأن تكون مصدر جذب وشهرة على المستويين الداخلي والخارجي.

كما أن اكتفاءها الذاتي من المؤن والمواد الغذائية جعل الجميع سواء كانوا أفرادا أو جماعات يطلبون ودها ويحتاجون إليها على الدوام.

٥- ازدهار الصناعة (ظهور الصناعات المختلفة):

لهذه المدينة قصة قديمة مع الصناعة وتعود إلى عصور ما قبل الميلاد وأهم هذه

(١) المرجع السابق: ص ٢١٧-٢١٨ بتصرف.
(٢) المرجع السابق: ص ٢١٧-٢١٨ بتصرف.
(٣) عمان في أمجادها البحرية، مرجع سابق: ص ٢٨.
(٤) تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ص ١٦٣. «وفي ذلك يقول العلامة نور الدين السالمي: «وأما صحار فخر بها وادي صلان، في سنة ٢٥١هـ أي بعد قدوم الإمام محمد بن محبوب بن الرحيل إليها إذ قدم إليها عام ٢٤٩ هـ، مولي القضاء بها.
(٥) عمان في التاريخ، مرجع سابق: ص ٢٤ + ص ٢٨.

الصناعات في ذلك الوقت على الإطلاق هي صناعة النحاس(١).

فقد كشفت الدراسات الأثرية والتقارير العلمية والتنقيبات الأثرية التي أجريت في صحار عن وجود خلفية تاريخية قديمة لتشكيل مجتمع له فعالية اقتصادية سياسية وكيان سياسي منظم للتعامل مع الدول الأخرى وعن وجود أدلة واضحة على فعاليات تعدينية وزراعية وتجارية للمنطقة ترجع بأصولها إلى مراحل بعيدة من العصور القديمة(٢).

وأشار الإدريسي إلى صناعة السفن في سواحل عمان وبالأخص في صحار وليس جميع السفن وإنما ذلك النوع الذي يستخدمون في صناعته وسعف النخيل وكانوا يربطون تلك الأخشاب بعد صفها بحبال يصنعونها من الخوص بعد فتله، بالإضافة إلى سفن أخرى اكبر كانوا يصنعونها من أخشاب محلية أو مستوردة(٣).

ومن الصناعات المهمة التي اشتهرت بها مدينة صحار منذ الألف الأولى قبل الميلاد صناعة الفخار، فقد دلت الموجودات الأثرية على انه كان لهذا المدينة مركز تجاري مرموق في تلك الفترة حيث عثر على أختام للتجارة بالإضافة إلى نوع من الفخار الأحمر اللون الجيد الصنع، كما عثر على العديد من الأواني الحجرية المصنوعة من احجر صابوني أملس وتحمل زخارف مميزة لهذه الفترة الزمنية(٤).

ومن الصناعات الأخرى التي اشتهرت بها صحار صناعة الطوب المحروق الذي كانت تستخدمه في بناء البيوت الهامة في المدينة.

وهذا أسلوب لم يكن مألوفا في الجزيرة العربية، وربما تم الحصول على ذلك الطوب من حفرة الصلصال وأفران الطوب القديمة في الناحية الشمالية من المدينة.

وتفيد الروايات المحلية أن اليهود كانوا يصنعون الطوب حسبما كانوا يفعلون في صنعاء باليمن(٥).

٦- صلاتها القديمة بدول العالم المختلفة وريادة أهلها للبحر:

صلة صحار بدول العالم المختلفة لا يعرف متى بدأت على وجه التحديد ولكنه يمكننا القول بأنها بدأت مع ركوب الإنسان العماني للبحر وارتياده له عابرا من خلاله القارات والمحيطات بحثا عن الحلم الكبير الذي لا تحده حدود ولا تقف في وجه أي عوائق أو صعوبات.

وكانت أهمية هذه المدينة قد بدأت مع بداية حكم الساسانيين لفارس عام ٢٢٥ ميلادية

---

(١) يمكن الاستزادة في ما يخص التعدين بصحار من خلال الرجوع إلى كتاب عمان في التاريخ في الصفحات التالية: ص ٤٠ و٧٤ و٧٥ و٩٧ و٢٩٤.

(٢) يمكن الرجوع إلى كتاب التنقيب عن النحاس في صحار، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة ضمن سلسلة «تراثنا»، ويمكن الرجوع كذلك إلى كتاب كشف الغمه الجامع لأخبار الأمة تحقيق احمد عبيدلي ص ١٠٩.

(٣) عمان في التاريخ، مرجع سابق، ص ٢٢.

(٤) المرجع السابق ص ٩٦.

(٥) القلاع والحصون في عمان، ص ١٠٠.

عندما بدأوا في تشجيع النقل البحري في الخليج[1].

ويؤكد صاحب كتاب كشف الغمة على هذه الأهمية في اكثر من موضع[2].

وتشير المعلومات والأدلة المتوافرة عن الرحلات البحرية أن السفر إلى الشرق في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) كان يتم، بأن تنطلق المراكب من الخليج، ومن الموانئ العمانية كصحار ومسقط وقلهات في النصف الثاني من شهر نوفمبر إلى النصف الأول من شهر ديسمبر[3].

وكانت المراكب التي تقوم بالرحلات الطويلة من العراق إلى الصين تأخذ حمولتها من سيراف على الشاطئ الفارسي، ثم تبحر إلى ساحل الباطنة في عمان لتتزود بالمؤن.

كما تشير المعلومات ان مراكب صحار في تلك الفترة كانت تبحر بشحناتها من البضائع إلى سيراف، كما كانت مراكب سيراف التجارية تزور مسقط للتزود بالماء والمؤن وهي في طريقها إلى الشرق[4].

واتخذ الساسانيون صحار مركزا للنشاط البحري من جديد ومن غير المستبعد أن يكون العمانيون قد اشتركوا مع الفرس في هذه السفن التجارية، كما يبدو أن العمانيين أهل الباطنة قد سبق لهم ان مارسوا الرحلات البحرية لان أردشير الأول (٢٢٥-٢٤١ للميلاد) مؤسس الدولة الساسانية قد نقل بعض العمانيين من الأزد من سكان عمان كبحارة في الشمر[5].

ولا ننسى ما قام به الأسطول العماني من دور بارز في طرد الغزاة والطامعين من الفرس والبرتغاليين في إبان حكم اليعاربة وعلى أيام حكم الإمام احمد بن سعيد والإمام سعيد بن سلطان في بداية حكم الدولة البوسعيدية.

كما لا ننسى ما قام به الملاحون العمانيون من ارتياد مجاهل الشرق والغرب على سفن طبقت شهرتها الآفاق كالسفينة صحار وقصة السندباد البحري وما قامت به السفينة سلطانة من دور على الصعيدين الدبلوماسي والدولي[6].

٧- القحط والمحل الذي أصاب بعض المناطق من عمان:

أوردت بعض المصادر التاريخية ان المحل حل بالمنطقة الداخلية والرستاق من عمان في أكثر من فترة زمنية وفي أكثر من مدة.

---

(١) عمان في أمجادها البحرية، مرجع سابق ص ١٤.

(٢) يمكن الرجوع إلى كشف الغمة، مرجع سابق ص ١٠٢، وعمان في أمجادها البحرية، ص ٢٢، ويمكن الرجوع كذلك إلى كتاب عمان في التاريخ، مرجع سابق الفصل الخامس بتصرف «الملاحة والملاحون العمانيون».

(٣) عمان في أمجادها البحرية، مرجع سابق ص ٦٤.

(٤) المرجع السابق ص ٦٤.

(٥) المرجع السابق ص ١٥.

(٦) لمزيد من الاستزادة يمكن الرجوع إلى كتاب عمان وتاريخها البحري، وكتاب «العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام منذ ظهوره إلى قدوم البرتغاليين» للدكتور رجب محمد عبد الحليم.

ومن ذلك ما أورده ابن رزيق عن حادثة المحل الشديد الذي حل بعمان في فترة حكم السيد حمد بن سعيد بن الإمام احمد بن سعيد اذ يقول: «ولما استولى حمد على عمان اشتد المحل على عمان فوق المحل الذي قبل ان يخلع عليه أبوه سعيد فمات نخلها وشجرها وهرب من المحل أكثر أهل عمان إلى ارض الباطنة ومسقط»[1].

أما السيابي فيؤكد أن أهل عمان خرجوا إثر ذلك يلتمسون العيش في الباطنة حتى كادت تضيق بهم[2].

٨- الاستقرار والأمن والأمان الذي نعمت به المدينة على امتداد الحقب التاريخية:

عاشت هذه المدينة لحظات أمن وأمان واستقرار على مدى الحقب التاريخية، ومنذ أن بدأ ذكرها يرد على ألسنة المؤرخين وكتابات الرحالة.

ولم يعكر عليها هذا الصفو والحياة الهادئة الوديعة سوى بعض الغزوات الخارجية للفرس والبرتغاليين وشيء من الاضطرابات والصراعات الداخلية.

ولكن ذلك الكدر لم يكن يستمر طويلا إذ ما يلبث أن يعقبه فترات ممتدة من الرخاء والهدوء والطمأنينة.

ان الهدوء والاستقرار جعلها بلا شك أمنية للطامعين وحلما للباحثين عن العيش الرغيد والحياة الكريمة.

٩ - التمازج الفكري والثقافي والعرقي:

يذكرني هذا الجانب بالتمازج الفكري والثقافي والعرقي الذي حدث في العصر العباسي كلنا يعلم انه دخل إلى البلدان العربية كالعراق والكوفة والبصرة كثير من الأجناس غير العربية.

أجناس من دول مختلفة منها العربي ومنها الفارسي ومنها الرومي وثقافات مختلفة وأفكار مختلفة وآداب مختلفة صبت كلها في بوتقة واحدة ألا وهي الإسلام والعروبة.

ظهر لدينا علماء اجلاء في شتى العلوم من غير العنصر العربي كالبخاري والشهرستاني وابن خالويه وابن الرومي والأصفهاني وغيرهم.

وذلك نفسه أو قريب منه قليلا ما حدث في صحار فقد جاء أقوام من أجناس مختلفة حملوا معهم أفكارا وعلوما وثقافات مختلفة يجمعهم حبهم لهذا الدين وانتماؤهم لهذه الأرض الطيبة.

١٠- الانصهار المذهبي والقبلي:

لعل السبب الذي جعل من صحار محلا وملجأ لكثير من الناس من خارج المدينة وداخلها هو وجود ما يطلبه أي إنسان من مدينة كبيرة كهذه فهي كانت عاصمة لعمان في فترة من الفترات.

(١) حميد بن محمد بن رزيق بن بخيت، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، ص ٤١٢ و ٤١٣ بتصرف.
(٢) سالم بن حمود السيابي، عمان عبر التاريخ ص ٢١٠.

وهذا العنصر مكمل إلى حد ما للعنصر السابق ومرتبط به، ذلك ان صحار كانت من مدن الجذب لما فيها من وسائل الجذب الكثيرة والمتعددة.

عاش أبناؤها عيشة هادئة يعمهم التعاون ويجمعهم التكاتف ويقودهم وحدة الهدف والغاية وحرصوا على أن يقدموا للعالم فكرا وثقافة عمانيين.

والشعراء كذلك فمنهم العربي ومنهم من هو من أصول غير عربية اتحدوا جميعا لهدف نبيل وسام ألا وهو خدمة العلم والثقافة ونشر الوعي والفكر في شتى أنحاء المعمورة.

١١- كونها عاصمة لعمان في فترة حكم الإمام احمد بن سعيد:

انتقل ملك اليعاربة إلى الإمام أحمد بن سعيد سنة ١١٥٤هـ/ ١٧٤١م على خلاف في ذلك بين المؤرخين، فمن قال انه تولى الإمامة سنة ١١٥٦هـ/١٧٤٣م وهو الأصح في رأي ابن رزيق(١).

وقد لعب دورا رئيسيا في طرد الفرس وتحرير الساحل العماني حتى اصبح بعد ذلك حاكما لعمان(٢).

أجمعت المصادر التاريخية قديمها وحديثها على ما كان للإمام احمد من شجاعة وحنكة وذكاء وسياسة مكنته من توحيد البلاد وطرد الغزاة والقضاء على الفتن وإحياء الأمجاد التليدة والماضي المشرق لعمان بعد فترة من التمزق والتشتت(٣).

ومن الأمور المهمة التي يجدر الإشارة إليها هنا انه جعل صحار عاصمة للدولة العمانية وازدهرت في فترة حكمه التجارة واصبح لعمان علاقات قوية مع دول العالم المختلفة كما امتد حكمه إلى شرق أفريقيا وأصبحت عمان في عهده إمبراطورية عظيمة يشار إليها بالبنان.

أما الأسطول العماني فقد كان موضع احترام واعتزاز من الأصدقاء وموضع رهبة وخوف من الأعداء والطامعين.

١٢- قربها من دول عديدة مجاورة وجزر قريبة:

كان لقرب هذه المدينة من عدد من الدول المجاورة التي كانت تزخر بحضارات وأفكار وزاد فكري وحضاري كفارس (إيران) حاليا والهند وباكستان وبعض الدول العربية كدولة الإمارات العربية المتحدة والبحرين والمملكة العربية السعودية وقربها كذلك من بعض الجزر

---

(١) حميد بن محمد بن رزيق، الشعاع الشائع باللمعان، ص٣٤٥. وراجع الفتح المبين للمؤلف نفسه ص ٣٤٧، ويقول صاحب التحفة بان الإمامة عقدت لأحمد بن سعيد سنة ١١٦٧هـ ص ١٦٩ وهي السنة نفسها التي وقعت فيها وقعة فرق كما يذكر السيابي في كتابه العنوان ص ٣١٤.

وللباحث العراقي فاضل محمد عبد الحسين جابر بحث مستفيض في هذا الأمر في رسالته للماجستير التي كانت تحت عنوان «عمان في عهد الإمام احمد بن سعيد» ص ٧٠ و٧١ و٧٢.

ارجع لكتاب عمان عبر التاريخ، الجزء الرابع لمزيد من المعلومات عن الإمام احمد بن سعيد.

(٢) المرجع السابق ص ٥٦.

(٣) ارجع إلى المصادر التي ذكرناها في بداية حديثنا عن الإمام احمد بن سعيد، وبالأخص «عمان في عهد الإمام احمد بن سعيد» كتاب «عمان في التاريخ» ص ٢٩٥.

الهامة ذات التأثير العلمي والثقافي لجزيرة قسم وجزيرة لنجة ومسندم ساعد إلى نزوح عدد كبير من أبناء هذه المناطق إلى هذه المدينة وهم يحملون معهم الزاد العلمي والثقافي الذي ساهموا به في إثراء حركتي التعليم والتأليف خلال فترة وجودهم.

١٣- تشجيع الحكام والولاة والمشائخ بالعلماء والأدباء والشعراء:

ارتبط الشعراء بالسلطة منذ قديم الزمان، يمدحون أصحابها ويمجدون سيرتهم ويتفننون ببطولاتهم ويرثونهم رثاء مرا مؤثرا عند وفاتهم.

وإذا استعرضنا التاريخ العربي منذ الجاهلية إلى يومنا هذا وجدنا ذلك واضحا للعيان، بل ويشكل حيزا كبيرا من ديوان العرب، ولعل سبب ذلك الارتباط عائد إلى التكريم الذي يلقاه هؤلاء الشعراء من أصحاب السلطة سواء كانوا ملوكا أو حكاما أو سلاطين أو ولاة أو مشائخ أو لربما يعود إلى تعلق هؤلاء الشعراء بممدوحيهم وإعجابهم الشديد بما يقومون به من عظائم الأمور وجليل الأفعال والصنائع.

والمتتبع لتاريخ الأدب العماني على امتداد العصور يجد ان الشاعر العماني لم يكن بأقل مستوى من غيره في دول أخرى إذ أن التكريم الذي يلقاه أهل العلم والأدب في عمان يدعو إلى الفخر والاعتزاز.

وإذا تتبعنا عصر بني نبهان فإننا سوف نجد مجموعة من الشعراء الذين خلدوا سيرة سلاطينهم وأشادوا ببطولاتهم وشجاعتهم.

ومن أولئك الكيذاوي والستالي واللواح الخروصي إلى جانب غيرهم من القضاة والعلماء الذين اشتهر بهم هذا العصر[١].

ولا نكاد ندخل إلى عصر اليعاربة حتى نجد علماء وشعراء معروفين أمثال خلف بن سنان الغافري ومحمد بن مسعود الصارمي وعلي بن ناصر المحروقي والحبسي وكان أكثرهم شعرا وأغزرهم الحبسي[٢].

وقيض الله للدولة البوسعيدية عددا من الشعراء الفحول أمثال الشاعر الضرير (راشد ابن سعيد الحبسي العسبي)[٣] وسالم بن محمد الدرمكي الملقب بـ (أبو الأحول)[٤] وأبو محمد ناصر الخروصي[٥] وأبو نبهان الخروصي وابن رزيق[٦] وابن شيخان الذي مدح السلطان فيصل بن تركي[٧] والعلامة الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي وأبو سليم الازكوي[٨] ومظفر ابن عرابية والمجيزي[٩].

(١) الشعر العماني: د. علي عبد الخالق علي، ص ٢٦ ومدخل إلى دراسة الأدب في عمان: احمد درويش، ص ١٢٥.
(٢) الشعر العماني، مرجع سابق ص ٣٤.
(٣) المرجع السابق، ص ٤٠.
(٤) المرجع السابق، ص ٤١.
(٥) المرجع السابق، ص ٤١.
(٦) المرجع السابق، ص ٤٢.
(٧) المرجع السابق، ص ٤٥.
(٨) المرجع السابق، ص ٤٦.
(٩) المرجع السابق ص ٤٥.

ومما تذكره المصادر العمانية من تكريم الحكام للعلماء ما قام به الإمام بلعرب بن الإمام سلطان بن سيف اليعربي من بناء مدرسة شريفة لطلبة العلم في حصن جبرين[١].

ومن العلماء الذين أكرمهم غاية الإكرام ابن عبيدان[٢]، اذ يروي حفيده ابن رزيق ان ابن عبيدان هذا كان رجلا أكولا، ففرض له الإمام في كل يوم جديا ومورة[٣] أرز زيرة ليأكل ما يقدر عليه من اللحم والأرز، ويرفع ما يبقيه لسائر المتعلمين، فوق ما تأتى إليهم من قبله من المآكل اللذيذة[٤].

وقد كان الإمام احمد بن سعيد يكرم العلماء ويعرف منزلتهم بالقدر الذي يستحقونه من ذلك إكرامه لرزيق بن بخيت من اجل نصيحته له إكراما لا يحصى، وإعادته إلى عمله بقلم الحساب في الفرضة وخطه له كتاب عهد وميثاق أشارت إليه المصادر في اكثر من موضع[٥].

كما كانت صلة حفيدة حميد بن محمد بن رزيق بالسادة البوسعيديين قوية يحضر مجالسهم منذ ان كان طفلا صغيرا وقد توطدت صداقته بالسيد حمد بن سالم بن سلطان، وكانت له ولأسرته في نفوس السادة البوسعيديين منزلة خاصة متوارثة عن الأباء والأجداد[٦].

ومما يروى عن الإمام احمد بن سعيد اهتمامه بالجانب الثقافي فكان مجلسه يضم العديد من العلماء والأدباء والشعراء والمؤرخين، كما كانت نخبة من العلماء والأدباء والقضاة تصحبه في تنقلاته وجولاته وكان يستمع إلى آرائهم ويأخذ بانتقاداتهم[٧].

وتشير كتب الأدب إلى ان السلطان فيصل بن تركي اهتم بالشعر والشعراء إلى درجة انه أنشأ سوقا للأدب ورحل إليه الشعراء مطبقين على مدحه بكل لسان[٨].

وكان يقرب الشعراء منه ويستحسن قصائدهم ويعطيهم الهبات ويجزل العطاء[٩].

إذا كان الإمام احمد بن سعيد مؤسس الدولة البوسعيدية ووالي صحار في عهد اليعاربة قد اهتم بالعلماء والأدباء وأعلى منزلتهم وقربهم منه، فان الولاة الذين جاءوا من بعده ساروا على نهجه في هذا الاحتفاء والتكريم وان لم يصل العلماء والأدباء في زمانهم إلى المنزلة والحظوة التي نالوها في عهد الامام احمد.

---

(١) الشعاع الشائع باللمعان، مرجع سابق ص ٢٦٦.
(٢) لعل المقصود هنا بابن عبيدان هو رزيق بن بخيت بن سعيد بن غسان النخلي العبيداني صاحب القصة المشهورة مع الإمام احمد بن سعيد البوسعيدي.
(٣) ربما يقصد بالمورة هي النصفية (أي نصف جونية من الرز).
(٤) المرجع السابق، ص ٢٦٦.
(٥) الفتح المبين، مرجع سابق ص ح المقدمة.
(٦) المرجع السابق ص ز «مقدمة المحقق».
(٧) عمان في عهد الإمام احمد بن سعيد، مرجع سابق ص ١٢٥.
(٨) الشعر العماني، مرجع سابق ص ٤٥.
(٩) المرجع السابق ص ٤٥.

ومن الولاة الذين تجدر الاشارة اليهم في معرض الحديث عن التكريم والاحتفاء الوالي مظفر بن سليمان والسيد حمد بن فيصل عني مظفر بالعلم والأدب وسعى جاهدا لأن يعيد لصحار ما كان لها من ازدهار ورخاء حتى ان بعض معاصريه يروون لأحفادهم كيف ان صحار اصبحت محط الانظار ومطمح الآمال لما حظيت به من اهتمام خاص من الوالي مظفر.

ومما يروى عنه كذلك ان صحار ازدهرت في فترة ولايته ازدهارا كبيرا في المجالات التجارية والزراعية والثقافية، فقد شجع على الاهتمام بالفلكلور والفنون الشعبية ومدحه مجموعة الشعراء الشعبيين (شعراء النبط) وأشاد بشجاعته ابن شيخان عندما تصدى لبعض الخارجين على النظام والقانون في المدينة[١].

ونهج السيد حمد بن فيصل سيرة من سبقوه من الولاة في تكريم العلماء والأدباء فأنشأ مدرستين في صحار ليتمكن الراغبون من أبنائها من تلقي العلم فيها على يد خيرة من الأساتذة والعلماء[٢].

وقد مدحه الشاعر إبراهيم بن سالم بن خلفان العبيداني بقصيدة طويلة وصف فيها رحلته من الشميلية إلى صحار وذكر القرى والمناطق التي مر بها يقول في سطورها[٣]:

يا برقُ ما داري المريزُ وإنما	عيشي كذا حكمت به الأيام
بلد تقضي أهله أهل الوفاء	إلا بقاياهم بقى الصمصامُ

إلى ان يقول:

شوق يحركني لكم وغرامُ	وانا بكم صب فكيف ألامُ

ويمدح السيد حمد بن فيصل بقوله:

ابنُ الملوك ومن لهم بين الملا	قصبُ السباقِ أماجدُ وفخامُ
إن أسعفوا بالفضل عم نوالُهم	ولهم إذا اشتدّ الوغى الإقدامُ

وإذا انتقلنا إلى ينقل ومشايخها فإننا سوف نجد انهم كانوا يجلّون العلماء ويقدرون الشعراء ويقربون أهله في مجالسهم وأسفارهم.

ونشير هنا إلى علمين بارزين من أعلام الغصون في تلك الفترة ذاع صيتهما وقصدهما الناس طالبين العون والمساعدة وهما الشيخ خلف بن سنان العلوي وأخوه الشيخ سليمان بن سنان العلوي.

اشتهر بالشجاعة والكرم والشهامة والبطولة حتى انهما اصبحا مضرب الأمثال في ساحل الباطنة على وجه الخصوص وفي عمان على وجه العموم.

وقد امتاز سليمان عن أخيه بموهبة الشعر وله في ذلك قصائد عديدة ضاع معظمها ولم

---

(١) ديوان ابن شيخان: الصحيح ان ابن شيخان مدح والده سليمان بن سويلم والي السيد فيصل بن تركي وليس مظفرا الذي ذكرناه، ص ٢٩.

(١) من أعلام صحار: علي بن شنين الكحالي، ص ٤٦ بحث مخطوط.

(٢) القصيدة مطبوعة ولدى الباحث نسخة منها حصل عليها من أحفاد الشاعر وابنه سالم بن إبراهيم.

يتبق منها إلا ما حفظه الرواة وتناقله الناس ولكن تربطهما علاقة حميمة مع القاضي الشيخ خلفان بن فهيم العيسائي وابنه القاضي الشيخ محمد بن خلفان بن فهيم العيسائي.

١٤- الهجرات الداخلية والخارجية:

أولا: الهجرات الداخلية:

تحدثنا في ما مر من الصفحات السابقة عن أهم أسباب الازدهار الثقافي وبينا ان تلك الأسباب شكلت عاملا مهما في هجرة الكثير من سكان عمان إلى مدينة صحار لعدة أسباب منها البحث عن الأمن والأمان وهروبا من الصراعات الداخلية الدائرة في أكثر من منطقة ومنها الرغبة في الحصول على لقمة العيش أو الحصول على مهنة أو عمل في ظل مدينة مزدهرة أيما ازدهار في شتى المجالات.

وهاجر بعض أولئك طلبا للعلم على يد علماء اشتهرت بهم صحار منذ ان دخلت في الإسلام طواعية فكانت بحق بوابة الإسلام إلى عمان.

وإذا ما أردنا ذكر المناطق العمانية التي هاجر منها بعض سكان صحار الحاليين فان المنطقة الداخلية تحتل المركز الأول وتليها الرستاق وما جاورها من ولايات نخل ووادي المعاول حسب سنة هجرة المهاجرين منها إلى صحار.

ولا يعني ذلك بأي حال من الأحوال انه لم تكن هناك هجرات من مناطق أخرى من عمان بل على العكس من ذلك فقد هاجر إلى صحار أناس قلة من بعض ولايات الباطنة كبركاء والمصنعة والخابورة وهاجر بعضهم من محافظة مسندم وبالأخص من خصب وبخا.

وقد كان من بين هؤلاء المهاجرين العالم والشاعر والصانع والحرفي وصاحب المهنة والعامل والنجار والحداد والصفار والتاجر والمزارع والراعي والطبيب.

واشترك كل هؤلاء في تكوين مجتمع تجاري اقتصادي زراعي رعوي مكتف اكتفاء ذاتيا كما كان يقوم بتصدير ما زاد عن حاجته إلى داخل عمان وخارجها.

ثانيا: الهجرات الخارجية:

بدأت الهجرات الخارجية إلى صحار منذ ان دخلت صحار بقيادة ملكي عمان عبد وجيفر ابني الجلندى إلى الإسلام طاعة مختارة فكانت بوابة الإسلام إلى عمان بل بوابة الإسلام إلى الدنيا بأسرها.

ومن أشهر الذين هاجروا إلى صحار في القرن الثالث للهجرة العلامة محمد بن محبوب ابن الرحيل الذي جاء لنشر العلم وجمع شمل الأمة على كلمة سواء.

وتتابعت الهجرات الخارجية إلى صحار فقد وفد مهاجراً إليها نخبة من أهل العلم من جزيرة قشم ومن فارس ومن بعض الدول العربية طلبا للعلم، ورغبة في استغلال الجو العلمي السائد آنذاك للدرس والتأليف والتصنيف في مختلف العلوم والفنون مما كان له الاثر الكبير. في انتعاش حركتي التأليف والتصنيف بصحار.

ثالثا: العوامل الثقافية المباشرة المؤثرة في انتعاش الحركة الثقافية بصحار:

١- السبلة العمانية:

ساهمت السبلة العمانية في عمان وفي صحار بوجه خاص على ازدهار الحركة الثقافية لما كان لها من دور ثقافي علمي بارز[١].

فقد أشرنا في بحث مستفيض إلى الأدوار التربوية والتعليمية والثقافية التي كانت تقوم بها السبلة العمانية من خلال الجلسات اليومية المتواصلة التي يقيمها العلماء والمشايخ لطلاب العلم في أكثر من مجال[٢].

وأدوار السبلة في صحار لا تختلف كثيرا عن مثيلاتها في باقي الولايات فقد ساعدت في تعليم وتثقيف قطاع كبير من الناس فخرجوا منها ينشرون العلم إلى مختلف البلدان والأصقاع وكان الناس فيها يتداولون ما حفظوه من الأشعار سواء أكان لشعراء قدامى أو لشعراء محدثين ويرددون اشهر القصائد (لأكثر من حقبة زمنية) لفحول الشعراء ومشاهيرهم ولأكثر من عصر أدبي.

٢- المدارس:

عندما نتحدث عن المدارس قد يتبادر إلى الأذهان بأنها تلك المدارس الحديثة التي تقوم على نظام معروف ولها من الطلاب والكتب والمعلمين مثل ما هو متبع في الأنظمة الحديثة (العصر الحديث) للتعليم.

ولكن المفهوم القديم لا يحمل هذا التصور بل يؤكد كونها مدارس قديمة قد تكون في السبلة وقد تكون في أحد المساجد، وقد تكون في منزل العالم[٣].

وقسم الباحث المدارس التي عرفت في صحار إلى ثلاثة أنواع هي[٤]:

أ- مدارس الكتاتيب.

ب- المداس الفكرية القديمة.

جـ - المداس العلمية الحديثة.

وتبرز لنا عدة مدارس في صحار نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر مدرسة آل الرحيل ومدرسة حبيب بن يوسف المعيني الفارسي والمدرسة الكمالية ومدرسة السيد حمد ابن فيصل بن تركي.

---

(١) سعيد بن سليمان العيسائي، السبلة العمانية ودورها الحضاري والثقافي، بحث مخطوط، الدور الثقافي.

(٢) المرجع السابق.

(٣) سعيد بن سليمان العيسائي: الجذور التراثية للفكر التربوي العماني، بحث مخطوط، وللاستزادة ارجع إلى كتاب «عمان في التاريخ» مرجع سابق، الجانب الحضاري. وكتاب عمان في عهد الإمام احمد بن سعيد، مرجع سابق، التعليم.

(٤) سنفصل القول فيها في الجداول المرفقة.

المدارس
الفكرية والعلمية في عُمان

أولا: من حيث توزيعها على المدن والولايات:

مدرسة نزوى

مدرسة بهلا

مدرسة سمائل

مدرسة الرستاق

مدرسة العوابي

مدرسة صحار

مدرسة قريات

ثانيا: من حيث توزيعها على الاهتمامات العلمية:

مدرسة العلوم الدينية

مدرسة اللغة العربية وآدابها

المدرسة التاريخية

ثالثا: المدارس العلمية والفكرية:

من حيث نسبتها إلى مؤسسيها من العلماء والأئمة:

جدول ١:

مدرسة الإمام جابر بن زيد.

مدرسة محبوب ابن الرحيل.

مدرسة العلامة موسى ابن أبي جابر.

مدرسة الضرح.

مدرسة أبي علي الحسن أبن احمد.

مدرسة العلامة صالح ابن وضاح.

جدول ٢:

مدرسة أبي علي قاضي الإمام الخليل بن شاذان.

مدرسة العلامة حبيب بن سالم بن محمد امبوسعيدي.

مدرسة العلامة أبي سعيد الكدمي.

مدرسة الدولة اليعربية.

مدسة العلامة أبي نبهان.

جدول ٣:

مدرسة الشيخ ناصر بن أبي نبهان.

مدرسة الشيخ العلامة سعيد بن خلفان الخليلي.

مدرسة الإمام الخليلي محمد بن عبد الله.

مدرسة العلامة ناصر بن مرشد الخروصي.

المدرسة الكبرى للإمام نور الدين السالمي.

جدول ٤:

مدرسة الشيخ صالح بن علي بن ناصر الحارثي بالقابل.

مدرسة المضيبي.

مدرسة الشيخ ماجد بن خميس بن راشد الكبرى.

مدرسة الشيخ إبراهيم بن سعيد العبري.

مدرسة نخل.

المراحل التعليمية حسب مؤسسات التعليم في عمان:

أولا: المرحلة الأولى (التعليم العام):

منازل العلماء.

الكتاتيب (الكتب).

المساجد .

السبلة.

المدارس.

القلاع والحصون.

ثانيا: المرحلة التعليمية الثانية (التعليم العالي):

منازل العلماء.

المساجد.

السبلة.

المدارس.

القلاع والحصون.

المكتبات .

الرحلة في طلب العلم.

المكتبات :

إن المتتبع للحركة الثقافية في هذه الولاية ومن خلال تلك العوامل التي أدت إلى انتعاشها يدرك تماما ما يمكن ان ينتج عنها من زاد علمي وافر يتمثل في الكم الهائل من الكتب والمخطوطات التي احتوت عليها منازل العلماء من أبناء هذه الولاية من خلال من وفد منهم عليها من داخل السلطنة وخارجها حاملين معهم تلك المكنونات من الذخائر العلمية التي سوف تساهم في تزويدهم بالمعرفة العلمية حيث الرجوع إليها حينما يرغبون في تصنيف التآليف المختلفة في الفقه والتفسير والتاريخ والأنساب والشعر وغيرها.

كما إنها ستكون عونا لطلابهم ومريديهم ممن يفدون عليهم من شتى الأقطار للتزود بالعلم والمعرفة جاعلين من هذه المكتبات معينهم الذي لا ينضب.

ويمكن اعتبار مكتبة آل الرحيل إحدى أهم هذه المكتبات التي غذت بلا شك مكتبات العلماء الآخرين ممن تتلمذوا وترعرعوا في كنف أبنائها.

جدول:

أشهر المكتبات القديمة عند العمانيين:

مكتبة آل الرحيل
مكتبة العلامة احمد بن النضر
مكتبة الشيخ نور الدين السالمي
مكتبة الشيخ خلف بن سنان الغافري
مكتبة الدولة اليعربية
مكتبة العلامة جميل بن خميس بن لافي السعدي
مكتبة العلامة سعيد بن احمد الكندي
مكتبة العلامة راشد بن عزيز السمائلي
مكتبة العلامة المحقق سعيد بن خلفان بن احمد بن صالح الخليلي الخروصي
مكتبة العلامة أبي نبهان جاعد بن خميس بن مبارك الخليلي الخروصي

انتعاش حركة التأليف:

تحدثنا فيما سبق عن أهم عوامل انتعاش حركة التأليف وهي هجرات العلماء من صحار واليها وانتشار المدارس وتوفر المكتبات.

كل هذه العوامل وغيرها ساعدت على انتعاش حركة التأليف التي تمثلت في ظهور بعض المؤلفات من جهة وفي ظهور نخبة من العلماء التي تفخر بهم هذه الولاية على امتداد الحقب التاريخية من جهة أخرى.

ويمكن تقسيم هذه المؤلفات إلى عدة مجالات هي:

١- المجال التاريخي: ويمثله كتاب الأنساب للمؤرخ المحقق سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري الذي طبع في جزأين وطبع الجزء الأول عام ١٩٨٤ والجزء الثاني ١٩٩٠م.

٢- المجال الديني: ونمثل له بفتاوى العلامة المحقق الشيخ حبيب بن يوسف الفارسي والذي طبع في جزأين عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٣- المجال الأدبي: ويندرج تحته كتابان هما كتاب الكامل للمبرد وسيرة الإمام ناصر بن مرشد لابن قيصر الصحاري.

٤- المجال اللغوي: وخير ما يمثله كتاب الماء لأبي محمد عبد الله بن محمد الأزدي الصحاري وهذا الكتاب أول معجم طبي لغوي في التاريخ، وقد طبع الكتاب في ثلاثة أجزاء عام ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٥- مجال الخط والقراءات: وخير ما يمثل هذين المجالين القرآن الكريم الشامل للقراءات السبع الذي خطه عبد الله بن بشير بن مسعود بن عمر العوامري الحضرمي الصحاري في شهر ربيع الأول ١١٥٧ من الهجرة المباركة.

هذا إلى جانب عدد كبير من المخطوطات في شتى العلوم والمعارف لا تزال محفوظة عند أصحابها أو في دور المخطوطات أو لدى بعض المهتمين بجمع المخطوط العماني والعربي.

أعلام صحار

أعلام ساهموا في دخول الإسلام:

شرفت هذه المدينة باحتضان عدد من العلماء والأعلام الذين كان لهم دور بارز في المجالات الدينية والسياسية والأدبية والشعرية والتاريخية على امتداد الحقب التاريخية المتعاقبة ويكفيها فخرا احتضانها لذينك العلمين البارزين عبد وجيفر ابني الجلندى اللذين كان لهما الفضل في دخول أهل عمان في الإسلام.

وكانت صحار بسببها أول من استقبل النور الإلهي لتحمله بدورها إلى كافة ربوع الأرض العمانية، ومنها إلى بقاع العالم وأصقاعه القصية كالصين والهند وشرق أفريقيا وإندونيسيا وغيرها من دول العالم.

ويقول المؤرخون بان الجلندى بن المستكبر هو أب هذين الملكين، وقد كان ملكا على عمان في الجاهلية وقد مات في الفترة التي قدم فيها عمرو بن العاص حاملا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل عمان يدعوهم فيه إلى الإسلام.

ويمكن أن نورد هذا الكتاب في الأسطر التالية:

بسم الله الرحمن الرحيم

« من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندى.

السلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوكما بدعاية الإسلام أسلما تسلما فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على

الكافرين، وإنكما إن أقررتما وليتكما، وان أبيتما ان تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما»[١].

وكان كاتب هذا الكتاب هو أبي بن كعب.

ترجمه لبعض علماء صحار وأدبائها:

سأقتصر في هذا المقام على ترجمات لأشهر علماء صحار وأدبائها، دون الإلمام بكل هؤلاء الأعلام لسببين:

أولها ان هذا البحث لم اخصصه للحديث عن أعلام صحار وعلمائها وأدبائها.

والأمر الثاني ان هناك مؤلفات عنيت بالحديث عن علماء عمان وأدبائها بمن فيهم علماء صحار، فمن أراد التوسع والاستزادة يمكنه الرجوع إلى تلك المصنفات المتخصصة ففيها الكفاية[٢].

ابن زوزان:

من أعلام صحار المشهورين الشاعر ابن زوزان وهو أبو علي محمد بن زوزان، واثبتت المصادر قصيدة مشهورة له قالها بعد ان رحل عن وطنه صحار إلى بغداد والتي يقول فيها:

لحا الله دهرا شردتني صروفه — عن الأهل حتى صرت مغتربا فردا
ألا أيها الركب اليمانون بلغوا — تحية نائي الدار، لقيتموا رشدا
إذا ما حللتم في صحار فألموا — بمسجد بشار وجوزوا به قصدا
إلى سوق أصحاب الطعام فإنه — يقابلكم بابان لم يوصدا شدا
ولم يرددا من دون صاحب حاجة — ولامرتج فضلا، ولا آملٍ رفدا
فعوجوا إلى داري هناك فسلموا — على والدي زوزان وقيتم جهدا
وقولوا له ان الليالي أوهنت — تصاريفها زندي وقد كان مشتدا
وغيبن عني كل ما قد عهدته — سوى الخلق المرضي والمذهب الأهدى

٢ - أعلام لهم مؤلفات أو مصنفات:

اذا انتقلنا للحديث عن بعض أعلام هذه المدينة من الذين كان لهم دور بارز في المجال الديني فإننا سوف نعبر على عدد لا بأس به من العلماء والأعلام الذين يزيد عددهم على ٢٥ ما بين عالم وأستاذ وفقيه وقاضٍ وخطيب وإمام وكاتب شرعي بدءا بالقرن الثاني الهجري وانتهاء بالقرن الرابع عشر الهجري.

وينقسم هؤلاء إلى قسمين: قسم منهم له من الكتب والمؤلفات ما أصبح زادا فياضا لطلاب العلم والباحثين إلى يومنا هذا ويبلغ عدد الأعلام المدرجين في هذا القسم ١٠ أعلام.

---

(١) رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم وموفدوه إلى ملوك وحكام الخليج وشبه الجزيرة العربية، تأليف فالح حنظل.

(٢) من أمثلة تلك المؤلفات:

- أعلام من صحار، للمرحوم علي بن شبيب الكمالي، بحث مخطوط.
- المكتبة العمانية، للشيخ مهنا بن خلفان بن عثمان الخروصي، بحث مخطوط.

أما القسم الآخر وهم الأعلام والعلماء الذين ليس لهم مصنفات أو مؤلفات فيبلغ عددهم (١٥) خمسة عشر علما موزعين حسب اهتماماتهم كما أشرنا إلى ذلك عند حديثنا عن أعلام القسم الأول.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا انه لم تحظ مدينة من المدن العمانية بأهمية وعلو صيت في المجالات الثقافية والسياسية والدينية والاقتصادية والحضارية كتلك التي حظيت بها مدينة صحار قبل الإسلام وبعده بقرون من الزمان.

وليس المقام هنا لبيان أهميتها التاريخية أو للحديث عن موقعها الجغرافي المتميز أو الحديث عن آثارها القديمة أو صناعاتها التي تعود إلى عصور موغلة في القدم بل الذي يهمنا هنا هو الحديث عن الدور الديني والعلمي لبعض من أعلامها على مختلف العصور.

من الأعلام الذين لهم مؤلفات:

العوتبي:

هو أبو المنذر سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري ونسب إلى عوتب وهي إحدى قرى ولاية صحار وتقع على الشارع العام المؤدي إلى مسقط.

وللعوتبي آثار خالدة نذكر منها الكتب التالية:

١- الضياء في أربعة وعشرين جزءا، (قسم منه مطبوع).

٢- الإبانة في اللغة، (مطبوع).

٣- الأنساب.

وله مقطعة شعرية يوازن فيها بين العلم والمال حيث يقول[١]:

تبا لعقل رأى مالا كمعرفة ... ما يعدل المال علما قط في سبب

المال يفنى على الأيام كثرته ... والعلم يبقى على الأيام والحقب

والعلم يقضي على الأيام محتكما ... وما على العلم حكم خط للنشب

والعلم ينجيك في دنيا وآخرة ... والمال يرديك في إثم وفي تعب

والمال فيه حساب لو تصوره ... ذو المال ودَّ افتقارا يوم منقلب

والعلم انفع ذخرا في المعاد غدا ... نعم وارفع ذكرا نال ذو حسب

ذو المال طوع لأهل العلم متبع ... لهم ومفتقر في الجد واللعب

لا فخر إلا لأهل العلم إنهمُ ... هم الهداة لذا ما جاز ذو طلب

وسنتحدث في هذا المقام عن أهم الأعلام الذين وجدت لهم مؤلفات أو مصنفات في المجالات الدينية، وهم على النحو التالي:

(١) الأنساب، للعوتبي الصحاري، المقدمة.

١- محبوب بن الرحيل:

هو الشيخ العلامة أبو سفيان محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيرة القرشي المخزومي، كان ربيبا للإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي ومن كبار تلامذته ولما رجع الربيع إلى عمان بعد ان أقام بالبصرة طويلا جاء معه محبوب فاستوطن صحار[١].

ويمكن ان نعتبره المؤسس لهذه الأسرة النجيبة التي أخرجت من الأئمة و العلماء و القضاء ما يشار إليهم بالبنان على امتداد عدة قرون.

ولعل ولادته كانت في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري لأنه كما يقول البطاشي توفي في سنة سبع ومائتين للهجرة في مكة المكرمة.

وقال عنه القطب لمحبوب قراءة يذكرها قومنا، وقال عنه أبو سنة: «محمد ومحبوب ممن أحيوا هذا الدين»[٢].

٢- عبد الله بن محمد بن محبوب بن الرحيل:

هو عبد الله بن محمد بن محبوب، تلقى العلم على يد أبيه وكان مثل أخيه علما وزهدا، وهو من مواليد صحار[٣]، في بدايات القرن الثاني للهجرة على بعض الآراء[٤]، ويقال بأنه ترك كتابا يتألف من سبعين جزءا ولكنه فقد ولم يعثر عليه[٥].

وقد توفي علمنا هذا في صحار سنة ٢٦٠ هـ.

٣- بشير بن محمد بن محبوب:

هو أبو المنذر بشير بن محمد بن محبوب الرحيلي المخزومي كان هو وأخوه الشيخ عبد الله بن محمد بن محبوب و الد الإمام سعيد بن عبد الله من كبار علماء عمان و الغاية في العلم و الفضل في أهل زمانهم[٦].

ولد في صحار في بداية القرن الثاني الهجري وتوفي فيها سنة ٢٧٣هـ، ومن مؤلفاته[٧]:

١- كتاب البستان في الأصول.

٢- كتاب الرضف في التوحيد وحدوث العالم أو المستأنف في التوحيد.

٣- أحكام القرآن و السنة.

٤- الإمامة.

٥- أسماء الدار و أحكامها.

٦- كتاب الخزانة، وقيل انه في سبعين جزءا.

٤- ابن بركة:

هو الشيخ العلامة الأصولي أبو محمد عبد الله بن محمد بن بركة السليمي البهلوي،

---

(١) الكحالي ص ٤١.
(٢) اتحاف الأعيان ص ١٦٥.
(٣) الكحالي ص ٤٣.
(٤) اتحاف الاعيان ص ١٩٥.
(٥) الاتحاف ص ٤٩.
(٦) الاتحاف ص١٩٤.
(٧) الكحالي ص ٤٤.

ومسكنه الضرح من قرية بهلا وما زال مسجده وبيته وآثار مدرسته باقية معروفة إلى الآن[1].

وهو من علماء القرن الرابع الهجري ومن أشياخه الإمام محمد بن محبوب وأبو مالك الصلاني[2].

ولد عالمنا في مدينة صحار لان قبيلته بني سليمة كانت تقطن منطقة الباطنة وما حولها في القرون الأربعة الإسلامية الأولى[3].

ولا ندري متى ولد ولعله ولد بين عقدي السبعينات والثمانينات من القرن الثالث الهجري وقد كان معاصرا وزميلا للامام سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب الرحيلي.

ومن أشهر مؤلفاته كتاب «الجامع» أو «جامع ابن بركة»[4] وكتب التقييدات أو «التقييد» ومسائل أصول الدين.

ويعالج في مقدمة كتابه «الجامع» قضايا الاخبار والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والرد على من يدعي النقصان في القرآن، وتكرير القصص والألفاظ في القرآن، وكيفية الخطاب في القرآن، والأخبار والكفاية والخاص والعام والزنا والدعاء إلى الله وشرح بعض آيات القرآن.

٥- أبو محمد العماني (المقرئ):

ويرجح الباحث ان هذا العالم من كبار علماء صحار ويرجح أيضا أنه تتلمذ على العلامة ابن بركة في القرن الرابع الهجري، كما يرى انه استفاد كثيرا منه في علم القراءات القرآنية العلامة الشيخ محبوب بن الرحيل أحد كبار علماء القرن الثاني الهجري.

واستفاد في علم الأنساب من العلامة العوتبي العماني صاحب الانساب والإبانة.

هو الحسن بن علي بن سعيد، أبو محمد العماني المقرئ[5]، ويذكره ابن رزيق في الصحيفة القحطانية، بأنه من القساملة، والقساملة هم بنو معاونة بن عمرو بن مالك بن فهم، وكان فقيها عالما بأنساب العرب وأيامها[6].

ولقد عاش هذا العالم في القرن الرابع الهجري وهو القرن الذي شهد ازدهارا علميا وفكريا متقطع النظير في صحار وفي عمان بأكملها.

ويرى بعض المؤرخين أن من مؤلفاته «القراءات الثماني» و«الوقف والابتداء» و«المرشد».

٦- عبد الله بن بشير الحضرمي:

هو عبد الله بن بشير بن مسعود بن عمر العوامري الحضرمي الصحاري وعلمنا هذا خطاط صحاري مهتم بالقراءات القرآنية وهو اتصال مبارك لتلك السلسلة الطيبة التي بدأت بمحبوب بن الرحيل مرورا بالعلامة ابن بركة وبأبي محمد العماني المقرئ. بدءا بالقرن الثاني

(١) الاتحاف ص ٢٢٦، ج ١.
(٢) المرجع السابق ص ٢٢٦.
(٣) جريدة عمان: عدد ٦١٩١.
(٤) جريدة عمان: عدد ٦١٩١.
(٥) القراءات الثماني ص ٤٢.
(٦) الاتحاف، للبطاشي ص ٢٧١.

الهجري وهي الفترة التي خط فيها العوامري القرآن الكريم بالقراءات الثماني.

وقد شهدت تلك الفترة انقطاعا دام ٧ قرون بدءا من القرن السادس وهي الفترة التي توفي فيها أبو محمد العماني إلى الفترة التي خط فيها المصحف الشريف بقراءاته السبع في القرن الثاني عشر الهجري*.

٧- الشيخ حبيب بن يوسف المعيني:

هو الشيخ حبيب بن يوسف المعيني الفارسي، ولد بجزيرة قسم في سنة ١٢٧٦هـ، وتلقى فيها علومه الأولى ثم انتقل إلى مكة المكرمة واخذ العلم على يد الشيخ عبد الحميد محش التحفة ثم عاد إلى مسقط عام ١٢٩٩[١]، ليواصل تبحره في المذهب الشافعي على يد الشيخ محمد بن صالح بن محمد بن عبد الغفور المعيني الفارسي[٢] أحد العلماء الزهاد الذين درسوا في المدرسة الدينية بقرية (مغب) التي أنشأها القواسم في مسقط[٣].

وتولى الافتاء والتدريس في المدرسة المذكورة بعد وفاة الشيخ محمد بن صالح عام ١٣٠٤هـ[٤].

ومن تلاميذه العمانيين:[٥]

- عبدالله بن محمد المجزي (صحم).
- علي بن ابراهيم كوتاه (صحار).
- محمد بن سالم (صحار).
- خاطر بن محمد بن خاطر الشبلي (صحار).

الوسواسي الودامي (المصنعة).

ومن غير العمانيين:

- الشيخ محمد بن عبد الرحمن من (جزيرة قسم).
- الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن صالح (جزيرة قسم)وهو مؤلف كتاب مطلع الأنوار البهية ومنبع الانوار الفقهية.

ومن مؤلفاته[١]:

١- نظم الدرر في بعض أقسام الحديث والخبر «نظما».

٢- كفاية الأطفال في التوحيد «نظما».

٣- قطوف دانية في التوحيد «نظما».

---

* - والسؤال الذي يطرحه الباحث: ألم تظهر طوال تلك القرون السبعة أية كتابات أو مؤلفات عمانية تتصل بالقراءات القرآنية؟

(١) الكحالي ص ٨٤.

(٢) فتاوى الشيخ حبيب ج ٢ ص «المقدمة».

(٣) مقابلة مع معالي السيد محمد بن احمد المستشار بمكتبه بمسقط.

(٤) الكحالي مرجع سابق ص ٨٤.

(٥) الكحالي مرجع سابق.

٤- اتحاف الأخوان في ذكر ما يجب على الإنسان «في التوحيد».
٥- زهرة المرام فيما يجب اعتقاده على الأنام «توحيد».
٦- سلم الإعراب في النحو ـ «نظما» وشرحه فتح الباب على سلم الإعراب.
٧- سموط الدرر في مصطلح تحفة ابن حجر وشرحها.
٨- طرفة التبيان شرح تحفة الصبيان.
٩- تنبيه اخوان السعادة على حكم إقامة الجمعة والإعادة.
١٠- نور الاعلام في إزالة الأوهام.
١١- تنبيه الجهال على ان مولد الهومة من تباشير الضلال.
١٢- الفتاوى المحققة الفقهية ـ «جزءان» (مطبوع).
١٣- رسالة النشر في مسألة النذر.

وقد توفي - رحمه الله - في بلدة مجز ليلة الأربعاء ٨ صفر سنة ١٣٢٩هـ ودفن فيها وهو من علماء القرنين الثالث والرابع عشر؟ الهجريين؟؟.

وقد كان - رحمه الله - من المقربين من السيد فيصل بن تركي وكان يحظى باحترامه وتقديره.

٨- ابن حافظ:

هو الشيخ عبدالرحمن بن محمد حافظ الانصاري الشافعي، ولد بفارس وعندما بلغ الثمانية عشرة من العمر قدم إلى دولة الإمارات العربية المتحدة إلى أبيه[٢].

تلقى العلم في اماكن عديدة ومنها مكة المكرمة على يد الشيخ عابد، ثم عاد إلى دبي.

وفي دبي تولى القضاء ونظارة احدى المدارس وبقي في النظارة حتى سنة ١٣٤٩هـ ثم اعتزل ما يزيد على ١٥ عاما كانت حافلة بالعطاء الزاخر الفياض.

ودرس في مدرسة السيد حمد بن فيصل في (الحجرة) النحو والصرف والفقه، وقد تخرج على يديه أعلام أفاضل منهم: الشيخ محمد بن احمد الخزرجي وعلي بن إبراهيم كوتاه واحمد بن عبدالمحسن وحمدان الكمشكي وغيرهم كثر.

وقد عاصر عددا من العلماء من أعلام الباطنة أمثال: عبد الله المجزي وإبراهيم بن علي كوتاه وعبدالرحمن بن قصد وعبدالرحمن بن يحيى الكمالي.

وله عدد من المؤلفات نذكر منها:

- خلاصة الفقه على مذهب الإمام الشافعي.
- طريقة المستفتي «في الفقه».
- أسعد الصلوات على سيد السادات «في الأدعية».

---

(١) الكحالي ص ٨٥، ٨٦ وكتاب الفتاوى (المقدمة).
(٢) الكحالي: مرجع سابق ص ٧٩.

وهذه الكتب كلها مطبوعة ومتداولة وتوفي - رحمه الله - في التاسع من ذي الحجة ١٣٧٣هـ، الموافق ١٩٥٣ في دبي.

٩- عبدالرحمن بن يحيى :

هو الشيخ عبدالرحمن بن احمد بن يحيى بن محمد بن كمال الكمالي وعرف بين أهل الباطنة بعبدالرحمن بن يحيى.

ولد في قرية كاروان في جزيرة الجسم، وذلك بتاريخ ٧ من المحرم ١٢٩٩هـ الموافق ١٨٨١، فهو إذن من أعلام القرن الرابع عشر الهجري[1].

تعلم العلم في مدارس الجزيرة، ثم رحل إلى مكة المكرمة ودرس على أيدي مشايخ اجلاء منهم الشيخ شعيب المالكي وظل في مكة مدة عشر سنوات، ثم عاد إلى بلده واخذ يلقي الندوات والمحاضرات في الفقه والتوحيد.

وهاجر بعد فترة إلى صحار التي أسس فيها مدرسة في فلج القبائل ليشكل مع عدد من علماء صحار كابن حافظ وابن قصد والشيخ احمد بن عبدالله وسعيد بن حمدان القاضي القصر الذهبي للعلم في هذه المدينة العريقة.

وقد ألف الشيخ كتابا في التوحيد سماه «منظومة شهود الحق» والدالية، وهي تصل إلى ٦١٨ بيتا من الشعر.

وتوفي - رحمه الله - يوم الجمعة السادس والعشرين من ذي الحجة ١٣٧٩هـ / ١٩٦٩ وقد جاوز الثمانين ودفن في جزيرة الجسم - موطنه الأول.

١٠- الشيخ أحمد بن محمد:

هو الشيخ احمد بن محمد بن عبدالله بن محمد بن احمد بن عبدالعزيز آل الشيخ.

ولد في مجيس وتعلم في كتاتيبها ثم في خصب ونهل من علم الشيخ سلطان العلماء الشيخ عبدالرحمن بن يوسف وهو من علماء القرن الرابع عشر الهجري في الجزيرة، ثم عاد إلى بلده وقد تشرب بالعلم والمعرفة وفيها تولى الإفتاء للناس.

عين نائبا للقاضي في محكمة صحار الشرعية، وظل بها حتى وافته المنية، إذ توفي في مجيس في ١٣ من جمادي الاول ١٤٠٣ هـ/ ٢٥ من فبراير ١٩٨٣، عن عمر يناهز الثمانين عاما.

وقد ترك لنا الشيخ عددا من المؤلفات منها:

١- منظومة «ظل الغمام في حقوق ذوي الأرحام».

٢- منظومة «الزهرة المنيرة في مسائل الرد الشهيرة».

٣- قصيدة الرحلة الحجازية في مناسك الحج والعمرة.

٣- أعلام ليس لهم مؤلفات أو مصنفات:

تناولنا في القسم الأول عشرة من الأعلام الذين اسهموا بدور بارز في إثراء الحركة

(١) الكحالي: ٩٠.

العلمية من خلال كتب ومؤلفات متعددة وقد خصصنا هذا الجزء للحديث عن بعض العلماء الذين اسهموا في المجال الديني من خلال تقلدهم لمناصب القضاء أو من خلال دورهم في التدريس في بعض مدارس صحار أو من خلال دورهم في الإمامة الدينية والإفتاء أو من خلال عملهم ككتاب شرعيين او من خلال جهودهم في مجال الخط والنسخ.

ويبلغ عدد هؤلاء الأعلام خمسة علماء، سنتحدث عنهم بايجاز في هذه الصفحات.

١- محمد بن محبوب:

هو محمد بن محبوب بن الرحيل ولد في صحار ونشأ في أيام غسان بن عبدالله الذي بويع إماما على عمان سنة ١٩٢هـ، وعاصر المهنا بن جيفر وتألق نجمه أيام الصلت بن مالك حيث قلده قضاء صحار سنة ٢٥٠ هـ[١].

وقد تتلمذ في رحلته العلمية على يد الشيخ الجليل موسى بن علي الأزكوي وقد تخرج على يدي الشيخ محمد بن محبوب أفاضل العلماء من أمثال:

- ولديه بشير وعبدالله.
- أبي المؤثر الصلت بن خميس.
- عزان بن الصقر.
- الفضل بن الحواري الأزكوي.

كان ورعا تقيا عالما زاهدا ولا يعرف مكانه وتوفي - رحمه الله - بعد عزل الإمام الصلت بن مالك سنة ٢٧٣هـ.

٢- الإمام سعيد بن عبدالله بن محمد بن محبوب:

هو الإمام سعيد بن عبدالله بن محمد بن محبوب بن الرحيل كان أبوه وأجداده من كبار علماء عمان، بل من كبار علماء الأمة الإسلامية على السواء.

قال عنه أحد العلماء: «لم نعلم في أئمة المسلمين كلهم لعمان افضل من سعيد بن عبدالله لأنه كان عدلا وكان عالما».

توفي - رحمه الله - سنة ٣٢٨هـ، وهي السنة التي انتخب العمانيون فيها راشد بن الوليد[٢]، ولسبب وفاته قصة ذكرها السيابي[٣].

٣- أبو مالك الصلاني:

هو غسان بن محمد بن الخضر الصلاني الصحاري، من علماء النصف الأخير من القرن الثالث الهجري[٤].

ولد في بهلا وانتقل إلى صحار وفيها تألقت شهرته؛ تلقى العلم على أيدي أفاضل العلماء

---

(١) الكحالي: ص٤٢

(٢) السيابي، «عمان في التاريخ» ص ٣٢٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٢٧.

(٤) الكمالي ص٨٢.

أمثال محمد بن محبوب وولديه بشير وعبدالله وكان تلقيه العلم أولا في بهلا ثم هاجر إلى صحار لتلقي العلم على أيدي علماء آل الرحيل.

وقد افتتح مدرسة للتعليم في بهلا ومدرسة أخرى في صحار[1].

ومن تلاميذه أبو محمد بن بركة البهلوي ولا نعرف تاريخ وفاته - رحمه الله - ولكن الأرجح انه توفي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري.

٤- محمد بن سيف الرحيلي:

هو الشيخ محمد بن سيف الرحيلي من علماء القرن الثالث عشر الهجري ولد في صحار وكان أحد العلماء البارزين في عهد السلطان فيصل بن تركي وتولى قضاء صحار وكان عالما جوادا كريما سخيا وتوفي في صحار وفيها دفن.

٥- سعيد بن حمدان «القاضي»:

هو سعيد بن حمدان بن عبدالله بن احمد بن حبيب بن جمعة التوبي الريامي من قضاة القرن الرابع عشر الهجري.

نزل جده الأول حبيب من الجبل الأخضر إلى بركة الموز واستقر بها ثم عين قاضيا في صحم ومنها انتقل إلى صحار وبقي فيها ومن قضاة هذه الأسرة حبيب ثم احمد ثم حفيده عبدالله ثم حفيده سعيد.

ولد في صحار وتفقه على يد الشيخ محمد بن سيف الرحيلي ولفقهه ونباهته عين قاضيا بمحكمة صحار وظل في القضاء ثلاثة وخمسين عاما[2].

وافته المنية في أواخر الستينات بعد صراع مرير مع المرض وخلف مكتبة علمية تضم اكثر من ١٠٠٠ مخطوطة من الكتب غير المطبوعات.

---

(١) يرجع للمدارس العلمية (للشيخ الخروصي)، مخطوط، مهنا بن خلفان الخروصي.

(٢) الكحالي، ص ٥٥.

المصادر والمراجع

١- مجلة السراج، عدد عام ١٩٩٥.
٢- السبلة العمانية ودورها الحضاري والثقافي، بحث مخطوط للكاتب.
٣- عرفان محمد حمور، أسواق العرب.
٤- عمان عبر التاريخ، سالم بن حمود السيابي.
٥- عمان في أمجادها البحرية.
٦- تحفة الأعيان، للسالمي.
٧- القلاع والحصون في عمان، مكتب نائب رئيس الوزراء لشؤون مجلس الوزراء.
٨- كشف الغمة، لسرحان بن سعيد الازكوي.
٩- عمان وتاريخها البحري، وزارة الإعلام مسقط.
١٠- الفتح المبين، لابن رزيق.
١١- عمان تاريخا وعلماء.
١٢- عمان في عهد الإمام احمد بن سعيد، فاضل محمد عبدالحسين جابر، رسالة ماجستير، جامعة البصرة.
١٣- الشعاع الشائع باللمعان، لابن رزيق.
١٤- الشعر العماني، علي عبد الخالق علي.
١٥- مدخل إلى دراسة الأدب في عمان، احمد درويش.
١٦- ديوان ابن شيخان.
١٧- من أعلام صحار، علي بن شنين الكحالي (بحث مخطوط).
١٨- قصيدة الشاعر الشيخ إبراهيم بن سالم العبيداني في مدح السيد حمد بن فيصل بن تركي.
١٩- جذور تراثية للفكر التربوي العماني، بحث مخطوط.
٢٠- القرآن الكريم الشامل للقراءات السبع، للعوامري الحضرمي الصحاري.
٢١- الأنساب للعوتبي الصحاري.
٢٢- فتاوى حبيب بن يوسف.
٢٣- الكامل للمبرد.
٢٤- سيرة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، لابن قيصر.
٢٥- كتاب الماء لأبي محمد الصحاري الأزدي.
٢٦- جريدة عمان العدد ٦٠٩١.
٢٧- التنقيب عن النحاس في صحار، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة، بسلسلة تراثنا.
٢٨- عمان في التاريخ، وزارة الإعلام ـ مسقط.
٢٩- العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام منذ ظهوره إلى قدوم البرتغاليين، د. رجب محمد عبدالحليم، مكتبة السيد محمد بن احمد البوسعيدي.
٣٠- ديوان ابن شيخان، محمد بن شيخان السالمي، أمير البيان أبو نذير.
٣١- رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم وموفدوه إلى ملوك وحكام الخليج والجزيرة العربية، فالح حنظل، المجمع الثقافي، أبو ظبي ١٩٨٧.
٣٢- المكتبة العمانية، الشيخ مهنا بن خلفان بن عثمان الخروصي، بحث مخطوط.

المداخلات

* المداخلة الأولى: كانت تعقيبا على المحاضرة وابداء بعض الملاحظات عليها منها:

- انها تتعرض بشيء من التفصيل للحركة الثقافية وانه من خلال استقراء البحث نجد انه يدور حول العوامل التي أدت الى وجود حركة ثقافية في صحار على مر التاريخ بشكل ينقصه التركيز على النتائج التي أثمرتها تلك العوامل.

- معروف ان صحار كانت عاصمة قبل الاسلام وفي بدايات العصر الإسلامي، وبحكم كونها عاصمة - بلا شك - ستكون المدينة الأولى للدولة، فيها القادة والساسة والعلماء والأدباء والشعراء وبالتالي تنشط فيها الحركة الثقافية بطبيعة الحال.

- اسرة ابن عبيدان: بالطبع من نخل وبعضهم في صحار وقد انتسب ابن رزيق الى نخل مشيرا في مداخلته الى الهجرات والتمازج الفكري والأدبي.

- رد المحاضر: بموافقة المداخل على هجرة بعض الاعلام العمانيين من أدباء وعلماء وشعراء من مساقط رؤوسهم الى مدن عمانية أخرى ومنها صحار بما توفر فيها من مناهل العلم والمعرفة والرخاء فهناك هجرات الى صحار من بعض الجزر القريبة أو من بعض الدول المجاورة حسب ما تشير المصادر انها كانت في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وكانت إما لطلب الرزق او لطلب العلم، وعلى العموم فقد كانت صحار نقطة وصل وتواصل وتآلف بين مختلف الفئات على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم.

* المداخلة الثانية: عبارة عن اضاءة جاءت حول رسالة ماجستير أفاد المداخل فيها انها تعنى بعلاقة عمان بالدولة العباسية مشيرا الى انه أثبت في بحثه ان أي نتاج فكري في بغداد أو البصرة ينعكس اثره بطريق مباشر او غير مباشر على صحار والبحث - كما أفاد في اضاءته - مطبوع مشيرا الى ان دائرة المعارف الإسلامية عندما تحدثت عن صحار أشارت الى ان هناك أسواقا قائمة بذاتها خاصة بالنسيج وصناعة النحاس وغيره، بما يؤكد على اهمية هذه المدينة على مستوى الفترات التاريخية.

* والمداخلة الثالثة: أشار فيها المداخل الى بحث مخطوط موجود في جامعة السلطان قابوس حول اعلام صحار وهجرة العلماء إليها من جزيرة قشم (قسم) متسائلا فيما اذا كان الباحث قد اطلع على المخطوط او أفاد منه.

- رد المحاضر: مجيبا بأنه اطلع على مادة هذا المخطوط وهو عبارة عن بحث فاز بمسابقة المنتدى الأدبي للمرحوم علي بن شنين الكحالي، مشيرا إلى انه اطلع على نسخة المنتدى بل اعتمد عليها في بحثه كما تشير هوامش البحث.

الخصائص الصوتية للهجة صحار

د. عبدالغفار بن محمد شريف الشيزاوي
مدرس المناهج وطرق التدريس
كلية التربية - جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا

تمهيد:

تعد دراسة اللهجات من الدراسات الهامة في ميدان الدراسات اللغوية، خاصة في الوقت الحاضر، فقد اعتنت بها الجامعات الراقية في مختلف البلدان المتقدمة علميا وثقافيا.

ونظرا لقلة الباحثين في اللهجات العربية المعاصرة واللهجات العُمانية بصورة خاصة، الأمر الذي دعا الباحث وشد من رغبته في البحث والكتابة في لهجة صحار التي تعتبر واحدة من بين اللهجات العُمانية العربية المعاصرة، ومحاولة إبراز الصلة بينها وبين اللغة العربية الفصحى، وكذلك محاولة التقريب بينها وبين الفصحى ومن ثم الارتقاء بها ما أمكن ذلك.

وقد حاول الباحث الاهتمام بدراسة اللهجة الصحارية المحكية والدارجة، وهي تلك التي تستخدم في الشؤون العادية ويجري بها الحديث اليومي، فآثر البحث في خصائصها الصوتية باعتبار ان الجانب الصوتي فيها هو الأساس في معرفة صفاتها وخصائصها وتميزها عن غيرها.

وهدف البحث إلى الوقوف على عدة أهداف، من أهمها

١- محاولة إلقاء الضوء الكاشف على قضية العلاقة بين العاميات المعاصرة- ومنها لهجة صحار- واللغة العربية الفصحى، وإبراز الصلة فيما بينها.

٢- محاولة التقريب بين اللهجات العربية العامية المعاصرة- ومن بينها اللهجة الصحارية- واللغة العربية الفصحى، والارتقاء بتلك العاميات إلى منزلتها.

٣- كشف الغاية الحسنة من دراسة اللهجات العامية العربية، وليس تلك الغاية التي تدعو إلى تحقيق الهدف الاستعماري المرفوض من إحلال العاميات بدلا عن الفصحى.

٤- المساهمة في حركة إحياء التراث العربي ووصل الحديث بالقديم والاهتمام باللغة العربية المعاصرة وما بها من لهجات واعتبارها لغة حياة، والعمل على إيجاد الطرق المناسبة لتعليمها ونشرها في مختلف الأماكن وبين الامم.

٥- معرفة الخصائص والمميزات والصفات المشتركة بين اللهجة الصحارية واللغة العربية الفصحى، وكذلك اوجه التشابه والاختلاف بينهما خاصة في المجال الصوتي.

وقد استخدم الباحث منهجا تحليليا يتمثل في التقاط الأصوات والكلام من الأفواه مباشرة عبر آلة التسجيل الإلكترونية من خلال الحديث والتخاطب والكلام الدارج على ألسنة أهل اللهجة في أحوالهم اليومية العادية، ثم تفريغ ذلك الكلام في الأوراق العادية عبر سماعه من آلة التسجيل حسب النطق للكلمات والجمل والتراكيب، وكتابته وفقا للنطق الصوتي لمتكلمي اللهجة الوارد في شريط التسجيل، وبعدها قام الباحث بتحليل تلك الأصوات وتفسيرها وفقا لصفاتها وخصائصها الواردة مستخلصا المستوى الصوتي للهجة وبنيتها وأصواتها المستخدمة وما بها من جهر وهمس ورخاوة ونبر وتسهيل.

وللدخول في موضوعات البحث يعرض الباحث نبذة سريعة للهجات أهل عُمان في الوقت الحاضر وللمجموعات التي تتكلم بلهجة صحار.

لهجة صحار والمجموعات التي تتحدثها:

اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع و اشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض وفهم ما قد يدور بينهم من حديث، فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات، وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي التي اصطلح على تسميتها باللغة، فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص[1].

واللهجة الصحارية هي جزء من اللغة العربية حيث ان لها خصائصها ولكنها تشترك مع غيرها من اللهجات العربية في مجموعة الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال متحدثيها بعضهم مع بعض وفهم ما يدور بينهم من حديث، فظواهرها اللغوية ذات اصل عربي فصيح ويستطيع متكلم اللهجة ان يفهم ما يسمعه من كلام عربي فصيح، ويقرأ كتب التراث العربي، وكل ما ينشر ويستخدم في المعاملات الرسمية وغيرها وما يدون من شعر ونثر وإنتاج فكري.

ويمكن وصف لهجة صحار بأنها نوع من اللهجة العربية العامية لأنها غالبا ما تستخدم في الشؤون العادية ويجري بها الحديث اليومي بين أفرادها، وهذه اللهجة تتميز بصفات خاصة بها وخصائص تميل إليها اكثر تتمثل في بعض أصواتها وطبيعتها وكيفية صدورها، وفي بنية بعض كلماتها ونسجها، وفي معاني بعض كلماتها ودلالتها وفي تراكيبها الخاصة بها.

(١) ابراهيم انيس، في اللهجات العربية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م، ص ١٦.

وهنا سؤال يطرح نفسه هو: كيف تكونت هذه اللهجة؟ وما هي المجموعات التي تتحدثها؟، إذا رجعنا إلى بيئة اللهجة الجغرافية والتاريخية والاجتماعية وتركيبها السكاني، نجد أن هذه اللهجة تتحدثها المجموعة السكانية القاطنة ولاية صحار التي هي مركز عُمان في الشريط الساحلي لسهل الباطنة الخصب الذي يطل على امتداد خليج عُمان والواقع جنوب ايران، ولقرب هذا الشريط من بلاد فارس نجده يتأثر بالهجرات والغزوات الفارسية وبالنزوح البلوشستاني بجانب القادمين اليه من القبائل العربية، وبحكم دور صحار كمركز إقليمي وارتباطها ببقية المناطق العُمانية وعلاقتها بالخارج، فقد لعبت دورا ثقافيا واقتصاديا في حقب تاريخية متعددة، الأمر الذي استقطب المجموعات المهاجرة والنازحة إليها مشكّلة التركيبة السكانية لولاية صحار والتي امتزجت فيما بينها مكونة المجموعة السكانية لهذه الولاية كما أن الدين الإسلامي الذي اصبح يدين به أفراد هذه المجموعة جعل من اللغة العربية لغة القرآن الكريم أن تكون القاسم المشترك ليتكلم بها كل أفراد المجموعة، وليظل هذا التركيب المزجي لا شك مؤثرا في لغة الكلام أو اللهجة العربية الدارجة فيما بين أفراد هذه الولاية.

المستوى الصوتي للهجة صحار:

أولا: البنية الصوتية للهجة:

بالنظر إلى الصفات الصوتية المختلفة في هذه اللهجة نرى أن في بعضها تغيرا في بنية كلماتها وهذا التغير ناتج عن السجية والتعود الذي مضى عليه أهل هذه اللهجة فلو أخذنا على سبيل المثال بعض الكلمات: (الدّكان، - شُوَيَّه، الدّيايْ، - غَاْويَاتْ، - وايد، - يْدِيني ... الخ). والدّكان: تعني المتجر. شُوَيَّه: قليل، الدّيايْ: الدجاج. غَاْويَاتْ: جميلات. وايد: كثير، يْدِيني: يديَّ.

فالدكان لها نطق معين ينطق بها صاحب اللهجة ، صوت الدال مجهور مرقق ولكن صوت الكاف يميل إلى صوت الجيم المجهور المرقق. ولهذا السبب وجدنا النطق المعين لهذه الكلمة.

وهكذا في كلمة (الدّيايْ) نجد ان الدال لا خلاف في نطقه عن الدال الفصحى فهو صوت شديد مجهور يتكون بان يندفع الهواء مارا بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين ثم يأخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى مخرج الصوت فينحبس هناك فترة قصيرة جدا لالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاء محكما، فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا سمع صوت انفجاري نسميه بالدال[1].

ولكن الاختلاف في صوت الياء عن نطقها بالعربية لان الكلمة في العربية تنطق (الدجاج) بإبدال الجيم ياء، فبنية الكلمة الصوتية حدث فيها تغير بإبدال حرف لآخر، فإذا أردنا أن نصف

(١) ابراهيم انيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ٤٨.

صوت الجيم نجد أن الجيم فيه اختلاف كبير بين أبناء الأمة العربية، والسبب في ذلك انه لا يوجد عندنا دليل يوضح لنا كيف كان ينطقه فصحاء العرب ولهذا السبب تطور وتغير حسب اللهجات العربية الحديثة، فكل لهجة تنطقه نطقا معينا، بعضها خالية من التعطيش كالجيم القاهرية، وبعضها بالغت في تعطيشها كالجيم السورية، وبعضهم ينطقها (دالا) ونخلص بالقول أن الجيم تباين في نطقها أبناء العرب الآن، ووصف القدماء في كتبهم لهذا الحرف فيه بعض الغموض، فلا نكاد ندري كيف كان ينطق به في عهد النبي صلى الله عليه وسلم[1].

أما صوت الياء فانه صوت غاري مجهور، وبالرجوع إلى وصف القدماء لصوت الجيم والياء كما جاء في كتاب الأصوات اللغوية للدكتور ابراهيم انيس نجد أن الصوتين مخرجهما واحد، من حروف وسط الفم فنجد وصف سيبويه: من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء.

وابن جني: ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء، أما الزمخشري في المفصل: ثم (الجيم والشين والياء) ولها حيز واحد هو وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك وهي الشجرية، والشجر مفرج الفم لان مبدأها من شجر الفم[2].

لهذا السبب نجد انه حدث تغير في نطق هذه الكلمة عن نطقها في العربية الفصحى وهكذا في بقية الكلمات وغيرها، وهناك كلمات لها اكثر من وضع وذات صيغ مختلفة فلو أخذنا كلمات مثل: وأيدْ ، يْدِيني – الشّارْجَهْ. وأيدْ: كثير. يْدِيني: يدي من اليد الجارحة. الشّارْجهْ: الشارقة أمارة ضمن دولة الإمارات العربية المتحدة.

فكلمة (وأيدْ) لها وضع اخر هو (وأجِدْ) بإبدال الياء جيما.

وكلمة (يْدِيني) تبدل إلى (إيْدِيني) بإبدال الياء همزة، وكلمة (الشّارْجهْ) تبدل إلى الشارقة بإبدال الجيم قافا وإلى (الشّارْيهْ) بإبدالهما ياء.

وإذا أريد التكلم مع النسوة أو مخاطبة امرأة فإن كاف الخطاب يتحول في اللهجة إلى حرف الشين فلو أخذنا كلمات مثل: (– قَالّش – يْسَلْمِش– صَدرِشْ – حِسّشْ – عنّشْ).

والأصل إن يقال: (قَالَ لَكِ، يُسَلِّمُكِ، صَدْرُكِ، حِسُّكِ، عَنْكِ).

فكلمة (قَالّش) اصلها في الفصحى (قال لك). مكونة من كلمتين الفعل الماضي قال ولام الجر مع كاف الخطاب، أما في اللهجة فان الكلمتين تحولتا إلى كلمة واحدة وحدث إدغام قلب الأول إلى الثاني أو إدغام لام قال في اللام الثانية بحيث اصبح كلا اللامين حرفا واحدا مشددا، وطبيعة اللهجة انها تقلب كاف الخطاب إلى صوت الشين فجاء صوت الشين بدلا عن الكاف في الكلمة وهكذا بقية الكلمات.

وإذا نظرنا إلى ظاهرة الاشتقاق في اللهجة نجد أن اللهجة يستخدم فيها الاشتقاق إلى حد

---

(١) ابراهيم انيس، الأصوات اللغوية (مرجع سابق)، ص ٨٢.
(٢) المرجع نفسه، ص ١٢٩.

كبير فلو أخذنا الفعل الماضي من – (سَوَّى) بمعنى عمل نجد انه يشتق إلى تصاريف كثيرة من الماضي إلى المضارع إلى الأمر وإلى صيغ اخرى ذات دلالة. فمن صيغ (سَوَّي– مْسَوِّى – بَسَوِّي – تْسَوِّ – بِتْسَوُا– أَسَوِّي– بِتْستوِّى– بِتْسَوُّيْه– بِتْسَوُوهْ– بِستِوى– انسَوِّيَه).

وكلمة أخرى– (ج) التي تقابلها في الفصحى (جاء) فإنها تتصرف إلى صيغ أخرى – جِيتْ – جِينَ – جَايَّهْ – بِيجِي– يجْي– اتجْى – نْجِى، جَاىْ، جُوا فالأصوات (سَ وٌ)، (جَ) التي هي جاء هذه أصوات ثلاثية وتعتبر من العناصر الأساسية في تركيب الكلمة في اللهجة أما المدود وحروف العلة والحركات فهي من العناصر الثانوية وكذلك حروف الزيادة التي تزاد على الأصوات الثلاثة على اختلاف التصاريف للكلمة، أما الحروف الزائدة على الحروف الثلاثة الأصلية في الكلمات العربية فهي محدودة محصورة جمعها علماء الصرف في (سألتمونيها) ولذلك كانت مشتقات الألفاظ جاريه على نسق واحد في العربية. فالأصوات الثلاثة الأصلية تصب في قوالب معلومة وتصاغ في أشكال محدودة لأداء أنواع المعنى أولا بإضافة حروف مخصوصة من حروف الزيادة المذكورة وذلك مثل (كاتب، ومكتوب، ومكتب وكتاب ويكتب واكتب ويكتبون ويكتبن .... الخ) وهذه القوالب أو الأشكال هي المعروفة في اللغة بالأبنية أو الأوزان[1].

ثانيا: أصوات اللهجة:

قبل الدخول في أصوات اللهجة لا بد من معرفة الصوت بصورة عامة، وما ظاهرة الصوت؟ يقول علماء الأصوات أن كل صوت مسموع يعني وجود جسم يهتز والهواء هو الناقل لهذه الهزات من مصدر الصوت في صورة موجات تصل إلى الأذن.

ودرجة الصوت كما برهن علماء الأصوات تتوقف على عدد الاهتزازات في الثانية: فإذا زادت الاهتزازات أو الذبذبات على عدد خاص ازداد الصوت حدة وبذا تختلف درجته، وعدد الاهتزازات في الثانية يسمى في الاصطلاح الصوتي التردد. فالصوت العميق عدد اهتزازاته في الثانية اقل من الصوت الحاد[2].

والصوت الانساني ينشأ من ذبذبات مصدرها الحنجرة ولكل إنسان صوت يتميز به عن غيره. والسمع له أهمية كبيرة في إدراك الصوت اللغوي.

يقول الدكتور ابراهيم انيس: تصدر الأصوات من الإنسان فتنتقل أولا خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن الإنسانية ومنها إلى المخ فتترجم هناك وتفسر فالسمع هو الحاسة الطبيعية التي لا بد منها لفهم تلك الأصوات[3]، ويقول الدكتور انيس عند تفسيره لكيفية بدء الصوت اللغوي: (على أن مرحلة الكلام عند الإنسان متأخرة

---

(١) محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨١م، ص ٧٤، ٧٥.

(٢) ابراهيم انيس، الأصوات اللغوية ، (مرجع سابق)، ص ٧.

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٣.

وان الإنسان الأول قد حاول النطق في عصوره الحجرية وكان يستغل أصوات نفسه وأصوات المظاهر الطبيعية في حاجاته الأولية. وقد ساعده ذكاؤه على ترجمة الأصوات وتفسيرها ثم تقليدها، وأدى كل هذا في آخر الأمر إلى تكون لغته ذات القواعد الأصولية)[1]
وعموما فإن البحث في هذا من موضوعات علم الأصوات الذي يدرس الأصوات اللغوية وكيفية حدوثها ومخارجها وصفاتها المختلفة. أما علماء العربية فإن جهدهم واضح في هذا الشأن ومن أشهرهم الخليل بن احمد الفراهيدي الذي وضع كتابه (العين) رتبه على حسب مخارج الأصوات، يقول الدكتور رمضان عبدالتواب: (رأى الخليل بن احمد أن الترتيب المألوف لحروف الهجاء العربية وهي : أ ب ت ث ج ح خ .. الخ إنما استمده النساخ والكتبة من الترتيب السامي القديم .. وهو ترتيب ابجد هوز .. الخ وان النساخ قد وضعوا الرموز المتشابهة الصورة بعضها بجوار بعض فآثر أن يختار ترتيبا آخر أساسه مخارج الأصوات .. فجاء ترتيبه للأصوات اللغوية في العربية على النحو التالي: (ع ح هـ خ غ/ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت ظ ذ ث / ر ل ن/ ف ب م/ و ا ى)[2].

ثم جاء تلميذه سيبويه، فذكر عدد الحروف ومخارجها ومهموسها ومجهورها وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها، وقد رتب سيبويه الأصوات العربية حسب مخارجها على النحو التال مخالفا في بعضه ترتيب الخليل: (ء أ ل هـ ع ح غ خ/ق ك / ج ش ي ض/ل ر ن/ ط د ت/ص ز س/ظ ذ ث/ف ب م و)[3].

بعد أن ذكرنا أصوات العربية الفصحى نعود إلى أصوات اللهجة التي لا تختلف عن أصوات الفصحى الا بزيادة بعض الأصوات الفرعية كصوت (الجيم) الذي فيه تعطيش في هذه اللهجة وهناك لهجات في عُمان تنطق الجيم خاليا من التعطيش كالجيم القاهرية أما في هذه اللهجة فانه يقرب من الجيم السورية.

والصوت الثاني (الكاف) القريب في نطقه من صوت الجيم المجهور المرقق والصوت الثالث (اللام) وهو نوعان كما في الفصحى مرققة ومغلظة (مفخمة) والصوت الرابع: (الياء) الذي يأتي في أثناء الكلمة على شكل ياء المد او الكسرة الطويلة.

أما صوت الضاد فانه لا يستعمل الا نادرا وفي الغالب ينطق به ظاء كما في: يظَّارْبوًا – بِظْرُوسْهَ – ظَرَبهْاَ – قَاُبظْ – ظَرْبوًا، وعموما فان الضاد تقلب في اللهجة إلى صوت الظاء.

ثالثا: أصوات غير موجودة في العربية الفصحى:

عرفنا أن أصوات اللهجة هي نفسها أصوات العربية الفصحى لا يوجد فيها اختلاف سوى الزيادات. او ما تسمى بالحروف الفرعية التي تطورت نتيجة المحادثة بين أبناء اللهجة،

---

(١) المرجع نفسه، ص ١١، ١٢.

(٢) رمضان عبدالتواب، المدخل إلى علم اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ١٤، ١٥.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٦.

ونتيجة اتفاقات ومصادفات كامتزاج أبناء اللهجة مع غيرهم من اللغات واللهجات القريبة من المنطقة وسفر كثير من أبناء اللهجة إلى البلدان المجاورة، كالبلاد الهندية والبلدان الخليجية للعمل والتجارة، والتقاء أبناء اللهجة باللغات واللهجات الأخرى ، كل هذه الظروف سواء كانت ظروفا تاريخية، من هجرات وأسفار وحروب أم ظروفا بيئية وطبيعية، أثرت بدورها على نطق بعض الأصوات وأحدثت في كثير من الكلمات تبدلات صوتية بل أثرت في تفاعل الأصوات وتأثيرها بعضها في بعض أثناء التركيب، فلو حاولنا أن نصف هذه الحروف الزائدة أو الفرعية– وهذه التسمية ربما تكون أصوب عن تسميتها أصوات غير موجودة في العربية الفصحى لانها قد تكون موجودة ولكنها ليست من الأصوات الأساسية او الحروف الاصول المعروفة، بل هي من الأصوات الفرعية التي عبر عنها سيبويه حينما ذكر عدد الحروف العربية وان اصلها تسعة وعشرون حرفا بعدها قال: (وتكون خمسة وثلاثين حرفا بحروف هن فروع واصلها من التسعة والعشرين وتكون اثنين وأربعين حرفا بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترضى عربيته)[1].

وهذه الحروف هي:

١- الجيم التي كالشين في الكلمات الآتية:

(بِيجِي – يجْي – اجيبْ – جِينَ – جَاتْ – خَديجَهْ) فإن الجيم فيها شيء من التعطيش وتختلف عن الفصحى وان لم يكن لدينا دليل – كما يقول الدكتور انيس – يوضح لنا كيف كان ينطق بالجيم بين فصحاء العرب لأنها تطورت تطورا كبيرا في اللهجات العربية الحديثة، فطورا نسمعها في ألسنة القاهريين خالية من التعطيش وهي جيم أقصى الحنك وحينا نجدها وقد بولغ في تعطيشها كما هو الحال في سوريا، وأخرى نجدها صوتا آخر يبعد إلى حد كبير عن الصوت الأصلي مثل نطق بعض أهالي الصعيد حين ينطقون بها (دالا) ويظهر أن الجيم التي تسمعها الآن من مجيدي القراءة القرآنية هي اقرب الجميع إلى الجيم الأصلية أن لم تكن هي نفسها، والجيم التي نسمعها الآن من مجيدي القراءة صوت مجهور[2].

وتختلف اللهجات العربية الحديثة في نطقها للجيم ولعل جيم اللهجة قريبة من الفصحى لان نطقها وسطا بين شدة الدال وشيء من التعطيش.

٢- الكاف التي بين الجيم والكاف:

الكاف الفصحى صوت شديد مهموس أما كاف اللهجة فإنه يأتي بين الجيم المجهور المرقق، والذي فيه شيء من التعطيش ويظهر في الكلمات الآتية:

(الدّكَان – كِيفْ – بَاكِرْ – مكَانْ).

---

(١) من نصوص الكتاب لسيبويه ص ٤٠١ – ٤٣٦ الجزء الرابع ضمن محاضرات الدكتور سعد مصلوح في مادة بنية اللغة العربية التي ألقاها على طلاب الدبلوم العالي في معهد الخرطوم للغة العربية سنة ١٩٨٧.

(٢) ابراهيم انيس، الأصوات اللغوية، (مرجع سابق)، ص ٧٧.

٣- اللام المفخمة:

وتسمى المغلطة يقول الدكتور ابراهيم انيس: (على أن الاصل في اللام العربية الترقيق، ولا يجوز الرجوع عن هذا الأصل عند جمهور القراء الا بشرطين:

أ.) أن يجاور اللام أحد أصوات الاستعلاء (ولا سيما الصاد والطاء والظاء) ساكنا أو مفتوحا.

ب.) أن تكون اللام نفسها مفتوحة. مثل قوله تعالى (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) وقوله عز وجل (سيصلى نارا ذات لهب) ويقول: اللام صوت متوسط بين الشدة والرخاوة ومجهور أيضا[1].

وإذا رجعنا إلى مثل الكلمات التي تغلظ فيها اللام في اللهجة (مْخَلّصْ - خَلّصْنَ - خَلّصْ) من اصل الحروف خ ل ص فإننا نجد ان اللام تجاور حرفين من حروف الاستعلاء وهما الخاء والصاد كما ان اللام نفسها مفتوحة. إذن فلام اللهجة له اصل في الفصحى وان كان الأصل في اللام العربية الترقيق.

٤- الياء:

وتأتي أثناء الكلمات غالبا ممدودة، وهي الكسرة الطويلة ولعلها ضمن الأصوات التي عدها الدكتور انيس ضمن أشباه أصوات اللين حيث يقول: هناك صوتان بين الأصوات اللغوية يستحقان دائما أن يعالجا علاجا خاصا لأن موضع اللسان معهما قريب الشبه بموضعه مع أصوات اللين ومع هذا فقد دلت التجارب الدقيقة على أننا نسمع لهما نوعا ضعيفا من الحفيف وهذان الصوتان هما ما اصطلح علماء العربية على تسميتهما بالياء والواو في مثل: (بيت، يوم) ففي تكوّن (الياء) نلحظ أن اللسان يكون تقريبا في موضع النطق بصوت اللين[2] فالكلمات الاتية: (عَليكمْ - ما خَطِيناهَ - عَلِينَ - خَلّيتيِ - اسْبوعِين - اللّيل - كْوِيتيهْ - إلِين) الياء في هذه الكلمات ياء مماله أو ياء شبيهة بصوت اللين.

رابعا: الخصائص الصوتية للهجة:

البحث في هذه اللهجة يجرنا إلى الكلام عن خصائص وبعض الصفات التي تتميز بها عن غيرها من اللهجات الحديثة ولا شك أن تلك الخصائص تكونت نتيجة التأثيرات البيئية والحضارية ودور الأجيال من جيل إلى جيل مما جعل لها خصائص وكيان مستقل، ان اكثر اللهجات الحديثة غير مدونة بل لم تجد عناية عند الباحثين إلا نادرا، وبما أن اللهجات يتحدث بها العامة، والعامة كما نعلم لا يتقيدون بقواعد معينة، وإنما يتكلمون لغتهم سليقة من غير قاعدة وان كانوا يتقيدون بقواعد عامة، أما القواعد الفرعية فانهم لا يلتفتون إليها، ومع تطور الزمن ومجيء جيل بعد جيل أدى إلى تباين هذه اللهجات، واتخذت أشكالا

(١) المرجع نفسه، ص ٦٤.

(١) المرجع نفسه، ص ٤٢.

وصورا مختلفة، وصار لها فروق خطيرة تبتعد أحيانا عن العربية الفصحى، هذا إلى جانب ان هذه اللهجات لم تجد لها رقيبا، وهذه اللهجة التي نحن بصددها من بين هذه اللهجات فلم تجد من يدونها ويسجلها فتعرضت لعوامل التطور اللغوي، وإلى أخطاء الناشئين فتركت دون إصلاح. ومن هذه الخصائص:

أ- جهر الصوت وهمسه:

من الخصائص الصوتية للهجة (الجهر والهمس) فالجهر هو ان تهتز الأوتار الصوتية وتتذبذب والهمس: لا تهتز معه الأوتار الصوتية ولا يسمع لها رنين حين النطق بالصوت المهموس، والأصوات الساكنة المجهورة في اللغة العربية كما تبرهن عليها التجارب الحديثة هي ثلاثة عشر: (ب ج د ذ ر ز ظ ع غ ل م ن) يضاف إليها كل أصوات اللين vowels بما فيها الواو والياء في حين أن الأصوات المهموسة هي اثنا عشر : (ت ث ح خ س ش ص ط ف ق ك هـ)[1].

هذه هي الأصوات المجهورة والمهموسة في العربية الفصحى، أما اللهجة الصحارية فإننا نجدها تميل إلى الأصوات المهموسة اكثر منها عن المجهورة ولا غرابة في ذلك، لان بيئتها بيئة المدينة التي يتحدث بها بين جدران المنازل وفي الجلسات الشعبية المحلية، وأهلها أهل استقرار ومسكنهم على الساحل ومن المعروف ان أهل الساحل يميلون إلى الاستقرار والتحضر والرفاهية ويميلون إلى حياة الرقة وخاصة نساء هذه البيئات، يقول الدكتور ابراهيم انيس: (لهذا كان من المعقول بل ومن المشاهد ان البيئات المتمدينة التي تتحدث بين جدران المنازل والتي لا ترى داعيا لوضوح الصوت بنسبة اكبر مما يتطلبه السامع القريب، تميل عادة إلى همس الأصوات)[2] فكلمة (حسبته) اغلب أصواتها مهموسة الحاء والسين والتاء والهاء، وهذه الكلمة تأتي كثيرا على أفواه المتكلمين باللهجة يقول (إنْ حَسَّبْتَهْ حَسَّبْتْ حَسَّبْتِنِي يحسب يَحُسَّبْ (يَحْسُّبْ) (مْحَسَّبْ) (حَسَّبيتْ)) مأخوذة من حَسِبَ التي هي من أخوات ظن (حَسبْتُ وظَنَنْتُ) وكلمة (حَصَّلْتْ) الحاء والصاد والتاء كلها أصوات مهموسة، وهذه الكلمة كثيرا ما تأتي في الكلام المتداول بين أصحاب اللهجة يقول: (ما حَصَّلْتْ في الدِّكَانْ) ومن صيغها المستعملة (حَصَّل) (حَصَّلِيت) (مْحَصَّل) (حَصَّلْتَهْ) (حَصَّلْتني) (يْحَصَّل) (الحاصِل).

وانظر إلى كلمة (بيصطاخ) بمعنى (يسمع) تجدها ذات أصوات مهموسة الصاد والطاء والخاء هذه الأصوات سيطرت على الكلمة مما جعل الهمس واضحا فيها، وإذا بحثنا في هذه الكلمة لربما نجدها قد انحدرت من كلمة (صه) بمعنى انصت لأنها تستعمل في بعض

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢١.

(٢) ابراهيم انيس، في اللهجات العربية (مرجع سابق) ص ١٠٦.

اللهجات العُمانية (صُخْ) وفي هذه اللهجة (اصْطَاخْ) فهناك حدث إبدال بين الهاء والخاء وكلا الصوتين مهموسان ومرققان، وفي هذه اللهجة زيد في الكلمة صوت الطاء وألف المد او حركة الفتح الطويلة، والطاء التي زيدت في الكلمة أيضا من الأصوات المهموسة.

وانظر إلى كلمة (تتسبح) بمعنى تغتسل المشتقه من (س ب ح) يسبح سباحة، والسباحة بمعنى العوم في الماء، هذه الكلمة أصواتها اغلبها مهموسة التاء الأولى والثانية والسين والحاء. فهناك كلمات كثيرة ذات أصوات مهموسة ترد على ألسنة المتكلمين باللهجة، وهذا لا يعني ان اللهجة لا تستعمل الأصوات المجهورة، فقد تأتي الأصوات المجهورة في كثير من الكلمات ولكن الصفة الغالبة للهجة أنها تميل إلى الهمس في أصواتها، اذن فلا غرابة ان نجد مثل كلمة (حِسّشْ) كل أصواتها مهموسة.

ب- الميل إلى الأصوات الرخوة:

تنقسم الأصوات إلى شديدة ورخوة ومتوسطة، فالشديدة هي التي يمتنع الصوت أن يجري معها مثل: القاف والطاء فلا يمكنك ان تمد صوتك فيها في قولك الحق والشط مثلا وهذه الحروف هي: (ا، ق ، ك ، ج ، ط ، د ، ت ، ب) ويجمعها قولك (أجدك طبقت) والرخوة هي التي يجري فيها الصوت كالسين والشين والحاء في المس والرش والشح.

والمتوسطة بين الشديدة والرخوة ويجمعها قولك (لم يروعنا)[1]، أما الدكتور إبراهيم أنيس فإنه ذكر الأصوات العربية الشديدة كما تؤيدها التجارب الحديثة هي: (ب ت د ط ض ك ق) والجيم القاهرية ، والأصوات الرخوة هي مرتبة حسب نسبة رخاوتها: (س ز ص ش ذ ث ظ ف هـ ح خ ع)[2].

إلا انهم حين ينطقون صوت الضاد فانهم يميلون إلى نطقه بالظاء فيميلون فيه من الشدة إلى الرخاوة الموجودة في صوت الظاء وكذلك الجيم الشديدة يرخونها لميلهم إلى تعطيش الجيم وفي اغلب نطقهم يميلون بصورة عامة إلى الأصوات الرخوة، ولا غرابة في ذلك لانهم يعيشون في المدن وعلى الساحل واقصد به (خليج عُمان) يقول الدكتور انيس: (في حين ان أهل المدن المتحضرة يميلون إلى رخاوة تلك الأصوات الشديدة بوجه عام إذ فيها من التؤدة والليونة ما ينسجم مع بيئتهم وطبيعتهم)[3] واليك بعض الكلمات ذات الأصوات الرخوة، علما بأن الكلمات الرخوة تكاد تسيطر على كلمات اللهجة ولكن نقتصر بذكر بعض الكلمات. فانظر إلى كلمة (قَالِّشْ) التي اصلها في الفصحى (قَالَ لَكِ) فالكاف الشديدة تبدل إلى شين إذا أريد خطاب المؤنث وكلمة (بِيْجِي)

---

(١) محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، (مرجع سابق)، ص ٥١.

(٢) ابراهيم انيس، الأصوات اللغوية، (مرجع سابق)، ص ٢٢ – ٢٦.

(٣) ابراهيم انيس، في اللهجات العربية، (مرجع سابق)، ص ١٠٠.

من الفعل جاء وبيجى تقابلها في الفصحى (يجئ) الفعل المضارع فإننا نجد الكلمة فيها رخاوة في اللهجة لان جيم اللهجة صوت رخو وعند نطق الكلمة يميلون الجيم ولا ينطقون بالياء اللينة.

وكلمة (حَويشْ) تقابلها في الفصحى لماذا وتستخدم للاستفهام فإن الأصوات الرخوة ظاهرة فيها فالحاء والشين من الأصوات الرخوة.

جـ- المقطع الصوتي:

الكلام المتصل ينقسم إلى مقاطع صوتية وبها يعرف كيفية ترتيب أصوات الكلمة ونسجها فهي كمية من الأصوات تحتوي على حركة واحدة ويمكن الابتداء بها والوقوف عليها[1].

والمقاطع الصوتية نوعان: متحرك open وساكن closed والمقطع المتحرك هو الذي ينتهي بصوت لين قصير أو طويل، أما المقطع الساكن فهو الذي ينتهي بصوت ساكن[2].

فلو أخذنا كلمة (كتب) تحتوي على مقاطع ثلاثة قصيرة (ka+ta+ba) فقد جاء المقطع القصير مفتوحا. يقول الدكتور إبراهيم أنيس: (إذا التقى في الكلام صوتا لين يكوّن منهما عادة صوت وأحد اقل وضوحا في السمع ويخرج بهذا عن صفات أصوات اللين، فيصبح صوتا ساكنا أو شبيها بأصوات اللين، والتقاء صوتي لين ينتج لنا عادة أحد الصوتين الانتقاليين اللذين نسميهما (الواو) (والياء) . والتقاء صوتي لين أحدهما مقطعي والأخر غير مقطعي ينتج عادة ذلك الصوت المركب الذي يسمى (Diphthong) وإذا كان المقطع منهما أولا سمي الـ(Diphthong) هابطا (falling) وهو الشائع في اللغة الإنجليزية، وأما إذا كان غير المقطعي هو الأول سمي الـ(iphthong) صاعدا (Rising) وتشمل اللغة العربية على النوعين فالهابط في مثل (بيت) والصاعد في مثل (يسر) وقد مالت اللغة العربية في تطورها إلى التخلص من النوع الأول فقد انقلب في معظم اللهجات العربية الحديثة إلى صوت لين طويل كما في نطق المصريين الآن لكلمتي (بيت وحوض))[3] واللهجة الصحارية شأنها شأن اللهجات العربية الحديثة في التخلص من النوع الأول وانقلابه إلى صوت لين طويل، فهناك كلمات كثيرة مثل: حويش – بيجي – عَلِيكُمْ – الْيُومْ – انْزِين – وِيشْ – عَلِيهْ – كِيهْ – بَغِيتْ. وكلمة حَوِيشْ تعني: لماذا في الفصحى، بيجي: سيجيء، فهنا الياء صوت لين من النوع الهابط وإذا قلت يجي فانه من النوع الصاعد. وكلمة انزِينْ تعني: نعم، وكلمة ويش تعني: ماذا. أما كلمة عَلِيهْ فان لها معاني كثيرة وفي هذه العبارة (أَنَا عَلِيهْ) أي أنا مثله.

ولفظة (كِيهْ) تأتي غالبا في بداية الكلام أو العبارة أو القول وذلك لتثبيته. أما كلمة بغيت فإنها تعني أردت.

---

(١) رمضان عبدالتواب، المدخل إلى علم اللغة، (مرجع سابق)، ص ١٠١.

(١) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، (مرجع سابق)، ص ١٦٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٦١.

واللهجة الصحارية تميل غالبا إلى المقاطع الساكنة وهي التي تنتهي بصوت ساكن انظر إلى كلمة (قَالّشْ – مْخَلّصْ – مْوَغر – جيتْ – أَجيبْ – تْشِلْ –تِنشَلْ) فإن مقاطعها ساكنة وقد انتهت بصوت ساكن. فلو أخذنا كلمة (قَالّشْ) فان مقاطعها:

صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن + صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن.

ويمكن بيانها هكذا:

ق – ل ل –ش.

وكلمة مْخَلّصْ بمعنى منتهي.

صوتان ساكنان + صوت لين قصير + صوتان ساكنان + صوت لين قصير + صوت ساكن.

ويمكن كتابتها: م خَ – ل – ص.

وكلمة مْوَغر تعني مسلوق

جيتْ: جئت.

أَجيبْ: أحضر.

تْشِلْ: تحمل وتِنشِلْ: تحمل.

وتشِلّ مشتقة من كلمة (شَلّ) ويمكن النظر إلى مقاطعها الصوتية كالتالي: صوت ساكن + صوت لين قصير + صوتان ساكنان + صوت لين قصير + صوت ساكن.

ويمكن كتابتها: تـ –ن ش –ل.

د- النبر:

لكل لغة خاصية تختص بها، من هذه الخاصيات ما يسمى بالنبر ولقد حاول علماء اللغة أن يعرفوا هذا النبر ومواضعه في اللغة، إذا ما هو النبر؟

يقول الدكتور إبراهيم أنيس: (النبر هو نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد ويقول أيضا (والمرء حين ينطق بلغته يميل عادة إلى الضغط على مقطع خاص من كل كلمة ليجعله بارزا أوضح في السمع من غيره من مقاطع الكلمة وهذا الضغط هو الذي نسميه بالنبر)[1].

واللغات لها قواعد وقوانين خاصة بمواضع النبر، أما اللغة العربية الفصحى فقد اختلفت آراء العلماء حول مكان وجود النبر فيها فقد أورد الدكتور رمضان عبدالتواب في كتابه المدخل إلى علم اللغة)[2] آراء لعلماء اللغة يقول بروكلمان: (في اللغة العربية القديمة يدخل نوع من النبر تغلب عليه الموسيقية ويتوقف على كمية المقطع فإنه يسير من مؤخرة الكلمة

(١) المرجع نفسه، ص ١٦٩.

(٢) رمضان عبدالتواب، المدخل إلى علم اللغة، (مرجع سابق)، ص ١٠٣، ١٠٤.

نحو مقدمتها حتى يقابل مقطعا طويلا فيقف عنده، فإذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل فان النبر يقع على المقطع الأول منها).

إما الدكتور إبراهيم أنيس فإنه يسلم بأنه (ليس لدينا من دليل يهدينا إلى موضع النبر في اللغة العربية كما كان ينطق بها في العصور الإسلامية الأولى إذ لم يتعرض له أحد من المؤلفين القدماء، أما كما ينطق بها قراء القرآن الآن في مصر فلها قانون تخضع له ولا تكاد تشذ عنه). ولقد أورد أمثلة للنبر ومكان وقوعه في الكلمات، ففي الوقف على (نستعين) في قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) أو على (المستقر) في قوله تعالى (إلى ربك يومئذ المستقر) نجد النبر على المقطعين (عين).

أما اللهجات العربية الحديثة فإنها تختلف عن بعضها في مواضع النبر ولكل منها قوانينها الخاصة فيه، ولو نظرنا في اللهجة الصحارية وأخذنا كلمات مثل (قَالّشْ، مْسَوِّي، حَسَّبْتّهْ، ضَايْعَهْ) (٤٠ – شَلّتُهْ) (٦١– عَقّتُهْ)، فإننا نلحظ النبر في المقاطع قبل الأخيرة من الكلمات أي في (لّش) (وِّي) (تّهْ) (عَهْ) (تُهْ) في الكلمتين الأخيرتين.

أما في الفعل الثلاثي مثل (سِرْنَ) (جِينَ) (جِيتْ) (شِفْنَ) (قَاليّ) ، فالنبر يكون في المقطع الثالث حين تعد المقاطع من آخر الكلمة أي في (س ،جِ، جِ، ش ،قَ) وكذلك في كلمات امثال (مَرَقْ وَايِدْ قَابُظْ نَايِمْ) تجد النبر يقع على (مَ، وَ، قَ، ن).

هذه بعض كلمات أوردناها كأمثلة على مواضع النبر وكيفية وقوعه في كلمات اللهجة الصحارية ونخلص ان النبر موجود في هذه اللهجة، ويكون حين تسمع الكلمة وفي صوتها المنبور شدة وارتفاعا.

هـ- الميل إلى تسهيل الهمزة:

تروي كتب اللغة أن التزام الهمزة وتحقيقها من خصائص قبيلة تميم وأن القرشيين يتخلصون منها بحذفها وتسهيلها أو قلبها إلى حرف مد، ويذكر ان أحد الرواة سأل رجلا من قريش قائلا: أتهمز الفأرة؟ فلم يفطن المسؤول لما أراد السائل وأجاب ساخرا: إنما يهمزها القط.

إذن قبيلة تميم تقول: رأس، بئر، لؤم

وقريش تقول: راس، بير، لوم

لقد نزل القرآن الكريم موافقا لقبيلة تميم في تحقيق الهمز ومخالفا قبيلة قريش وما كان غالبا عند أهل الحجاز من تسهيلها، قال تعالى (وبئس المهاد)[1] (واصبح فؤاد أم موسى فارغا)[2]، (خاسئا وهو حسير)[3].

يقول الدكتور إبراهيم أنيس: (نستطيع إذن أن نرجع تلك الروايات التي نسبت تحقيق

(١) سورة البقرة الآية ٢٠٦.

(٢) سورة القصص الآية ١٠.

(٣) سورة الملك الآية ٤.

الهمزة لتميم وغيرهم من قبائل وسط الجزيرة وشرقيها وان ننسب التخلص من الهمزة لمعظم البيئة الحجازية)[1].

لقد مالت كل اللهجات السامية إلى التخلص من الهمزة، واللهجات العربية كما نعلم لا تلتزم دائما حالة واحدة في كل صفاتها بل أحيانا تخرج عن تلك الظاهرة التي اختصت بها وإذا رجعنا إلى اللهجة الصحارية فإننا نجدها تميل إلى تسهيل الهمزة اكثر من تحقيقها ونلحظ ذلك في الكلمات أمثال:

(يْديني) (دَايِماً) (نَايِمْ) (اللّوادِمْ: أي الناس) (فوَادْكُمْ) وقد جاء في المثل المحلي للهجة قولهم: (انتوا فوَادْكُمْ في السحة وفوادْكُمْ في الْمحَّةْ) والسَّحةُ تعني التمرة والمحة تعني صفار البيضة، ويطلق المثل للذي يتعلق فؤاده على شيئين في آن واحد.

إذن من هذه الكلمات نلحظ ان اللهجة الصحارية تميل إلى تسهيل الهمزة على انها لا تلتزم دائما هذه الصفة بل أحيانا تخرج عنها لظروف لغوية خاصة، فتقول في يْديني: إيْديني ويقصد بها يدي وتقول: نائم، الأوادم (أي الناس)، رأس، ولكنها تغلب عليها صفة تسهيل الهمز بل وتميل إليه اكثر في كلامها.

و- المماثلة والمجاورة:

لقد آثر الباحث ذكر هذين المصطلحين لأنه يراهما اكثر شيوعا واستخداما وورودا في كتب المحدثين من علماء اللغة، فقد أطلق عليها الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه الأصوات اللغوية كلمة (المماثلة) لان شرط تأثير الأصوات المتجاورة بعضها ببعض كما يقول ان تكون متشابهة في المخرج أو الصفة وهذا يعني إذا اجتمع صوتان متماثلان فانه يؤثر أحد الصوتين في الآخر تأثيرا تختلف نسبته.

ولقد اطلق عليه القدماء مصطلح (الإدغام) وهو كما جاء في كتب التجويد تعريفه لغة: ادخال الشيء في الشيء، واصطلاحا: النطق بالحرفين حرفا كالثاني مشددا[2] ويشير إليه المحدثون بتأثر الأصوات بعضها ببعض حين تتجاور ويقسم المحدثون تأثر الأصوات إلى نوعين[3]:

١- رجعي: Regressive وفيه يتأثر الصوت الأول بالثاني.
٢- تقدمي: Progressive وفيه يتأثر الصوت الثاني بالأول.

واللغات تختلف في إدغامها للأصوات بالنسبة لخضوعها إلى هذين النوعين فمنها ما يؤثر النوع الأول ومنها ما يؤثر النوع الثاني، على ان اللغة العربية قد اشتملت على هذين النوعين وان كان الأول اكثر شيوعا وورودا في كتب القراءات القرانية أي التأثير الرجعي وهو الذي فيه يتأثر الصوت الأول بالثاني وقد ورد في القرآن الكريم (ومن يرتد)، (ومن

---

(١) إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، (مرجع سابق)، ص٧٦.
(٢) محمد سالم محيسن، مرشد المريد إلى علم التجويد، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٧٠م، ص ٦.
(٣) إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، (مرجع سابق)، ص ٧٠.

يشاق الله)، (أن يقولون)، (من نعمة)، (من ملجأ)، (لئن لم ينته) ، (من ربهم) هذه بعض أمثلة على إدغام النون الساكنة إذا جاء بعدها أحد هذه الحروف المجموعة في كلمة (يرملون).
يقول جريرا:

فغض الطرف انك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا

ولو نظرنا إلى كلمات من صيغة (افتعل) (ذكر، دعا، زاد) هي في الأصل (اذتكر، ادتعي، ازتاد) اجتمع في كل من هذه الكلمات صوتان متجاوران فتأثر الثاني بالأول والتاء صارت دالا فأصبحت هكذا: (اذدكر، ادعى، ازداد) ثم حذفت الدال فصارت الكلمات (اذكر، ادعى، ازداد)، وهكذا في كلمات مثل : (ظلم، ضرب، صبر) فإننا نجد صيغها في الأصل (اظّلم، اضرب، اصبر) ثم انقبت إلى (اظضلم، اضطرب، اصطبر) ومنها إلى (اظلم، اضرب، اصبر).

إن اللهجات العربية المعاصرة ومنها اللهجة الصحارية تأثرت كثيرا بظاهرة المجاورة الصوتية وتأثرت أصوات الكلمة بعضها ببعض وخاصة عندما يكون هناك اتصال في النطق بين الأصوات والكلمات، وحينما يكون الكلام والنطق متواصلا فانظر إلى كلمات مثل:
قَالّشْ، مْسوّي، حَسّبْتّهْ
حَصّلْتْ، خَلّيتّهْ، شَلّتّهْ

هذه الكلمات فيها إدغام وهو إدخال حرف ساكن في حرف متحرك بحيث اصبح الحرفان حرفا وأحدا مشددا وكذلك كلمات مثل:
عدّلِتّهْ، يِضّاربْوا.

فإن عّدلته من الفعل عدل بمعنى اصلح عتدل، قلبت إلى عددل ثم صارت عدّل بإدغام الحرفين المتماثلين كل منهما في الآخر والإدغام هنا يعتبر إدغاما رجعيا لتأثر الصوت الأول بالثاني. وكذلك في كلمة يضاربوا اصلها يتضاربوا من الفعل اضرب الذي صيغته في الأصل اضترب.

وكما نعلم أن أصوات الكلمة تتأثر بعضها ببعض في النطق المتصل والسرعة النطقية المتواصلة ونلحظ ذلك في كلمات مثل:
(وَدْ) (اللّوادِمْ).

فإن (وَدْ) اصلها ولد نتيجة للسرعة النطقية حذف اللام منها وكذلك في كلمة (اللوادم) اصلها الأوادم ويقصد بها الناس وهي مأخوذة من الأدمي فإن الهمزة قلبت إلى اللام نتيجة للنطق المتصل في الكلمة.

وهناك كلمات تدغم أواخر أصواتها في بداية أصوات الكلمة الثانية فتصير كلمة واحدة امثال:
(خنّسْيانْ) (أوّلمْسْ) (دِكِساّعهْ).

فإن كلمة حنسيان اصلها مركبة من كلمتين وهما: حال بمعنى حرف الجر وهو اللام وكلمة النسيان وهي اسم، فالكلمة تتكون من حرف + اسم، ادغم كل منهما في الآخر بحيث اصبحا كلمة وأحدة.

وكلمة (أولمس) مركبة من كلمتين أول + أمس، ويراد من هذا التركيب (أمس الماضي) فمجئ الهمزة بعد اللام فيه عسر في نطقها، ومن عادة هذه اللهجة تسهيل الهمزة لذلك قلبتها إلى لام فصارت الكلمة (أول لمس) اجتمع في الكلمتين لامان متماثلان ادغما في بعضهما إدغاما رجعيا بحيث صارا لاما واحدة في الكلمتين مما جعلهما تصيران كلمة واحدة مركبة.

إذن هذه اللهجة من صفاتها انها تتأثر أصواتها المتجاورة بعضها ببعض نتيجة السرعة في نطق كلماتها ومزجها بعضها ببعض فلا يعطي الحرف حقه الصوتي من تحقيق أو تجويد في النطق به ونلحظ ذلك في كلمات كثيرة جدا لا نستطيع حصرها أمثال:

(أتْقُولَّهْ) (عَوَلْدُكْ) (فِلِّيل) (عَبّتسِير).

فإن هذه الكلمات المركبة اصلها مركبة من كلمتين، نتيجة التقارب في مخارج أصواتها وتماثلها وتجاورها والسرعة في نطقها تحولت إلى كلمة واحدة مركبة، فعلى سبيل المثال كلمة (أتْقُولَّهْ) مركبة من (اتقول+ لها) ويقصد من هذا التركيب (تقول لها) فعل + حرف + ضمير، ونتيجة لتجاور صوتين متماثلين ادغم في بعضها إدغاما تقدميا بحيث تأثر الصوت الثاني في الأول وهكذا في بقية الكلمات حيث ان كلمة (عَوَلْدُكْ) أصلها (على ولدك) وكلمة فليل أصلها في الليل وكلمة (عَبّتسِير) اصلها (عَيَبْ بتسِير) ويقصد من هذا التركيب (إذن سوف تسير أي تذهب).

النتائج والتوصيات:

لقد توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج، من أهمها:

١- دراسة اللهجات العامية العربية ومن بينها اللهجة العامية الصحارية، تعتبر سجلا مدونا يبقى على مر الزمن.

٢- دراسة اللهجات العامية العربية المعاصرة ومن بينها اللهجة الصحارية، تلقي الضوء الكاشف على قضية العلاقة بين العاميات العربية واللغة العربية الفصحى وما بها من صلة القربى والنسب من خلال الأصوات والمفردات والتراكيب.

٣- لقد ثبت أن هناك أصواتا في اللهجة الصحارية تعتبر من الأصوات الفرعية في اللغة العربية الفصحى.

٤- تبين ان هناك خصائص وصفات مشتركة بين اللهجة الصحارية واللغة العربية الفصحى في المجال الصوتي.

٥- نتيجة لعدم الاهتمام المناسب بدراسة اللهجات العامية العربية المعاصرة، أوجد فجوة وبعدا في بعض مفرداتها وتراكيبها عن اللغة العربية الفصحى.

٦- ان أحسن طريقة لدراسة اللهجات العامية العربية المعاصرة هي تسجيل أصواتها مباشرة من أفواه متكلميها ثم القيام بتحليلها وتفسيرها وشرحها.

وأخيرا خرج الباحث بعدد من التوصيات، من أهمها:

١- الاستمرار في دراسة اللهجات العامية العربية المعاصرة ومن بينها اللهجات العمانية، باعتبارها سجلا مدونا يثري اللغة العربية الفصحى ويسهم في نموها وتطويرها.

٢- إلقاء الضوء الكاشف على قضية العلاقة بين العاميات العربية المعاصرة واللغة العربية الفصحى، ومحاولة إيجاد تلك العلاقة والصلة بينها، وخير من يبحث في اللهجة هم أبناؤها.

٣- على اللغويين والتربويين الاهتمام بمثل هذه البحوث والدراسات لحل المشاكل والصعوبات التي تنشأ من جراء البعد بين أبناء تلك اللهجات العامية العربية واللغة العربية الفصحى.

٤- يقترح الباحث إجراء الدراسات التقابلية بين اللهجات العامية العربية واللغة العربية الفصحى، وذلك في المجال الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي والمفردات والتراكيب.

٥- يقترح الباحث إجراء الدراسات التقويمية لاختبار مدى قدرة وكفاية أبناء اللهجات العامية العربية المعاصرة - وخاصة الطلاب- في فهم وتحصيل اللغة العربية الفصحى وما بها من جمال وإبداع وإعجاز.

المراجع

١- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتب الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م.

٢- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٩م.

٣- رمضان عبدالتواب، المدخل إلى علم اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٥م.

٤- سعد مصلوح، محاضرات في مادة بنية اللغة العربية لطلاب الدبلوم العالي، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الخرطوم، السودان، ١٩٨٧م.

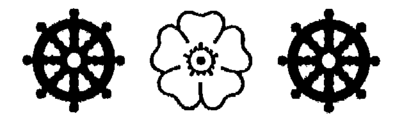
٥- محمد سالم محيسن، مرشد المريد إلى علم التجويد، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٧٠م.

٦- محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨١م.

المداخلات

دارت المداخلة الاولى حول دراسة اللهجات وانها ليست حديثة حيث ان العرب درسوا اللهجات او اللغات منذ القدم، واللغة هي عبارة عن اصوات او لهجات القبائل في الحقيقة وعند العرب ما يسمى بفقه اللغة.

اما الاضافة الثانية دارت حول جماعة البلوش واصلهم والموجودون في بلدان الخليج العربي والعالم، وفترات هجرتهم واسبابها.



الموروث الشعبي
تأثيره الاجتماعي والاقتصادي

إعداد وتقديم
خليفة بن عبدالله الحميدي

الحمد لله والصلاة والسلام على خير الأنام.. وعلى آله وصحبه في الدنيا ودار السلام.

- معالي راعي الحفل

أصحاب السعادة..

حضرات الاخوة والاخوات الافاضل.. الحضور الكرام وبعد

السؤال الذي يطرح ذاته:

*** أين الأمم والشعوب الماضية؟ ماذا صنعت وماذا فعلت وماذا تركت لنا بصحار؟.**

والجواب: انه تراث حضاري إنساني.. وموروث شعبي خالد يتفاعل مع ماض وحاضر

*** لماذا متحف قلعة صحار وماذا بداخله؟.**

والجواب: انه رسالة معبرة عن كفاح طويل وماض عريق وعلامة بارزة لأواصر الوفاء بين مجد تليد وحاضر عتيد.

*** لماذا الاعتزاز المتزايد بالماضي ورموزه؟.**

وأسئلة كثيرة، تتوالى على كل مشهد بهذه المدينة وعلى كل ركن من أركان هذه الولاية العريقة لتقول، هذه آثارنا تدل علينا فاشهدوا عليها.

ولمعرفة مجالات الموروث الشعبي:

ومصادره الكثيرة، لا بد ان نمر عبر قناة الزمن، هذه القناة التي تعمل دون كلل أو ملل لمصلحة الموروث والمأثور الشعبي، وصناعته التي لا تتوقف عجلتها، خاصة والتراث الشعبي بصورة عامة.

فكل نشاط انساني في حاضر الزمان، سوف يؤول إلى ماض وبذلك يكون التراث ويتكون الموروث الشعبي وتتراكم ارصدته عبر الزمان والمكان، عبر الأجيال البشرية والحقب التاريخية وصحار في هذه اللحظة وقبل ذلك وبعد كانت مهدا لتراكم أرصدة وفيرة من التراث والموروث وكانت قبلة له، وهي اليوم وغدا، وستظل منارا ومزارا للموروث والمأثور.

فلكل أمة من الأمم ولكل شعب من الشعوب موروثه الذي يحافظ عليه وهو يجسد شخصيته القومية والحضارية والثقافية والأدبية من خلال ما يبديه ويتسم به من اهتمام

وسلوك وممارسات اعتيادية او استثنائية وتلعب العوامل الدينية والبيئية والتاريخية على صعيدها الآثار الفعالة، لتحديد انماطها وابراز تلك الشخصية الدالة على ماض طويل وعريق وتخرج من رحم تلك الشخصية تفرعات لا تنفصم عن أصلها، فتكون مصادر تراث وموروث شعبي تليد، وحضارة عريقة بناها الأجداد لينعم بها الابناء والاحفاد الذين هم الورثة الشرعيون لها، والذين سيورثونها بدورهم ابناءهم واحفادهم مع دوران دولاب الحياة وعجلة الزمن وتعاقب العصور والأجيال، وهذا جميعه يتمثل ويتجسد أمام أعيننا في صحار كعلم من اعلام حضارتنا، ظلت راياتها خفاقة على الدوام.

وبذلك نرى مكونات علم التراث تتمثل في المجالات والتفرعات، التالية: وكل منها يشكل علما بذاته وله تفرعات واشتقاقات وجميعها تسكن صحار، اينما وليتم الأنظار.

مكونات علم التراث:

يتكون علم التراث مما يلي: الآثار، الصناعات والحرف التقليدية واليدوية، الفنون الشعبية، الزي الشعبي وتقاليده، الألعاب الشعبية، الطب الشعبي، الأفلاج، المتاحف، المحفوظات والمخطوطات، الوثائق، وما تشتهي أنفسكم، فنون المعمار، العادات والتقاليد، الطقوس والمعتقدات، الفلك الشعبي وحساب الفصول، الفروسية، المسميات، التغيورات، الاعراف، المصوغات.

وجميع هذه المكونات لعلم التراث ومشتقاتها وتفرعاتها تسكن منذ الأزل أرض صحار، اينما وليتم الأنظار.

وكذلك الأدب الشعبي (الفلكلور) وهي عائلة الموروثات الشعبية، وتضم:

الأمثال الشعبية:

الالغاز والاحاجي. الشعر النبطي. الموسيقى الشعبية. الغناء والرقص الشعبي. وسوف نتحدث عن معظم أفراد هذه العائلة وبصورة سريعة لا تمل. وكل موضوع من هذه المواضيع لصيق بمجالات الحياة وميادينها المختلفة. - الاقتصادية- الاجتماعية- الثقافية- العلمية- وغيرها.

ولكي نتحدث عن هذه العناصر وبعضها فإن الأمانة تقتضي أن نحلق قليلا في أجواء صحار بعبق الماضي ونعبر اليها من خلال نفقها الشهير الذي قهرت به الطغاة والطامعين.

وفيما يلي لمحة قصيرة ذات علاقة بموضوعنا

من المأثور عن فضل صحار على عمان والعمانيين والإنسانية:

١- استقبال الإسلام في السنة الثامنة للهجرة واتيان البلاد مسلمة طوعا لا كرها حين حمل عمرو بن العاص وزميله الصحابي الجليل أبوزيد الانصاري رضي الله عنهما رسالة النبي صلى الله عليه وسلم الى ملكي عمان عبد وجيفر ابني الجلندى اللذين استقبلا الرسالة في

عاصمة البلاد صحار وهي عاصمة منذ القرن الأول الميلادي وحتى عام ١٢٠٠م.

٢- شكلت صحار مع مسقط مركزين رئيسيين في مسار طريق الحرير

٣- تصدت لكثير من الغزاة والطامعين

٤- شكلت مهد الدولة البوسعيدية الحاكمة الآن من خلال صمود قلعتها القاهرة، وبطولة واليها الفذ أنذاك الإمام أحمد بن سعيد مؤسس الدولة الحالية.

٥- صحار السفينة جابت أنحاء من العالم وانتهت بكانتون في الصين وتبقى شاهدا للعالم وشاهدا عليه، وهي الآن وسام على صدر قصر البستان.

٦- كانت سوقا ثقافيا سنويا كسوق عكاظ والمربد واليمن وكان هذا السوق مهرجانا جامعاً ومشهوداً على مستوى الجزيرة.

٧- كان ميناء صحار يصدر النحاس وميناء سمهرم (خور روري) يصدر اللبان، في تناغم مشترك وازدهار حضاري.

٨- يقال ان ٣٥٠ فلجاً كانت بصحار وقد دمر الغزاة ٣٤٨ منها ولم يبق الا اثنان منها هما العوفي والقبائل.

٩- يذكر ان بردة من الحرير الصحاري اشتريت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكفن عليه صلوات الله وتسليمه بثوب من صحار، وهذا دليل على ازدهار صناعة النسيج والحرير.

١٠- قلعة صحار التي كانت رمز الجهاد والصمود والحرية هي اليوم تضم متحفا، يحتوي على كثير من الحقائق الهامة للأجيال والباحثين والمتتبعين للتطور والتحرر الإنساني وثقافاته.

١١- قلعة صحار التي هي اليوم كما أشرنا كانت تشكل مع جبل حورا برغا منارا يهتدى اليه من البر والبحر.

ان قمة صحار الواقعة على جبل حورا برغا ترتفع عن سطح البحر بنحو ٥٠٠ متر.

وكان لنفق صحار المتد من داخل القلعة ولعدة كيلومترات الفضل في الصمود ودحر المعتدين.

اضافة إلى ذلك، فإن للخندق المائي المحكم الذي كان يحيط بالقلعة وحارتها «الحجرة» والتي كانت المسقاطات تلعب دور المعبر الاستراتيجي فيه، له فضل في قوة الردع للاعداء.

ومن المأثور عن قلعة صحار، انها كانت تقع غربي المساكن، وكان البحر يبعد عنها نحو ٨ كيلومترات، في حين انها الآن تقع شرقي المساكن، ولا تبعد عن البحر الا بضعة عشرات المترات فقط.

وفي هذا معنى التحول لدورة الزمن والتحّول الذي تلقاه هذه المدينة الرمز والولاية الرائعة من دور تاريخي متجدد.

١٢- كما أشرنا إلى التناغم الاقتصادي والحضاري بين ميناء صحار في الشمال وميناء خور روري في الجنوب ولعب دورٍ متوازن ومشترك في صناعة الحضارة العمانية،

فإن لصحار علامات أثرية وثيقة اثبتتها البحوث والحفريات والتنقيبات عن الآثار والموروثات مع كل من بات والهيلي وأم النار وتوام وغيرها، كما ظلت صحار تحتفظ بصلات وثيقة مع البصرة وخراسان والهند والسواحل الشرقية من افريقيا، كعاصمة اقتصادية متميزة لعمان بطابعها الدولي، وكمركز ثقافي منطلق من ارتباطها الحميم ببقية أجزاء البلاد وعلاقاتها مع الخارج.

وتشير بعض المصادر إلى أن روابطها الداخلية والخارجية اهلتها ان تكون موطنا لعدد من الفلسفات، وبحكم سيادة صحار التجارية، اذ كانت تعد أحد اهم ثلاثة مراكز في المنطقة بجانب البصرة وسيراف. وقد تحول الميزان لصالحها دون منازع في القرن التاسع الميلادي.

حورة: الحجر الجيري الأبيض: عربيا.

برعا: الحديقة أو البستان: فارسيا.

الفصل الثاني

ولما كان موضوع دراستنا هذه «الموروث الشعبي وتأثيره الاجتماعي والاقتصادي، فاننا سنحصر حديثنا من خلال فنون أساسية من فنون وأركان الموروث الشعبي وهي تندرج ضمن اهتمامي الشخصي، ونظرا لما لذلك من ترابط وتواصل عضوي وموضوعي فانني ادعو القارئ الكريم ان نسبر معا اغوار هذه المواضيع في عجالة وايجاز:

أولا: العادات والتقاليد:

تعد العادات والتقاليد أحد أركان الموروث الشعبي وهي سجل حافل بتاريخ الإنسان وحضارته وأصالته وتصرفاته وممارساته ومعتقداته وسلوكه واعرافه وقيمه ومبادئه منذ نشأته وحتى وفاته.

والحديث عن العادات والتقاليد لا يختزل في محاضرة أو محاضرات وانما هو ذو شجون ويحتاج الى عشرات من المحاضرات والتدارس.

فلرمضان عاداته وتقاليده ونكهته وأكلاته، كما هو قيامه وصيامه ويمكننا من خلال هذا اللقاء ان نلقي نظرة سريعة إلى فصل واحد من فصول عاداتنا وتقاليدنا العمانية العربية - الاسلامية الأصيلة والتي هي من وحي الساعات الطيبة التي نعيشها في صحار، والتي يمكن اتخاذها كمثال للاستشهاد.

ومن العادات والتقاليد: الصحارية التي تستوقفني هنا:

١- عادة العلوم: وجه الاختلاف مع الشرقية
٢- عادات الضيافة:
٣- ركض الخيل أمام الحصن
٤- العزوة «العيود» أمام الحصن
٥- المنوبه

ثانيا: الحكاية الشعبية:

البصراويان والعماني:

إن الحكاية أو القصة الشعبية هي واحدة من رموز الموروث الشعبي في عمان عامة، وفي صحار خاصة وهي ركن من تراثنا الثقافي والفكري الخصيب، وتوجد في أشكال عديدة من الموروثات الشعبية كالمثل إلى جانب كونها هي نفسها موروثا شعبيا.

وإذا كانت حكايات ألف ليلة وليلة لا تغيب عن بال أحد في التراث والأدب العربي الشعبي، فإن حكاية السندباد وموطنه صحار لا تقل أهمية.

وفي هذا المقام نستشهد بحكايتين صحاريتين مختلفتين على سبيل الذكر والاشارة إلى القياس الحضاري للحكاية الشعبية.

أولا: من حكايات التلاحم والتضامن المنقولة تاريخيا عن صحار وأهلها الكرام (مبادئ واعراف اجتماعية)

* حكاية اسحاق:

يحكى ان تاجرا اسمه اسحاق خرج من صحار ولم يكن معه الا قليل من النقود لا تتجاوز الـ ٢٠٠ دينار وبعد سنوات عاد اليها ومعه بضائع كثيرة، من بينها مسك وحرير وخزف بقيمة ٣ ملايين دينار وكان ذلك عام ٩١٢ ميلادي وقد تعرض لدى عودته إلى مؤامرة يراد منها سلبه تلك الأموال، ولكن التجار الصحاريين وقفوا موقفا بطوليا واحدا، وكتبوا إلى الخليفة المقتدر مهددين بأنه لن تدخل سفنهم ابدا صحار إذا تم النيل من التاجر المذكور، واستجيب لموقفهم واخرج اسحاق من السجن وتصرف في أمواله.

ثانيا: رواية تشير إلى ازدهار الزراعة في صحار:

تقول الرواية ان بصحار قديما ٣٥٠ فلجاً وكان من بينها (فلج الملينة) ينبع الفلج من وادي الجزي ويسقي عوتب والملينة والسهلات وكان نشيطا جدا، فكانوا يقيسون قوة جريانه بحيث يلقون ثمرة رمان فيه، مع انطلاقة فارس على فرسه فإذا وصلت الرمانة قبل الفارس، فذلك دليل على قوة الفلج وإذا وصل الفارس قبل الرمانة، فإن ذلك دليل على نقصان قوة تدفق الفلج.

وتضيف الرواية ان الحاكم الذي بنى حورة كامل وعمل بهذا التقليد والترجيح انه فارسي – كانت له بنت حادة البصر جدا، فقد شاهدت وصول الرمانة قبل الفارس بوقت، حيث تناولها أحد الحراس الموجودين في الموقع المحدد لنهاية السباق، واخبرت أباها بذلك.

وبسبب اندهاش الأب من حدة نظر ابنته وخوفا منها قام أو أمر بقتلها.

وكما أصبحت حكاية البنت تراثا يروى فقد آل الفلج إلى نفس المصير، ولعل في ذلك حكمة، ولعل ان يأتي يوم ليعود ذلك الفلج على ما كان عليه من دور بارز وليس ذلك بالصعب أبدا.

ثالثا: الالغاز والاحاجي الشعبية:

إن الالغاز والاحاجي والتي نسميها بالتخاتير والتغابي والاعاجيز في عمان، تعبر عن واقع حضاري وسلوك أدبي وفكري عميق وعريق.

وهي تتناول ميادين الحياة، من معتقدات وطبيعة وبيئة وكائنات حية وغير حية، وهي مع مختلف الاعمار وشرائح المجتمع، وتماثل فوائدها الأمثال، من حيث التربية الفكرية وتنمية الذاكرة وتدريبها وتغذيتها وتسليتها.

كما انها تعد ترجمة صادقة لتجربة الإنسان على هذه الأرض، وخبرته وممارسات سلوكه ومواقفه الفكرية، وتعبر عن رؤية عميقة متأنية، في عبارات أدبية بليغة موجزة، تبعا لاهتمامات الإنسان ومجتمعه، وخصوبة فكره وتجربته.

وعرفت الالغاز بانها السؤال المحيّر والجواب اللازم المحدد، وهي من أعمال فن المعنى في اللغة وهي اما نثرا أو شعرا وتكون على شكل قصة أو حكاية أو محاورات أدبية أحيانا وبذلك تكون قد شملت معظم فنون الموروث الشعبي حالها في ذلك حال الأمثال.

ووظيفة الالغاز، كما يراها علماء الفلكلور وعلماء المأثور الشعبي هي تنشيط وتقوية للذاكرة، واضافة معلومات إلى جانب الوظائف الاجتماعية والترفيهية.

والالغاز الشعبية، قد عرفها: الناس بالاحاجي، منذ أقدم العصور وتسابقوا وتباروا فيها وكافأوا من استطاع حلها.

والفن اللغزي لا يعد فنا عالميا فقط، بل هو من أقدم واعرق فنون التعبير في الأدب الشعبي، وهذا هو حال صحار التي تشهد صفحات التاريخ لها على أنها ليست واحدة من بين مدن العالم الحالية التي يعود تاريخها إلى بزوغ فجر الحضارة الإنسانية القديمة، فحسب، بل وانها واحدة من المدن القديمة القلائل التي ساهمت بدور فعال في بناء حضارة الإنسان من خلال اتصالاتها وتفاعلاتها مع الشعوب والحضارات الأخرى.

وهكذا يذكر لي أحد الاخوة العارفين والمتمرسين بفن اللغز في صحار، فيقول: ان رجلا كان له أربعة أولاد، وعندما مات تقاسموا ميراث أبيهم حسب وصيته العادلة. فالأول لم يكن له نصيب، أخذ الثاني نصيب واحد والثالث نصيبين والثالث نال ثلاثة فكيف تم ذلك؟.

ومن الالغاز الصحارية أيضا:

وجهك عزيز في السما ما هات؟

فهل هناك من يعرف الحل أو الجواب لأي من هذين اللغزين؟

الجواب في نهاية هذه الدراسة.

رابعا: الأمثال الشعبية:

إن الأمثال الشعبية هي الجزء الأهم من منظومة التراث الأدبي والموروث الشعبي والمأثور الشعبي، وتدخل في شتى ميادينه ومجالاته المتعددة، فهي تأخذ الجانب الفكري والتعليمي والترشيدي والسلوك التربوي، وتمثل الحكمة والطرافة والحكاية في قالب أدبي ولغوي متناسق ويعبران عن التجربة والعمق الفكري وبلاغه القول، وحسن الايجاز والنظرة المتبصرة الواعية.

موقف الأمثال من الشعوب:

لكل شعب من الشعوب خصال من المدح والذم، رسخت في أصوله، بحكم الفطرة وانتشرت في فروعه بفعل الوراثة، فتناقلتها الأجيال، وسارت بها الأمثال وتندرت بها المجالس، فكما تضرب الأمثال بالسكسونيين في البرود والصبر والاناه، تضرب باللاتينيين في الحمية والحدة والتهور وتضرب باليهود في الانانية والعصبية والحرص.

كما تضرب الأمثال بالعرب في الشجاعة والفصاحة والكرم. وهذه الخصال متأصلة في أهل صحار.

ومن الأمثال الصحارية التي تجب الاشارة اليها في هذا المقام هي:

١- لا تزرع النارجيل في صحار
ولا تزرع القرض في ظفار

٢- ينبع والحيوان

٣- التي ترزم ودّوها ينبع

٤- يوم القب والقباب.. الناس تصيح واعذاب

٥- يقولك الغراب: من صبر غاب (التجارة)

٦- عيش البدو.. ما يبغاله رحمن.

٧- ضربة العشر.. حشر

٨- إذا اطلعت الشوله.. طال الليل طوله وعاجلت الشيخ.. البوله

٩- كما حاطب ليل

١٠- كل ذبيحة تعلّق بكراعها (كل شخص مسؤول عما يفعل).

الفصل الثالث

الموروث الشعبي.. وتأثيره الاجتماعي والاقتصادي اليومي:

إن الموروث الشعبي هو أقرب الأشياء الحسية المعنوية إلى الناس، فهو لا يغيب عن ذاكرتهم ولا يحيد عن دائرة تعاملهم اليومي المعتاد.

ويكون قريبا منهم، فاذا حلت مناسبة حل معها

وإذا ذكر شيء ما أو فعل ما كان الموروث الشعبي ملازما للذكر أو للفعل.

لقد استعرضنا فيما مضى أربعة أنواع أو أركان للموروث الشعبي، والآن سنلقي بعض الأضواء على واحد من أركان الموروث الشعبي باعتباره الركن الأكثر اتصالا بالناس وهموم حياتهم اليومية، سواء كانوا في صحار أو أي مكان من اليابسة أو البحار.

ولنرى كيف يتم توظيف الموروث الشعبي بصورة تلقائية في دائرة التعامل والتواصل اليومي، وهذا الموروث ممثلا في الأمثال الشعبية، وكاستشهادات فقط.

١- الطب :

الطب الشعبي أحد أركان الموروث الشعبي ونظراً لأهمية هذا الموضوع في حياة الناس فقد أفرد الموروث الشعبي مكانة كافية للطب، والطب الشعبي له جدارته وأهميته الفاعلة والمفيدة إذا ما عمل به.

٢- السياسة في الموروث الشعبي:

لم يغفل الموروث الشعبي هذا الجانب من حياة الإنسان باعتباره نزعة قوية ووازعا مؤثرا في حياة الشعوب يرافق النشء منذ نعومة اظفارهم ويترسخ بعوامل الانتماء المقرون بإيمان العقيدة وحب الوطن والولاء وطاعة القيادة وأولياء الأمر، واحترام الكبير والعطف على الصغار.

ويذكر أحد الاخوة العارفين بالتراث والمأثورات في صحار فيقول: لا تتقدم الاصاغر الاكابر الا في ثلاث، ان لاقوا خيلا أو ساروا ليلاً أو واجهوا سيلا.

وباعتبار ان صحار عاصمة سياسية واقتصادية وثقافية، فقد لعبت الاحداث التي تعرضت لها الأجيال على هذا الجزء من الوطن الحبيب دوراً بارزاً في إبراز الحس السياسي.

ولهذا نرى أثر الموروث الشعبي بارزا في هذا المضمار، وما هذه المؤشرات التي نعرضها الا فيض من غيض.

لقد كانت صحار رمزا للصمود، اذ تعرضت عبر الحقب التاريخية لكثير من الغزاة والطامعين ومنهم:

* العباسيون والبويهيون والبرتغاليون والزنوج والسلاجقة والفرس والقرامطة والسومريون.

وكانت دائماً قلعة صامدة في وجه الأعداء وقد افرز هذا انعكاسات وتفاعلات على الجوانب الفكرية والنفسية.

٣- اقتصاد النشاط السكاني في الموروث الشعبي:

الاقتصاد هو العمود الفقري لأي أمة أو شعب وهو أساس الحياة في أي وطن.

ومن هذا المنطلق كان له مكان رحب في الموروث الشعبي، سواء كان مثلا أو لغزا أو شعراً أو قصة أو غيره.

ولقد لعبت صحار منذ القدم دوراً بارزاً في الحياة الاقتصادية لعمان خاصة والمنطقة عامة.

وظل دور صحار بارزاً عبر العصور والتاريخ، وتميز دور أهلها في البر والبحر بالتجارة والصناعة والزراعة وساهمت صحار مساهمة فاعلة في لعب الدور البارز في الاقتصاد الوطني ولا تزال.

فعلى سبيل المثال لا الحصر في المجال الصناعي:

١- النحاس: استخراج وصهر وتصنيع وكان موقعه العرجاء والبيضاء وأسيل.

٢- الفخار: الفرفار وتبقى صناعة الحلاحيل قائمة

٣- النسيج: وموقعه صلان.

كانت الصادرات العمانية من صحار إلى دول الخليج، وعلى ضفتيه ودول العالم الأخرى تتمثل في: الليمون، التمر، السمن، عسل النحل، الدبس، الحيوانات (الغنم والبقر والجمال والخيول)، المانجا (الهمبا)، الزعفران، الجبن، الحطب، القصب، الرمان، الذرة ، القمح، الشعير. إلى غير ذلك من الموارد المفيدة.

وإذا كان ذلك بالأمس الزاهر، فإن الواقع الراهن مأمول ومنشود إذ أصبح «الكروم» اضافة إلى القائمة والنهضة الصناعية مبشرة بالخير والآمال.

الزراعة:

تتمتع صحار بمياه وتربة خصبة وفيرة، وقد ازدهرت فيها الزراعة ولا تزال ويزرع بها جميع الأشجار المثمرة والفواكه والحمضيات والخضار.

وحتى الزعفران والشوران والكيذان والقصب والماش، وغيرها كثير.

ومن أبيات، حميد بن منصور (وهو ابن من ابناء صحار) حيث يقول:

ولا الزراعة — ولا البضاعة
ولا قطيع من غنم — من كبر كبشه... باعه
ولا امرأة بنت خيّر — فيها النفاعة
بتضم من هذا لهذا — وبتقول ينفع ساعة

ومن الصادرات الصحارية العريقة والتي لا تزال، الأسماك ومن بينها الأسماك المجففة والمعروفة بالقاشع حيث يقول أحدهم فيه:

ذكرتك يا مخيرن كل يوم
وشاكراً ما حويت من المنافع
وارجو الله ان يميلك دهراً
وان لا يخليك من تمر وقاشع

وتبقى صحار رمزا ومنارا للحضارة بفنونها وتراثها وموروثاتها وستظل قلعة للعز والأمان على مرّ الزمان وترفرف عليها راية الإيمان وتكلأها عناية الرحمن، ونستمد نحن وإياكم وصحار العزيمة والهمة من قائد مسيرتنا ورائد نهضتنا جلالة السلطان.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الفصل الرابع

الموروث الشعبي وتأثيره الاجتماعي والاقتصادي:

١- ان كل ما هو شعبي معّبر عن الرضا والبساطة والارتياح وآثاره تبقى حية ومتجددة مهما قضى من العصور نحبا أو تعاقب من الأجيال دهراً.

اما التأثير الاجتماعي والاقتصادي للموروث الشعبي فلا شك ان لكل عصر دولة ورجالاً وان لكل حدثا حديثا، ولكل دهر صرفا.

ولأن الجميع يعلم بان موروثه الشعبي يمثل هويته وشخصيته وحضارته وفنه وأدبه وأصالته.

ولهذا ينبغي تفعيل هذا الموروث ليكون تعامل ابنائنا وأحفادنا به تعاملا قائما على المعرفة والفهم والوعي السليم.

٢- الموروث الشعبي يحظى باهتمام شرائح المجتمع، فهو أكثر شعبية وقاعدة جماهيرية ويمكن ملاحظة ذلك من البرامج الاذاعية والتلفزيونية مثل كلام من التراث وغيره.

٣- الموروث الشعبي، يعتبره المؤرخون المصدر الشفاهي، ويرون فيه قدرا من الحقيقة وقيمة كشاهد تاريخي، يستخلصون نه المعلومة ويجمعون على انه لا يقل أهمية عن مصادر التاريخ وصحار واحدة من أمهات التاريخ.

٤- الموروث الشعبي.. يلعب دوراً بارزاً في حياة الشعوب فهو يجري على ألسنة الناس ويستخدمونه في شتى المناسبات، وهو يمثل عملاً أساسياً من عوامل الضبط الاجتماعي ويحكم سلوكهم ويوجهه في مناشطهم الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في ضوء خبرات اسلافهم، وهو أيضا جزء هام من مكونات اللاشعور في عقول المعاصرين.

٥- الموروث الشعبي، يتميز بإنسانيته وروحانيته وهذه المزايا تقوم على بناء راسخ من التعاليم الدينية والقيم الإنسانية والتقاليد المتراكمة.

ومن هنا يجب الالتفات اليه لأهميته، نظراً للدور الذي يمكن ان يقوم به في تحقيق التوازن المطلوب لشخصية الإنسان الذي يعيش في عالم اليوم وهو محاصر بعدد هائل من البدائل التي اتخذت أشكالا ومضامين من الغزو الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، تكفل استمرار التبعية ولكن بصورة مختلفة عما كانت عليه في السابق.

٦- وهو جزء أساسي هام من التراث العام لأي شعب أو أمة، يتميز بانه يرتبط في ابداعه وممارسته ومعرفته بالشعب، ويتم تداوله بوسائل شفهية كالامثال والشعر والحكايات والالغاز والأغاني أو عبر ممارسات كالعادات والتقاليد أو عن طريق التلقين والتدريب مثل الحرف، وقد تكون هذه الأمور مجتمعة وسيلة للتعلّم أو نقل عنصر من عناصره.

٧- الموروث الشعبي جزء من الملكية الفكرية التي يتوجب صونها والمحافظة عليها من أي عبث أو استغلال.

٨- كما انه يعبر ببساطة شديدة عن أصالة وعراقة وحضارة المجتمع، وهو جزء أساسي في بناء الإنسان وإعادة بنائه وتحقيق التوازن الاجتماعي والثقافي والأدبي له وتحصينه من أي غزو يسعى لطمس شخصيته الثقافية أو الأدبية أو الاجتماعية.

٩- كذلك فإنه يعبر عن التكوين الحقيقي لخصوصية وشخصية الشعوب والأمم التي إذا ما تمكست بماضيها الأصيل سلمت من المخاطر التي يدبرها الاعداء والمتغيرات.

كما انه يعمل على استخلاص القيم والمبادئ السامية والاستفادة منها من خلال مناهج العمل الوطني والقومي وتربية النشء.

١٠- ان تفعيل الموروث الشعبي وآثاره الأدبية والثقافية سوف تحقق الكثير من الكتب والكتاب والكثير من الأفلام والمسلسلات والكثير من البرامج والمقالات للصغار والكبار، مشفوعة بالحكمة والموعظة والابتسامة والنادرة والحكاية والفكرة والخبر.

وهكذا ينبغي تفعيل الموروث الشعبي لتبقى كنوزه أحسن ادخاراً في مستودع الأيام، للأجيال ونحو حياة أفضل.

الألعاب الشعبية المأثورة:

- الحالين - السرا - الغموضة - المقبة - المعيكل - اللحيفة.

من أهم الفنون الشعبية في صحار:

- الميدان - الليوا - الرزحة - العيالة - المالد - الرزفة - الطارق - الونه - الكواسه - فن العازي.

القبائل الرئيسية في صحار:

- الشبول: الجبن- المقابيل: المخ - البلوش: الجرادة، ماسة القطن

* تغترني: ما حضرني

* لقش: لقط

- كلابنه: محصين- بني جابر: البعوض

صور من التلاحم والتكافل الاجتماعي وتعاون المجتمع:

- بناء البيوت - زفن الدعون - حصاد (جداد النخيل ورقاط التمر) - زراعة المواسم (التحويل) - حصاد القمح - الهمبارة - النضد - الطهارة (الصينية) - العزاء - الديه.

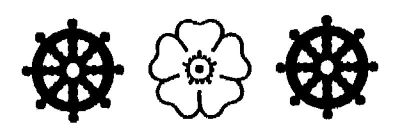
مـداخـلات

المداخلة كانت عبارة عن اضافة

حول سوق صحار.

اضافة:

كان سوق صحار من أسواق العرب المعروفة في الجاهلية ومما يحسب لهذا السوق ان الجلندى ابن المستكبر هو اول من عشر على هذا السوق، وان هذا السوق بخاصة من يدخله يؤمن على ماله وعلى نفسه. وايضا في هذا السوق المبايعة تقام بالمحاصاة تلك العادة التي تكون بمقدار ما تحصي بمقدار ما تجني.



صحار وتراثها البحري

إعداد: الدكتور/ محمد الشحات قرقش

تقديـــــم:

يقول أحد المتخصصين في علم الجيوبولوتيكا: «اعطني جغرافية بلد ما، أحدثك عن تاريخه وأتحسس لك مستقبله». وبالفعل كانت الجغرافية هي العامل الحاسم الذي بنى شخصية عمان وأقاليمها ومدنها. فموقع عمان وموضعها ساهما في بناء الدور العماني الطويل والشامل.

فامتداد الساحل العماني وشكل تضاريسه وموقع هذا الساحل وإمكانيات مناطقه جعلت من سكان عمان بحارة مهرة، وعلى هذا الساحل نمت خبرة الفينيقيين كرواد للبحار قبل ان يتجهوا إلى ساحل الشام على البحر المتوسط، وجاء العرب فلمسوا إمكانيات سواحل عمان فركبوا البحر وأجادوا فنون الملاحة. وأصبحت الملاحة مرتبطة بسكان عمان.

وتعد صحار أهم موانئ عمان ومراكزها الملاحية. فرغم ما تعرضت له المدينة في العصور الحديثة، حيثما تغيرت موازين القوى العالمية وتبدلت شبكة الملاحة الدولية، إلا أنها مازالت تحتفظ في تراثها بجزء كبير من التراث الملاحي للمحيط الهندي بصورة عامة والعالم العربي والإسلامي بصورة خاصة.

لقد وصفها الجغرافيون بانها «خزانة الشرق ودهليز الصين ومغوثة اليمن» وانها «اعمر مدينة بالعالم الإسلامي ولا يوجد في ديار الإسلام مدينة اكثر ثراء ومالا من صحار»، وهذا الوصف لم يأت من فراغ وإنما أتى من جغرافيين ميدانيين متخصصين مشهود لدراستهم بالدقة والواقعية من أمثال الاصطخري والمقدسي وابن حوقل.

ذلك ان صحار تمكنت من استغلال ظروفها الجغرافية والبشرية وأحوال العالم الإسلامي لتتبوأ مكانة هامة في العالم الإسلامي من خلال وساطتها الحضارية بصورة عامة والتجارية بصورة خاصة، فأصبحت أهم ميناء تجاري في عالم المحيط الهندي والعالم الوسيط بأسره وأقبل عليها التجار من كافة الأنحاء، وقصدتها السفن من كل صوب، وأصبحت مخزن الشرق ودهليز الصين وبوابة الخليج وبورصة للاستثمار من قبل رجال المال والتجار.

على ان صحار لم تصل إلى تلك المكانة إلا حينما تمكنت من الإمساك بشبكة الخطوط الملاحية والموانئ عبر المحيط الهندي والخليج العربي وشبه الجزيرة العربية. كما ان أهلها تمكنوا من السيطرة والتحكم في فنون الملاحة والتجارة في فترة العصور القديمة والعصور الإسلامية.

وكان لهذا الدور آثاره الحضارية المتعددة في نقل المؤثرات الإسلامية إلى أقطار المحيط الهندي حتى اصبح هذا المحيط يشكل وحدة حضارية متقاربة مما جعل أقطاره تتجه حديثا إلى إقامة تكتل سياسي للدول المطلة على المحيط الهندي باسم «منظمة الدول المطلة على المحيط الهندي للتعاون الإقليمي».

وتعد جهود السلطنة بإحياء التراث العماني بصورة عامة وصحار بشكل خاص إحياء لجوانب التراث الإسلامي والعالمي نظرا لترابط هذا التراث مع عالم المحيط الهندي.

*** أولا:**

عوامل أهمية ميناء صحار:

تشكل عمان إقليما جغرافيا وحضاريا متكاملا منذ البداية. فاذا كانت السواحل العمانية والامتداد البري لعمان يأخذ شكل قوس يحتل الركن الجنوبي الشرقي لشبه الجزيرة العربية، فان هذا القوس قد اخذ شخصيته المميزة دون الأقاليم الجغرافية لشبه الجزيرة العربية بصورة خاصة، وغرب آسيا وجنوبها بصورة عامة.

وجاءت الصحراء العربية من جهة الغرب لتشكل درعا يحمي هذا القوس العماني عبر العصور، وتزيد من تحديد ملامحه وتوضيح إمكانياته وتمايزه. وتوجهه وجهة حضارية مستمرة صوب البحر. واصبح لهذا القوس العماني دوره الكبير في تاريخ الملاحة العالمية منذ القدم وحتى الوقت الحاضر.

على ان الباحث المبتدئ في نظرته للقوس العماني يلاحظ ان عمان إقليم يجمع كل المتناقضات الطبيعية والبشرية والاقتصادية وحتى التاريخية(١) إلا ان النظرة الواعية والملمة بتاريخ وحضارة عمان، يلاحظ ان هذا التناقض قد أدى إلى تنوع وإثراء التجربة الحضارية لإقليم عمان، وجعل منه شكلا مميزا. فها هي طبيعة عمان تجمع في جانبها التضاريسي بين الجبال والأودية والسهول والصحراء، وفي شقها المناخي تجمع عمان بين عدة ألوان من المناخات الموسمية والمدارية والصحراوية والبحر أوسطية(٢)، مما أدى إلى إثراء وتكامل في الدور العماني. فأصبحت، على سبيل المثال، موانئ الساحل العماني منافذ للمناطق التي تقع خلفها.

وجاء دور كل ميناء عماني ممثلا، في البداية، للاقليم والمناطق التي تقع من خلفه ثم انطلق هذا الميناء ليمثل دورا عالميا نشطا في مجال العلاقات الدولية. فميناء سمهرام أو ميناء مرباط مثل لمناطق ظفار، ومثلت تلك المناطق ظهيرا قاريا لتلك الموانئ. أما المنطقة الداخلية من عمان وكذلك الشرقية فقد شكلت الظهير القاري لميناء صور، أو ميناء قلهات. أما مناطق الباطنة والظاهرة فقد مثلت هي الأخرى الظهير القاري لميناء صحار أو ميناء دبا. حيث ارتبطت منطقة الظاهرة بعدد كبير من الأودية والممرات بالساحل عبر سلاسل جبال

حجر عمان.

على ان أهم العوامل التي أدت إلى قوة أداء الدور العماني عبر العصور، كان الموقع البحري وشكل امتداد الساحل العماني. فمن المعروف أن الموقع البحري من أهم الخصائص التي تظهر قوة الدولة وفعالية شعبها، ويلاحظ ان الدول العظمى في تاريخ البشرية وحتى الوقت الحاضر هي دول بحرية، باستثناء الاتحاد السوفييتي السابق، أو الاتحاد الروسي الحالي، وان كان لهما سواحل طويلة لكنها سواحل متجمدة لفترات طويلة لوقوعها في المنطقة القطبية.

فاليونان والرومان والفينيقيون أصحاب حضارات في التاريخ القديم كانت لدولهم سواحل طويلة، كما ان الفرس حرصوا أيضا على امتلاك سواحل تجارية طويلة. وكذلك الأمر بالنسبة للقوى البحرية في التاريخ الحديث المعاصر مثل أسبانيا وهولندا وبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية.

ويؤدي الموقع الساحلي إلى أمرين هامين هما:

الأول: الثراء الاقتصادي من خلال البحث عن الثروات البحرية مثل: الأسماك واللؤلؤ وغير ذلك، ومن خلال القيام بدور الوساطة التجارية مع الشعوب المجاورة، أو من خلال مرور طرق التجارة العالمية عبر تلك السواحل.

والثاني: الاحتكاك الحضاري فالبحر محور للتقدم بما يتيحه من احتكاك حضاري للحضارات الواقعة فيما وراء البحار، في ظل ظروف تلك السواحل الطبيعية[٣].

ويعتبر شكل الساحل العماني من الأشكال النموذجية للسواحل العالمية[٤] بما يحتوي من خلجان وأخوار وانحناءات ساعدت على ظهور عدة موانئ عمانية كان لها دورها الكبير في مجال التجارة البحرية العالمية، منذ القدم وحتى العصور الحديثة وحفلت صفحات التاريخ بأدوار هامة للموانئ العمانية.

ويعد ميناء صحار من أهم الموانئ العمانية التي ساهمت بدور كبير في مجال الملاحة العالمية والتبادل التجاري في المحيط الهندي، وقد انفردت بدور قيادي بين موانئ عمان وموانئ الخليج العربي منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

والدارس لتاريخ الملاحة في غرب آسيا وموانئ المحيط الهندي والخليج العربي يلاحظ ان سواحل عمان قد شهدت ظهور موانئ هامة قام كل ميناء بدوره ورسالته تبعا لظروف عصره وإمكانيات موضعه. وبذلك كانت الظروف السياسية والحضارية التي تسود في منطقة غرب آسيا ومنطقة المحيط الهندي العامل المؤثر لظهور ونمو الموانئ العمانية. فقد قام ميناء سمهرام بدور كبير في الملاحة البحرية في شمال المحيط الهندي في العصور القديمة، وعاصره ميناء صور خلال حركة التبادل التجاري النشط بين حضارات اليمن وعالم البحر الاحمر والبحر المتوسط من جهة، وبين الهند وجنوب شرق آسيا من جهة

أخرى[٥]. كما ظهر ميناء دبا بدوره الهام في حركة التجارة البحرية في فترة قبيل الاسلام.

على ان ميناء صحار مثل أهم موانئ عمان في مجال المساهمة الحضارية بالنسبة لعمان. وتميزت مساهمة ميناء صحار بالاستمرارية لفترات زمنية طويلة مترابطة، كما تميزت تلك المساهمة بالازدهار والعالمية بحيث اصبح أهم موانئ العالم قاطبة في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين. فوصفه ابن حوقل بانه «مخزن الشرق ودهليز الصين»[٦] وهو «اعمر مدينة في عمان واكثر مالا ولا يكاد يعرف على شط بحر فارس بجميع الإسلام مدينة اكثر عمارة ومالا من صحار». وقد ظل هذا الازدهار حتى القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، حينما ظهرت هرمز كمركز للنشاط التجاري في المنطقة. وان كانت صحار ظلت تقوم بدورها الهام في مجال حركة التبادل التجاري لكن الزعامة التجارية قد سلمت لهرمز.

وهناك عدة عوامل وأسباب أدت إلى تلك الأهمية لميناء صحار من أهمها ما يلي:

أولا: العامل الجغرافي:

١- الموقع:

تقع صحار على درجة ٥٦,٤٠ْ بالنسبة لخطوط الطول شرقا وعلى درجة ٢٤,٢٠ْ شمالا بالنسبة لدوائر العرض، مع الأخذ في الاعتبار تغير امتداد ومساحة المدينة في العصر الإسلامي، عما هي عليه في الوقت الحاضر[٧].

وتقع صحار على ساحل عمان المطل على خليج عمان ومدخل الخليج العربي. وقد أتاح لها هذا الموقع عدة مزايا هامة من أهمها:

(أ): اتساع المجال البحري الحيوي للميناء، حيث يطل الميناء مباشرة على مياه المحيط الهندي المتصلة بسواحل شرق القارة الإفريقية من جهة وبسواحل جنوب آسيا والهند وجنوب شرق آسيا والصين من جهة ثانية. وأصبحت بالتالي حركة التبادل التجاري وخيوط المواصلات مرتبطة بميناء صحار على المستوى الدولي والمستوى الإقليمي والمحلي.

(ب): ارتباط ميناء صحار بمنطقة الظاهرة ومناطق شبه الجزيرة العربية برا عبر عدة أودية تخترق مرتفعات حجر عمان[٨] من أهمها وادي الجزي بالإضافة إلى عدة أودية تربط محيط صحار بالظاهرة مثل وادي حام عند بلدة شناص في الشمال ووادي الحواسنة عند الخابورة في الجنوب. وكان لهذا الموقع أثره الهام في اتساع الظهير القاري لميناء صحار وتنوع في موارده.

(ج): الاستفادة من إمكانيات سهل الباطنة، حيث يقع ميناء صحار في سهل الباطنة الذي يمثل أهم الأقاليم الزراعية في عمان حتى الوقت الحاضر ويتكون هذا السهل من تربة رسوبية كونتها السيول المنحدرة من المرتفعات صوب البحر، ويمتد هذا السهل من

الشمال حتى رأس الحمراء في الجنوب بامتداد ٢٨٠ كلم ويبلغ عرضه في بعض المناطق من ٢٠ كلم - ٣٠ كلم.

ومكن هذا السهل صحار من الاعتماد على المواد الغذائية والمنتجات الزراعية الضرورية لسكان صحار والمقيمين بها والتجار، حيث أمدت القرى المجاورة لصحار سكانها بما تحتاجه من المواد والسلع الزراعية مثل خصب وشناص.

(د): يمثل موقع صحار موقعا متوسطا بين أقاليم متنوعة، ففي الجنوب تقع الأقاليم المدارية والاستوائية وإلى الشمال منه توجد الأقاليم المعتدلة والرطبة. وقد مكن هذا الأمر ميناء صحار من القيام بدور الوسيط في نقل المنتجات والسلع بين الإقليمين. فالمنتجات والسلع الإفريقية والأسيوية الاستوائية والمدارية من الأخشاب ومنتجات الغابات وجدت طريقها إلى بلاد فارس والعراق والشام عبر ميناء صحار.

كما ان الميناء يقع بين أقاليم متنوعة من الناحية الحضارية، حيث تشكل الجهة الأفريقية من المحيط الهندي مناطق حضارية متدنية في مستوياتها عن الجهة الأخرى على الساحل الهندي من جهة، وعلى منطقة العراق والعالم الإسلامي من جهة ثانية، وبالتالي فقد أدى ذلك إلى وجود حركة نشطة للسلع والمنتجات بين تلك الأقاليم عبر ميناء صحار. فقد تمكن الملاحون من حمل السلع الإفريقية الخام من الحديد والنحاس والذهب والعاج والأخشاب الصلبة إلى الهند عبر سواحل عمان وميناء صحار ثم إعادة تصنيعها في الهند لتصدر في صورة منتجات صناعية إلى العالم الإسلامي، الذي اعتمد بصورة أساسية على تلك الصناعات الهندية(٩). كما اتجه جزء من تلك الصادرات الصناعية إلى الساحل الأفريقي خاصة المنسوجات والصناعات الزجاجية والخزفية.

من جهة أخرى كانت صحار وسواحل عمان تمثل موقعا وسطا بين أقاليم أحادية الإنتاج مثل بلاد العراق وبين أقاليم متعددة في مواردها الطبيعية في الجنوب، فبلاد الرافدين بلاد زراعية تفتقر إلى المنتجات الغابية ونوعيات الأحجار اللازمة للبناء والتشييد وغير ذلك، بينما الأقاليم الأفريقية والهندية تمتاز بتنوع تلك الموارد في أقاليمها. الأمر الذي أدى إلى حركة نشطة عبر ميناء صحار لنقل تلك السلع إلى مناطق استهلاكها(١٠).

(هـ): يقع ميناء صحار على رأس مثلث سواحل المحيط الهندي الأفريقية والهندية فالمتأمل لخارطة للمحيط الهندي وجنوب آسيا يجد ان سواحل المحيط الهندي تأخذ شكل مثلث قاعدته في الجنوب ورأسه في الشمال ويمثل الساحل الأفريقي إحدى أضلاعه بينما يمثل الساحل الهندي وجزره الضلع الآخر، ويلتقي الضلعان معا على ساحل عمان. وبالتالي فقد أمسكت صحار بخيوط الاتصال والتبادل بين موانئ المحيط الهندي.

ومن المعروف ان المحيط الهندي يمثل المحيط الوحيد الذي كان معروفا للبشرية حتى عمليات الكشوف الجغرافية منذ نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ووصفه ابن الفقيه بانه

قاموس البحار[١١]، لتنوع سلعه ومنتجاته وتعدد ثرواته وبالفعل كان لكل إقليم من أقاليم المحيط الهندي منتجاته الخاصة، وشخصيته الحضارية المميزة، وترتب على ذلك حاجة تلك الأقاليم والموانئ إلى وجود وسيط تجاري يقوم بنقل صادراتها وجلب حاجياتها. وكان هذا الوسيط هو عرب عمان خاصة أهل صحار في العصر الإسلامي. فانتشرت الجاليات العمانية خاصة من أهل صحار على موانئ المحيط الهندي وجزره، وربطت تلك الموانئ بميناء صحار ليصبح مخزنا لسلع الشرق الأقصى وجنوب آسيا وأفريقية.

(و): امتداد نفوذ أهل صحار وعمان إلى السواحل الأسيوية عبر البحار. حيث شهدت منطقة السواحل الفارسية المقابلة لصحار وسواحل مكران[١٢] وسواحل غرب الهند هجرات قديمة إليها من أهل عمان للتجارة والاستقرار. فقد شهدت السواحل الإيرانية ومنطقة غرب الهند هجرات عربية قبيل ظهور الإسلام وفي العصور الإسلامية، وفرت معظمها من عمان، وتعد هجرة سليمة بن مالك بن فهم الازدي إلى منطقة كرمان وتمكنه من الوصول إلى السلطة فيها امتدادا رسميا لعرب عمان صوب الشرق، حيث تبعته جماعات عربية أخرى إلى تلك النواحي[١٣]. وقد امتد هذا الانتشار العماني ليصل إلى سواحل مكران والديبل وغرب الهند[١٤]، وقد ترتب على هذا الانتشار صبغة السواحل الإيرانية والهندية الغربية بالطابع العربي الأمر الذي أدى إلى تسمية القسم الشمالي من مياه المحيط الهندي والمحاذي لتلك السواحل باسم بحر العرب، وهي تسمية لها دلالاتها التاريخية[١٥]. وقد لاحظ ذلك علماء اللغويات، حيث توصلوا إلى وجود تأثيرات عربية مبكرة في اللغة السنسكريتية، وقد ظهرت في العصور القديمة موانئ عربية على ساحل الهند مثل ميناء عربتاك[١٦].

وقد أتاح هذا الامتداد العربي والعماني مجالا حيويا واسعا لأهل صحار خاصة في فترة العصور الإسلامية، حيث أصبحت تلك الأقاليم تعتبر مجالا لتجار صحار وسفنهم.

(ز): توسط أهل صحار أجناس بشرية ابتعدت عن الملاحة والتجارة البحرية لظروفها الخاصة، فقد ظلت سواحل شرقي أفريقية غير مستقرة من الناحية السياسية في ظل تحركات قبائل البانتو منذ القرن الأول الميلادي وحتى فترة العصور الوسطى كما ان الأريين في غرب آسيا والهند أقاموا نظما ريفية مغلقة وأغلقوا على أنفسهم جميع الأبواب التي توصلهم إلى العالم الخارجي، فكان العرب أهم العناصر التي تمكنت من اقتحام تلك النظم والاستقرار في بلادهم. أضف إلى ذلك ان العقائد الهندية من هندوسية وبوذية دخلت مع بعضها في صراع عقائدي. وكان اتباعها لا يرون خطرا من العرب عليهم بسبب عدم تدخلهم في الجوانب العقائدية. كما ان الهنود ارتبطوا بنظرة الزهد والازدراء للعالم المادي من خلال عقائدهم التي تقلل من احترامها وتقديرها للعمل اليدوي وركزت جل اهتمامها على العالم الآخر.

من هنا احتاج الهنود إلى وسيط تجاري لحمل فائض منتجاتهم واستيراد ما يلزمهم. واصبح عرب عمان وسكان ميناء صحار هم أهم الوسائط بين تلك الأجناس، ومصدرا أساسيا في اقتصاد تلك المناطق والأقاليم.

٢ـ الموضع:

(أ): توافر المياه العذبة والسلع الزراعية التي تنتج في محيط صحار من خلال سهل الباطنة. أتاح هذا الأمر لصحار جانبا هاما من جوانب الاستقرار والاستمرارية.

(ب): ارتبطت منطقة جبال حجر عمان بإنتاج خامات هامة للعالم القديم والعالم الإسلامي حيث ارتبطت المنطقة الخلفية لصحار من جبال حجر عمان بإنتاج خامات النحاس التي كانت المنجم الأساسي للنحاس اللازم لحضارات بلاد الرافدين وخاصة العصر البابلي، ومن قبله العصر السومري، بحيث عرفت عمان في النصوص السومرية باسم «جبل النحاس». كما صدرت المنطقة المحيطة بصحار من جبال الحجر الأحجار اللازمة للعراق[١٧].

وقد قام تجار صحار وأثرياؤها باستثمار أموالهم في مناجم النحاس حيث قاموا بتأجير مناجم النحاس إلى أطراف أخرى مقابل نسبة معينة من الأرباح. وبذلك توفرت بمنطقة صحار القاعدة الأساسية للصناعة من وجود: المواد الخام ورأس المال اللازم والأيدي اللازمة للصناعة. وقد اعتمدت بذلك على إمكانيات المنطقة الخاصة[١٨].

كما شهدت صحار قيام صناعات تحويلية اعتمدت على خامات خارجية، ثم تتم عملية الانتاج النهائي في صحار، خاصة صناعات النسيج. حيث كان يتم جلب خيوط غزل القطن والحرير ثم تتم عملية التصنيع والإنتاج النهائي بصحار[١٩].

(ج): أصبحت صحار أشبه ببورصة عالمية للاستثمار فقد هاجرت إليها رؤوس الأموال من موانئ الخليج الأخرى لظروف أمنية وسياسية واستقرت بصحار، واستقر بها التجار من كل مكان بحيث أصبحت المركز التجاري الهام في العالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري، حتى اعتقد البعض بوجود دار لسك العملة في صحار لتوفر السيولة النقدية بها. وقد وردت بالمصادر روايات تدل على ذلك ومن تلك الروايات ما روي من ان تاجرا من أهل صحار ورد من الصين في مركب لنفسه وجميع ما فيه له، وان قيمة العشور المستحقة على سلع المركب بلغت ألف ألف درهم ونيف[٢٠]. وان هذا التاجر باع لأحد المواطنين ويدعى احمد بن مروان دفعة واحدة من المسك بلغت مائة ألف مثقال[٢١]. وانه باع بردا بأربعين ألف دينار دفعة أخرى، وباع على رجل آخر بعشرين ألف دينار دفعة أخرى، حتى حسده الخلق[٢٢]. وكان ذلك سنة ٣٠٠هـ.

وحكي ان رجلا خرج من عمان ولا شيء معه وعاد ومعه مركب به مسك بألف ألف دينار وثياب وحرير وصيني بمثلها وجواهر وأحجار ظريفة بمثلها[٢٣]. وان احمد بن هلال الوالي

اخذ منه من الأمتعة خمسمائة ألف دينار. ويروى ان هذا الرجل أهدى إلى احمد بن هلال والي عمان، والمقيم في صحار، برنية صيني سوداء مضيئة الرأس بالذهب، وبها رأس فيها عبارة عن أشكال سمك من ذهب عيونه من الياقوت ومخلل بالمسك الفائق، وقيمة تلك البرنية خمسون ألف دينار(٢٤).

ويتضح ان تلك المكانة الكبيرة لصحار في حركة المال والنقد العالمي في تلك الفترة تعود إلى إمكانيات المنطقة بالإضافة إلى نشاط تجارها الذين ضرب بهم المثل في الوصول إلى أماكن بعيدة نائية والتعامل مع مختلف الأجناس والمستويات، وقد اكتسبوا بنشاطاتهم ثقة الحكام والشعوب كما روي في حكايات التاجر محمد العماني ويزيد العماني(٢٥).

وتبوأت صحار بذلك مكانتها العالمية في حركة التجارة والملاحة الدولية. واستقر بها تجار من أجناس مختلفة ومناطق متباينة، فتنوعت بها السلع وظهرت الأسواق المتخصصة بالمدينة، واتسع ميناء صحار ليمتد على طول أربعة أميال على الساحل(٢٦). واتسعت مساحة المدينة لتصبح أضعاف مساحة صحار الحالية. واصبح بها مركز التجارة العالمية فمنها يتجهز التجار المتجهون إلى أية منطقة، فصارت دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن(٢٧). حتى قال عنها ابن حوقل بانه لا توجد مدينة على شط بحر فارس بجميع دار الإسلام اكثر عمارة ومالا من صحار(٢٨).

*** ثانيا: العوامل التاريخية والسياسية:**

كانت الظروف الدولية التي سادت العصور القديمة عاملا هاما لنمو ميناء صحار واحتلاله تلك المكانة في الملاحقة الدولية.

واصبح ميناء صحار هو مركز الحركة الملاحية لتجار الخليج العربي في هذا العصر.

وبذلك ساعدت عدة عوامل على قوة ميناء صحار في عصور ما قبل الإسلام وإلى نشاط الخليج العربي تجاريا، بحيث لم يتمكن البحر الأحمر من منافسته. ومن تلك العوامل:

١- اتخاذ الساسانيين من طيسفون التي تقع على نهر دجلة عاصمة لهم، وبذلك اعتمدت العاصمة الإمبراطورية للقوة الشرقية على استيراد ما يلزمها من العالم الخارجي على منفذ الخليج العربي وبذلك ازدهرت موانئ الخليج وخاصة ميناء صحار. واتخذ حكام الساسانيين خطوات هامة من اجل تسهيل وانسياب الملاحة في منطقة الخليج العربي(٢٩).

٢- لم يتمكن البحر الأحمر ومنافذه من منافسة الخليج العربي وموانئه في مجال نقل السلع القادمة من المحيط الهندي بسواحله الأفريقية والأسيوية بسبب عوامل جغرافية ومعارضة اليمنيين بكل قواهم ضد أي تطور للملاحة في البحر الأحمر، وقاوموا محاولات الرومان في ذلك، وأرسل الإمبراطور أغسطس حملة ضد اليمن بقيادة واليه على مصر ايليوس جالوس A.Gallos(٣٠).

كما ان الاضطرابات التي شهدتها مدينة الإسكندرية في القرن الرابع الميلادي بين اليهود والوثنيين والمسيحيين أدت إلى تردي أحوال المدينة، والتي كانت تعتبر منفذ تجارة البحر الأحمر.

٣- لم يتمكن الاسكندر الأكبر من ربط الخليج العربي بالبحر الأحمر وبالتالي بالبحر المتوسط حينما أرسل حملات استكشافية عبر سواحل الخليج والبحر الأحمر وأرسل بعثات عبر نهر السند لربط تجارة الهند بالبحر المتوسط. وظل الخليج العربي يقوم بدور الوساطة في التجارة العالمية[٣١]. كما لم يتمكن الأحباش زمن دولة اكسوم التي قامت في القرن الرابع الميلادي من تلبية احتياجات الرومان وشعوب البحر المتوسط من سلع المحيط الهندي، وذلك لعدم توفر خبرات ملاحية لديهم. كما ان الفرس مدوا نفوذهم إلى مدخل البحر الاحمر الجنوبي ودار صراع بينهم وبين الأحباش قبيل ظهور الإسلام للسيطرة على اليمن[٣٢]، وبالتالي جعل الخليج هو شريان الملاحة الوحيد.

وبذلك كانت السياسة الفارسية والأوضاع الدولية في العصور القديمة عاملا على استمرارية النشاط الملاحي في الخليج العربي وازدهار ميناء صحار.

وفي العصور الإسلامية زادت أهمية ميناء صحار في حركة الملاحة والتجارة الدولية وقد أدت عدة عوامل إلى ذلك منها ما يلي:

١- أدت عمليات الصدام العسكري المستمر بين المسلمين وبين الفرس أثناء معركة القادسية وحتى سقوط الإمبراطورية الساسانية إلى تردي الأوضاع على الطرق التجارية البحرية التي تحمل سلع ومنتجات الصين عبر أواسط آسيا وفارس. واتجهت الأنظار إلى الاعتماد على طريق الخليج العربي البحري بصورة أساسية. فزادت أهمية ميناء صحار.

٢- ارتبطت صحار بشبكة الطرق البحرية التي تربط أجزاء شبه الجزيرة العربية وهي الشبكة التي كانت تربط أجزاء شبه الجزيرة العربية منذ العصور القديمة ولكنها ازدهرت في العصر الإسلامي منذ بدايته، حيث أصبحت تلك الشبكة تتبع دولة واحدة لأول مرة. وقد ارتبطت صحار عبر الأودية بتلك الشبكة واعتمدت على ميناء صحار لإمدادها بمنتجات وسلع المحيط الهندي، أو لتصريف منتجات الأقاليم العربية الداخلية[٣٣]. وتمتد هذه الشبكة من اليمن وحضرموت في الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية ثم يتجه إلى الشرق عبر ظفار إلى داخلية عمان ومنطقة الظاهرة والبريمي وواحة ليوا، وتستمر تلك الرحلة من اليمن وحتى واحة ليوا حوالي أربعين يوما[٣٤]. وقد اتصلت بميناء صحار بصورة وثيقة منذ العصر الإسلامي. كما ربطت ميناء صحار بداخل شبه الجزيرة العربية من خلال طرق تلك الشبكة المتجهة إلى حائل وتيماء عبر وادي اليمامة[٣٥].

٣- كان قرار الخليفة عمر بن الخطاب بتأسيس البصرة سنة ١٤هـ/ سنة ٦٣٥م كمركز متقدم للمقاتلة على خطوط المواجهة مع الفرس[٣٦]، وكان ذلك على يد عتبة بن غزوان[٣٧]. كان ذلك بداية لتطورات حضارية هامة في شمال الخليج العربي وموانئ عمان خاصة ميناء صحار. ذلك ان تلك المدينة خطط لها عمر بن الخطاب ان تكون مدينة بين فارس وديار العرب وحد العراق على بحر الصين[٣٨] وبوابة الهند. ورغم دور المدينة في الأحداث السياسة للعالم الإسلامي خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، إلا انها أصبحت مدينة التجارة والثراء، حتى وقف أحد رجالها[٣٩] يفتخر بمدينته على أهل الكوفة بقوله «نحن اكثر ساجا وعاجا وديباجا ونهرا اجاجا»[٤٠]. وأصبحت البصرة بحق «عين العراق»[٤١] وأصبحت مأوى كل تجار وطريق كل عابر[٤٢].

وأضحت صحار مركز الإمداد والتموين الأساسي للبصرة ومنطقة العراق. وخاصة بعد ان حدثت تنمية اقتصادية شاملة في البصرة وتعددت فيها مصادر الدخل واتسعت فتوحات أهلها وزادت اعطياتهم، حتى اصبح الرجل يقول لصاحبه «غضب الله عليك كما غضب أمير المؤمنين على المغيرة، عزله عن البصر وولاه الكوفة»[٤٣].

واستمر دور أهل صحار ونشاط مينائهم رغم تعرض منطقة البصرة للفتن والاضطرابات خاصة في القرن الثالث الهجري، اذ أصبحت صحار مركز ومخزن السلع والتجارات التي تتجه إلى البصرة وجنوب العراق حيث خشي التجار على أموالهم واتجهوا صوب صحار، حتى يتمكنوا من توصيل سلعهم إليها بسبل أخرى.

٤- نعمت منطقة الخليج العربي بالأمن والاستقرار منذ بداية العصر الإسلامي حيث تم تصفية التجمعات الفارسية التي اتجهت إلى سواحل الخليج العربي بعد هزيمة الفرس في القادسية، فازدهرت موانئ الخليج وخاصة ميناء صحار في ظل نجاحات أهل عمان العسكرية في منطقة فارس ومكران وكرمان والخليج. وعملت إدارة الدولة الإسلامية في المدينة ودمشق على تأمين التجارة والملاحة في الخليج.

وحينما وصلت شكاوى التجار العمانيين من وجود قراصنة في مثلث جوجيرات في غرب الهند، قام والي عمان والبحرين عثمان بن ابي العاص الثقفي بحملة بحرية باتجاه غرب الهند سنة ١٥هـ/ سنة ٦٣٦م زمن الخليفة عمر بن الخطاب تمكن فيها من تأمين حركة التجارة ومرور السفن في تلك النواحي. وكانت تلك العملية العسكرية تستند في اغلبها على عرب عمان لخبرتهم بتلك النواحي ولفائدتها لموانئهم، ورغم فشل تلك العملية العسكرية، إلا انها أشعرت القوى الهندية بوجود قوة جديدة في منطقة الخليج وغرب آسيا. كما استفاد أهل صحار وعمان من نتائج حملة محمد بن القاسم الثقفي حينما ضمت السند للعالم الإسلامي واتسعت سواحل المسلمين بالمحيط الهندي وأصبحت صحار في تلك الفترة مركزا للتجارة بين غرب الهند ومنطقة العراق والخليج العربي.

٥- أدت القلاقل والاضطرابات التي شهدتها منطقة شمال الخليج العربي من قيام ثورات الزط والزنج والقرامطة إلى ابتعاد التجار بأموالهم والربابنة بسفنهم عن تلك المنطقة. وأصبحت صحار المركز الآمن والمناسب للاستقرار من قبل التجار والبحارة. خاصة بعد قيام القرامطة بفرض ضرائب عالية على التجارة في المناطق التي خضعت لهم مباشرة في منطقة شمال الخليج العربي.

٦- حرص ولاة البصرة على فرض الأمن والاستقرار في منطقة الخليج العربي والعمل على تصفيته من القراصنة، وتمثل ذلك في ولاية زياد بن أبيه وابنه عبيد الله بن زياد واستمرت تلك السياسة زمن الحجاج بن يوسف الثقفي للعراق أيضا.

٧- النظم المتبعة في إدارة ميناء صحار من حيث رعاية التجار وتقديم التسهيلات لهم والحرص على راحتهم، حيث كانت لهم دور خاصة ينزلون بها، والقيام بأعباء الميناء على خير وجه من حيث نظم استقبال السفن ونظم التفريغ والشحن والمغادرة.

٨- كما حرص أهل عمان وصحار من مدنها على توفير الأمن والطمأنينة والاستقرار للتجار، وتدل رواية التاجر الذي عاد من الصين ومعه مال لا حصر له، وان احمد بن هلال والي صحار أخذ منه ٥٠٠,٠٠٠ دينار على الأمتعة، فاراد الخليفة المقتدر حمله إلى بغداد فرفض أهل صحار وسار احمد بن هلال على رأيهم خوفا من انقطاع التجار عن عمان[٤٤].

* ثانياً:

شبكة الموانئ والطرق المرتبطة بصحار:

أصبحت صحار مركز وعصب الخطوط الملاحية العابرة للمحيط الهندي في الاتجاه الإفريقي أو الأسيوي، وكذلك المتجهة من جنوب غرب آسيا. كما انها أصبحت مركز تجارة منطقة غرب آسيا بصورة أساسية، وحتى منطقة البحر المتوسط حتى ذكر البعض بانه لو سد الخليج العربي وموانئ عمان لتدهورت تجارة البحر المتوسط[٤٥].

وقد تميز ميناء صحار عن غيره بعدة مميزات جعلت منه منظما ومشرفا على حركة النقل والتجارة بين موانئ المحيط الهندي والخليج العربي، وذلك ان ميناء صحار قام بدور الوسيط للتجارة العالمية، كما قام بدور النافذة للسلع والمنتجات العمانية والخليجية أيضا. فقد كانت موانئ المحيط الهندي التي ترتبط بميناء صحار في معظمها عبارة عن نافذة لتصريف واستيراد سلع أقاليمها[٤٦].

من هنا فقد ارتبطت تلك الموانئ مع ميناء صحار في وحدة اقتصادية وحضارية لفترات طويلة من الزمن، ولأهمية دور تجار صحار فقد حصلوا على تسهيلات في تلك الموانئ لمرور سفنهم ومبادلة سلعهم، ونلاحظ ذلك من كثرة الرحلات المتجهة إلى

ميناء صحار أو الخارجة منه، وكذلك كثرة وتنوع السلع بالميناء وانتشار أهل عمان بكثرة في تلك الموانئ[٤٧]. وبذلك ظهرت لنا لوحة واسعة من الخطوط الملاحية والبرية المرتبطة بتجارة صحار[٤٨].

ويمكن تقسيم شبكة الموانئ التي ارتبطت بميناء صحار حسب أقاليمها كما يلي:

اولا: موانئ ساحل الصين وجنوب آسيا:

١ـ خانقو (كانتون):

من اشهر موانئ الصين، ويقع على نهر كبير، وقد استقر بها عدد كبير من التجار الفرس والعرب وأهل عمان خاصة من صحار. وكانت سلطات الميناء تقدم خدمات كبيرة للتجار العرب والعمانيين بسبب اعتمادها على الدخل الكبير من تجارتهم بعد دفع العشور[٤٩].

وتعتبر خانقو الميناء الرئيسي للتجارة العربية والعمانية مع أهل الصين. وكانت مصدر تجارة المسك والأرز وقصب السكر. وكان للتجار العرب بها مكانة هامة خاصة زمن أسرة تانغ في الصين التي ارتبطت بعلاقات تجارية ناجحة مع العرب في العصر العباسي. حيث كان للتجار المسلمين قاض خاص بهم[٥٠].

٢ـ خانجو:

مدينة صينية تشبه خانقو مكتظة بالسكان، تشتهر بتصدير المنتجات الغابية مثل الحيوانات كالفيلة والكركدن والزرافة، كما كانت مصدرا هاما للعاج وخشب الصندل والكافور والتوابل. ومن أهم السلع الأخرى التي استوردها العرب من الصين العود، الذي زاد الطلب عليه في العصر العباسي. كما صدر أهل الصين للمسلمين الصناعات التي تعتمد على النقوش مثل مقابض السيوف والخزف، حيث أصبحت مدينة الزيتون الصينية من اشهر مدن العالم في العصر الوسيط في تصدير الخزف الصيني. وقد كان التجار العرب يقومون بتكليف بعض الصناع الصينيين بصناعة أنواع خزفية بأشكال خاصة[٥١].

كما اشتهرت الصين بتصدير الحرير الطبيعي والورق والمداد والطراويس والدار صيني والصناعات المعدنية[٥٢].

٣ـ سرنديب:

اشتهرت بتصدير اللؤلؤ الفاخر والكافور والياقوت[٥٣]. الذي كان يكثر في جبالها حتى سميت باسم «جزيرة الياقوت»[٥٤] كما قصدتها سفن أهل صحار لاستيراد الأخشاب والماس والعطور والرصاص.

ثانيا: موانئ الساحل الإفريقي الشرقي:

ارتبطت تجارة أهل صحار بعدد من الموانئ الإفريقية ومن أهمها:

١ـ مقديشو:

مدينة أسست منذ القرن الرابع الهجري على يد العرب من منطقة البحرين، وازدهر

ميناؤها حتى العصور الحديثة، واصبح به جماعة كبيرة من تجار صحار لجلب منتجات إفريقية من العاج والجلود وغير ذلك، وكانت تصل إلى منتجات الهند والصين.

٢ـ بات ولومو:

وهي مجموعة جزر مقابل الساحل الكيني، شهدت منذ بداية العصور الإسلامية نشاطا من قبل التجار العرب، وأصبحت منذ القرن الأول الهجري مركزا لإمارة عمانية عربية إسلامية على الساحل الشرقي لإفريقية خاصة بعد هجرة الأخوين سعيد وسليمان ابني عباد، ونشاط حفيدهما الحاج سعيد، وكذلك هجرة النباهنة.

٣ـ سفالة الزنج:

منطقة على ساحل افريقية الشرقي من جهة الجنوب، أصبحت مركزا لتجارة الذهب، وكانت مركزا لإنتاج الذهب حتى بداية العصور الحديثة. واستقرت بها جاليات من تجار عمان بصحار وصور، ويذكر المغيري أسماء تجار من أهل صحار بها.

٤ـ جزر القمر:

رغم صعوبات الملاحة في مضيق ملاجاشي، فان العرب وصلوا إلى تلك الجزر وكذلك إلى جزيرة مالاجاشي، ومازالت الآثار العربية واضحة في تلك المناطق وقد ارتبطت بزنجبار وبعرب عمان في تلك النواحي حتى في عصر دولة البوسعيد في شرقي إفريقية.

ثالثا: موانئ شبه الجزيرة العربية المطلة على المحيط الهندي:

١. ميناء عدن:

احتلت عدن مكانة هامة في تجارة الشرق الأدنى وإفريقية والمحيط الهندي بحيث أصبحت «دهليز الصين وفرضة اليمن وخزانة المشرق ومعدن التجارات»[٥٦] ويرجع ذلك إلى أهميتها بالنسبة لليمن ومدخل البحر الأحمر والقرن الإفريقي، بالإضافة إلى ارتباطها بطريق بري مع منطقة جنوب الجزيرة العربية وطرق الحجاز[٥٦]. وأصبحت عدن مركزا لتجارة الجلود والعنبر واللؤلؤ والأخشاب والتوابل والحرير والخزف، بالإضافة إلى منتجات البحر الأحمر والبحر المتوسط والشام مثل المرجان والزئبق والأصباغ والفضة[٥٧].

وتتضح علاقة عدن بميناء صحار في امرين هما:

* **الأمر الأول:** انتقال الأهمية لتجارة المحيط الهندي من صحار إلى عدن بعد الأحداث التي سادت غرب آسيا من الغزو المغولي وسقوط بغداد، ففي الوقت الذي أهمل فيه. ظهرت القوى الإسلامية القوية في البحر الأحمر مثل الايوبيين والمماليك وهما القوتان اللتان عملتا على مواجهة الأخطار التي يتعرض لها المسلمون. من هنا نشطت تجارة البحر الأحمر في تلك الفترة، وأصبحت عدن هي منفذ تلك التجارة في الوقت الذي ظلت فيه صحار ميناء هاما لمنطقة الخليج العربي.

* **الأمر الثاني:** ظلت صحار بحكم خبرة أهلها وملاحيها المركز الأساسي للتحكم في

تجارة الهند وجنوب شرق آسيا، وأصبحت سلع تلك المناطق تصل إلى اليمن عبر تجار وبحارة صحار.

ومنذ القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، تدهورت الأمور في إدارة الميناء بسبب تعسف حكام عدن في جمع الضرائب فانتقلت أهميتها إلى ميناء جدة واقتصر دور عدن على الوساطة التجارية.

٢ـ سوقطرى:

ازدهرت تلك الجزيرة في عالم تجارة المحيط الهندي والبحر الأحمر منذ العصر الهلينستي حتى سماها اليونان باسم الجزيرة السعيدة(٥٨). وأصبحت ملتقى تجارة إفريقية والهند والبحرين الأحمر والمتوسط، يتضح ذلك من تنوع جنسيات تجارها واختلاف سلعها(٥٩). وتأتي أهميتها بالنسبة لميناء صحار انها كانت محطة تموين واستراحة للسفن القادمة من عمان والمتجهة إلى عدن أو جدة على ساحل البحر الأحمر(٦٠)، كما كانت تعتبر ملجأ لأية أخطار تواجه السفن من رياح وعواصف أو قراصنة(٦١). كما كانت تصدر إلى صحار المر والعنبر والصمغ.

٣ـ جـدة:

ميناء يقع على ساحل البحر الأحمر يقع على خط طول ٥٦° شرقا ودائرة عرض ٢١° شمالا، ويعتبر منفذا لتجارة الحجاز بعد اختفاء أهمية ميناء الشعيبة والجار. واصبح مرفأ تجارة قريش ومستودع تجارتها، ونشطت منذ العصر العباسي، وتنوعت بها التجارات والتجار من عرب وفرس وأفارقة خاصة منذ القرن الرابع الهجري(٦٢).

وارتبطت جدة بميناء صحار عبر طريقين: الاول: بري عبر أودية حجر عمان إلى الظاهرة فواحة ليوا ثم اليمامة ليتجه هذا الطريق برا إلى الحجاز، وقد حملت عبره سلع ميناء صحار خاصة المنسوجات والكماليات وانتشرت منسوجات صحار في منطقة الحجاز منذ عصر ما قبل الإسلام وفي العصور الإسلامية. وقد وردت عدة روايات في كتب السيرة عن ذلك(٦٣).

أما الطريق الثاني: فكان عبر سواحل شبه الجزيرة العربية الجنوبية إلى البحر الأحمر، حيث كانت سفن أهل صحار (من عمان) تحمل خامات ومنتجات هندية وصينية إلى جدة وخاصة خامات القطن التي كانت تحمل في بالات كبيرة من القطن المحلوج وتحمل على ظهور السفن لتصل إلى جدة. وكان يتم حمل القطن وجمعه من مناطق إنتاجه الرئيسية من الهند أو من المناطق الجديدة التي بدأت في زراعة في منطقة شمال الخليج العربي ومنطقة عمان حيث يتم فصل البذور ثم تعبئته في بالات وتصديره أو تصنيعه وكان يتم تصديره إلى المناطق المحتاجة مثل منطقة البحر الأحمر والبحر المتوسط، واشتهر تجار صحار بعقد مثل تلك الصفقات(٦٤).

٢ـ الشحر:

ميناء يطل على ساحل المحيط الهندي من بلاد مهرة[٦٥]. ويرجع عدم ذكر الرحالين لهذا الميناء إلى فقر بيئته الجغرافية، كما ان دخول الميناء والخروج منه يواجه أخطارا بسبب ان ساحلها مواز للرياح الموسمية.

وارتبط هذا الميناء بتصدير أنواع معينة من الأسماك بعد تجفيفها إلى البصرة عبر صحار. كما كان مصدرا هاما لتصدير اللبان. يقول الشاعر:

سافر إلى الشحر ودع عمانا

ان لم تجد تمرا تجد لبانا

٥ـ ظفار:

ارتبط ميناء ظفار بتصدير اجود أنواع اللبان والبخور، وكذلك الخيول العربية، التي اشتهرت بها ظفار في صدر الإسلام، وقد أدى ذلك إلى ارتباط ظفار بطرق برية عبر شبه الجزيرة العربية، وبخطوط ملاحية[٦٦]. وقد برع أهلها في تجارة السلع الإفريقية والهندية وسلع جنوب شرق آسيا.

وارتبطت ظفار ضمن الخطوط الملاحية في شبكة موانئ المحيط الهندي والخليج العربي، وبذلك ارتبطت بميناء صحار عبر سواحل عمان، وصدر منها أنواع من الزبد، والمنتجات الزراعية مثل الموز والنارجيل[٦٧].

٦ـ مرباط:

ميناء بإقليم ظفار بجنوب عمان يحمّل منه السمك المجفف إلى مناطق المحيط الهندي والخليج العربي، كما يحمّل منه الدهن والمنتجات الحيوانية التي ارتبطت بإقليم ظفار لتوفر العشب والمراعي لفترة طويلة ووجود ثروة حيوانية في الإقليم[٦٨].

٧ـ مصيرة:

ارتبط أهلها بالعمل على تنظيم الرحلات البحرية الطويلة عبر مياه المحيط الهندي، واحتلت مكانة هامة في تجارة المحيط الهندي والخليج العربي، وكانت محطة للسفن المتجهة من صحار صوب شرقي أفريقية، أو العكس. كما توفرت بها المياه اللازمة لتمويل السفن والبحارة. واشتهرت بتوفر بعض الطيور التي كانت تجمع منها[٦٩].

رابعا: موانئ الساحل الهندي ومكران:

١ـ ميناء التيز:

ميناء مكران على ساحل بحر العرب، ويعتبر منفذ إقليم مكران وبلوشستان وترتبط تلك المناطق بمنتجاتها الزراعية المتعددة[٧٠]. ويعتبر من المحطات الأساسية التي تمر بها سفن العمانيين من أهل صحار في طريقهم إلى الديبل أو ساحل جوجيرات ومليبار[٧١].

٢ـ ميناء الديبل «ثغر الذهب»:

ميناء السند المطل على بحر العرب، وقد كثرت به الجاليات العربية المستقرة هناك للعمل بخدمة التجارة، لأهمية الميناء في تجميع حاصلات السند الزراعية خاصة من القنا والخيزران، واستوطن به عدد كبير من تجار عمان ومنهم الصحاريون حتى اصبح كلام سكانه «سندي عربي»(٧٢). وقد ازدهرت أحوال الميناء الاقتصادية حتى ان أهله بنوا بيوتهم من خشب الساج(٧٣).

رغم ارتباط ميناء الديبل بميناء صحار وموانئ الخليج إلا انه كان يهمل في بعض الفترات لانتشار جماعات القراصنة الذين هددوا السفن التجارية والمسافرين، وان كانت حملة محمد بن القاسم قد تمكنت من وضع حد لنشاط الميد في هذا المثلث، فازدهرت العلاقات من جديد بين صحار ومنطقة الديبل وغرب الهند. واستقرت جماعات عمانية عديدة في تلك المناطق خاصة زمن حكم آل المهلب لتلك النواحي.

٣ـ جوادر:

ميناء يقع بين التيز وبين الديبل وكان بمثابة محطة لراحة المسافرين والتزود بالمياه في الطريق البحري من الخليج العربي إلى غرب الهند(٧٤)، ونظرا لأهميته في خطوط الملاحة على سواحل شمال المحيط الهندي فقد اصبح تابعا لأهل عمان في العصور الحديثة.

٤ـ موانئ ساحل جوجيرات:

من أهم موانئ ساحل جوجيرات: بروج، تانة، ديو، سفالة الهند، سومنات، كمباي، حيمور، ككم. وهي موانئ نشطة في علاقاتها مع موانئ عمان وصحار، حيث تصدر منتجاتها من سلع الهند إلى الخليج عبر ميناء صحار.

٥ـ موانئ ساحل مليبار:

من أهمها: ألبي، يوناي، ثريفندوم، سندابور، سيل، ساليا، صندابور، كاليكوت، كيسن، هيلي، كيسن، كوشين، سورات، منجور. وقد ارتبطت تلك الموانئ بتجارة التوابل و الفلفل وسلع أخرى مثل أخشاب الساج. وكانت تلك الموانئ من أهم موانئ الهند المرتبطة بتجارة أهل صحار.

خامسا: موانئ الخليج العربي المرتبطة بميناء صحار:

١ـ ميناء البصرة:

تأسست الحاضرة الجديدة على رأس الخليج العربي سنة ١٤هـ/ سنة ٦٣٥م، على يد عتبة بن غزوان بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب، وسرعان ما اتسعت المدينة وتحكمت في أحداث العراق والمشرق الإسلامي والخليج العربي لفترة طويلة من النواحي الاقتصادية والسياسية، وبلغ من اتساعها في بعض الفترات ان ألحق بها عبادان والابلة، وأصبحت مدينة الدنيا ومقصد التجار ومنارة الفكر الجديد ومدينة الساج والعاج. وأصبحت كما أراد لها عمر بن الخطاب ان تكون واسطة بين فارس والعرب وتجارة الهند والصين(٧٥).

وترجع أهمية المدينة إلى موقعها التجاري الهام بين العراق وفارس والشام من جهة وبين عالم المحيط الهندي والخليج العربي من جهة ثانية. وبالفعل فقد ارتبطت بها طرق تجارية برية إلى فارس والعراق وشبه الجزيرة العربية والشام(٧٦). كما ارتبطت بطرق ملاحية هامة عبر الخليج العربي والمحيط الهندي. كما ترجع أهميتها إلى التنمية الاقتصادية الشاملة التي شهدتها فاستصلحت الأراضي وحفرت الأنهار وزرعت سلالات جديدة من النخيل(٧٧)، واحتلت المدينة مكانة هامة في الاقتصاد الإسلامي، كما توسعت فتوحات أهلها وزادت أعطياتهم. وفي سبيل تطوير الميناء حسب أهمية المدينة العالمية والإقليمية تم تنفيذ مشاريع لهذا الغرض من ذلك وضع علامات إرشادية من الخشب عند مدخل الميناء(٧٨)، وتركيب خشبات وعليها أعمدة يقف عليها الحراس لكي يوقدوا النار لإرشاد السفن(٧٩).

وقام ميناء صحار بدوره الكبير بين مدينة البصرة وبين تجارة المحيط الهندي بصورة عامة. فأصبحت صحار هي مركز التجارة الهامة لتوفير واردات البصرة من سلع أفريقية وسلع الهند والصين. فاتسع نشاط أهلها وملاحيها لتوفير حاجيات البصرة، منذ بداية إنشائها وزاد هذا النشاط بامتداد مساحة البصرة ونفوذ أهلها. وكثر أهل عمان القاطنين بالبصرة، حتى سميت في بعض الفترات بـ«بصرة المهلب» نسبة إلى المهلب بن أبي صفرة الازدي العماني حيث تمكنت قواته من أزد عمان من حفظ الأمن والاستقرار لميناء البصرة وسكان المدينة أثناء ثورة الأزارقة. كما اشتهر بالبصرة عدد من أهل صحار خاصة في مجال التجارة وفي مجالات أخرى مثل الثقافة والسياسة. وقد وردت إشارات عن قيام تجار من صحار عاشوا في البصرة بتصدير خامات القطن إلى موانئ أخرى مثل ميناء جدة على البحر الأحمر(٨٠).

٢ـ ميناء الأبلة:

ميناء قديم ازدهر منذ العصر الهلينستي وكان يسمى ابو لوجويس وزادت أهميته في العصر الساساني بسبب إنشاء مدينة طيسفون (المدائن) وجعلها كعاصمة للامبراطورية(٨١)، وقام الفرس الساسانيون باتخاذ خطوات هامة لتنشيط تجارة الميناء، حتى سماه العرب بـ«فرج الهند»(٨٢). كما اصبح المحطة الأخيرة للسفن المحيطية القادمة من المحيط الهندي والصين(٨٣).

زادت أهمية ميناء الأبلة في العصر الإسلامي، فبرغم إنشاء البصرة بالقرب من الميناء، إلا ان الأبلة أصبحت مركزا لتجارة أهل البصرة. كما أصبحت الأبلة مركز التجارة من كل صوب. فاستقر بها تجار من أهل عمان وصحار، وزادت أهمية الأبلة بعد حفر نهر الأبلة زمن زياد بن أبيه، الذي استوعب الكثافة السكانية في المنطقة وأتاح الفرصة لاتساع الميناء، حيث وفر خلفية زراعية للميناء. وظلت الأبلة مركزا تجاريا هاما في العصر العباسي حيث

اعتمدت عليها بغداد في تجارتها الخارجية، حتى ان الخليفة العباسي المنصور قد راعى عند اختياره عاصمة لملكه ان تكون على صلة بتجارة الأبلة وعمان(٨٤).

وقد استقرت جاليات من تجار عمان بما فيهم الصحاريون بالأبلة، وخاصة وان سفن الأبلة كانت من السفن المحيطية الضخمة التي كانت ملكا لتجار وبحارة عمان وخاصة ميناء صحار، لكن الأحوال الأمنية تدهورت في الميناء في القرن الثالث الهجري أبّان ثورة الزنج. حيث دخلتها قواتهم فهجرها العديد من التجار.

٣ـ كاظمة:

مركز تجاري هام في الشمال الغربي للخليج العربي، ويمثل نقطة التقاء بين تجارة شبه الجزيرة العربية المتجهة صوب شط العرب، وبين ميناءي الأبلة والبصرة، وزاد من أهميته قربه من ميناءي الأبلة والبصرة، حيث يمثل مخرج تجارة العراق والخليج العربي إلى داخل شبه الجزيرة العربية، حتى أصبحت كاظمة مرتبطة في أذهان سكان شبه الجزيرة العربية بانها مصدر السلع(٨٥).

ورغم نزول قبائل عبدالقيس وتيم وبكر بن وائل بها، إلا ان بعض تجار عمان نزلوا بها من اجل إبرام صفقات تجارية لهم مع تجار شبه الجزيرة العربية حيث كانت صحار مركزا لتجارة وتصدير السكر والمنسوجات التي تدخل في استهلاك سكان شبه الجزيرة العربية.

٤ـ سيراف:

ميناء فارس الهام على الخليج العربي. ورغم وجود الميناء بها منذ العصر الساساني إلا انها بلغت ذروة نشاطها التجاري في بداية العصر العباسي حتى لقبت «بدهليز الصين وخزانة فارس وخراسان»(٨٦)، كما لقبت من قبل البعض «فرضة الهند»(٨٧).

وحقق تجار سيراف مكانة هامة في النشاط التجاري على مستوى موانئ الخليج العربي وموانئ المحيط الهندي حتى اصبحوا الغالبين على مدن تلك السواحل وعلى البحر كله في بعض الفترات(٨٨). وظهرت أصداء لنشاط أهل سيراف حتى سواحل الصين، حيث ظهرت منهم جاليات كبرى في ميناء كانتون.

ويبدو ان نشاط سيراف قد زاد في فترة الاضطرابات والقلاقل التي شهدتها منطقة شمال الخليج العربي خاصة في القرن الثالث الهجري، لكن الميناء تعرض لزلزال كبير سنة ٣٦٧هـ/ سنة ٩٧١م، واستولى عليه أمير قيس بعد ذلك. فانتقل أهله إلى مناطق أخرى، كما استقرت جماعات من تجار سيراف في ميناء صحار واستمروا في أداء دورهم في مجال التجارة البحرية، كما ان تجار صحار قد زاد نشاطهم منذ تلك الفترة واصبح ميناء صحار لا ينافسه ميناء في منطقة الخليج العربي وفي جلب تجارة الصين والهند وشرقي إفريقية.

٥ـ قيس:

جزيرة تقع على مدخل الخليج العربي. ونظرا لموقعها الاستراتيجي ظهرت في البداية كمركز تجاري للمبادلة، ثم ازدهرت في نهاية القرن الرابع الهجري(٨٩). وقد اتجهت اليها

سفن أهل صحار للمبادلة التجارية وبيع المنسوجات والعطور واللؤلؤ[٩٠]. ومنذ القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي فرض حكامها سيطرتهم على الموانئ والجزر المجاورة حتى خارك وجاسك. واصبح للجزيرة أسطول تجاري قوي[٩١].

لكن المنافسة الشديدة بينها وبين هرمز، أدت إلى نشوب الحرب بينهما مما ادى إلى ابتعاد التجار عنها والاستقرار في صحار أو في مراكز تجارية أخرى فتدهورت أحوالها الاقتصادية وفرض أمير هرمز سيطرته عليها.

٦- هرمز:

جزيرة تقع على مدخل الخليج العربي، وتتحكم في الاتصال بين الخليج وخليج عمان. ويبدو من دراستنا للجزيرة ان حكامها لديهم معرفة بأهمية السيطرة على السواحل العربية والتحكم في حركة الملاحة في المنطقة وتطبيق نظام الاحتكار[٩٢]. وبالفعل فقد فرضوا سيطرتهم على سواحل عمان ومنها ميناء صحار، وعمل هؤلاء الحكام على وضع نظام قسري لاجبار السفن التجارية القادمة من الصين والهند وإفريقية والصاعدة إلى الخليج للتوقف في هرمز أو فرض ضرائب عليهما[٩٣]، وكان ميناء صحار من أهم الموانئ العربية والعمانية التي تضررت من جراء تلك السياسة التي امتدت حتى سواحل بحر العرب[٩٤].

٧- البحرين:

تنوعت منتجات وسلع البحرين من اللؤلؤ والتمور وغيرها. وقد ساعد على أهمية موقعها انبساط أرضها وتوفر الكثير من الخلجان الصالحة والأمنة للملاحة بها، فاشتهر أهلها بالتجارة البرية والبحرية وتوفرت في موانئهم سلع الهند وتجارات العرب. كما توفرت عندهم اشهر مغاصات اللؤلؤ خاصة في جزيرة أوال[٩٥].

ارتبطت البحرين بميناء صحار عبر الطريق البحري مع سواحل الخليج العربي وعبر الطريق البري المار بواحة ليوا[٩٦]. فحدث تبادل تجاري بين الطرفين.

٨ - قطـر:

يعتبر ميناء قطر محطة تجارية على ساحل الخليج، ونظرا لموقعه فانه أصبح همزة وصل بين البدو وبين تجارة الخليج العربي. وارتبط بتجارة صحار، حيث كانت سفن من عمان تحمل الأسمدة الطبيعية من بلادهم إلى البصرة. لكنها تأثرت بأوضاع الخليج الأخرى[٩٧].

٩- جلفار:

ميناء هام على ساحل الخليج العربي وتعد مدخل عمان من الشمال وكان مركزا تجاريا منذ القرن السادس الهجري، حيث استثمرت أموال كثيرة من تجار هرمز في ميناء ومنطقة جلفار.

١٠- دبـا:

ميناء هام للعرب على ساحل عمان، لكنه ظل تابعا في أهميته لميناء صحار.

نظم الإبحار والاتصال
بين صحار والموانئ التجارية

كان إبحار السفن عبر مياه المحيط الهندي والخليج العربي عملية منظمة مرتبطة، وبمرور الزمن اصبح للبحارة العرب نظم متوارثة لتحديد البرار والأماكن من خلال علامات بالساحل كالجبال وقممها مثل ميناء كاليكوت، أو بلون رمال الساحل مثل تحديد رأس بريرة بالصومال ولون رمله الأبيض. وكذلك لون المياه ورائحة طين قاع البحر وأنواع الطيور البحرية والحيتان وثعابين البحر والأعشاب البحرية، فمثلا اذا اقتربت السفينة من بر جوجيرات تظهر ثعابين البحر على المياه وهي ثعابين سود قصار. ويشترط ابن ماجد ألا يغيب خط البر عن نظر الملاح إلا في حالة وجود رؤوس بارزة في البحر من البر أو خلجان داخلة في البر، وهذا ما يسمى بالديرة البحرية(٩٨).

أما الديرة المطلقة، فهي التي تنطلق من بر إلى بر آخر، قاطعة عرض البحر الفاصل بينهما. وكان البحارة يستعينون في الهداية إلى المكان المقصود بقياسات النجوم المشهورة وتحديد مقدار ارتفاع النجم عن خط الأفق. وبلغ الأمر بالبحارة إلى رسم خرائط لسواحل المحيط الهندي وتحديد طرقه الملاحية.

ويبدو ان اسم صحار كان علامة هامة في كتب البحارة وخرائطهم لأهميتها في التجارة البحرية. ويتضح لنا الطرق الملاحية التي كانت تنطلق من صحار كانت تأخذ ثلاثة اتجاهات كما يلي:

* **الاتجاه الاول:** من صحار إلى موانئ الخليج العربي أي صوب الشمال والشمال الغربي.
* **الاتجاه الثاني:** من صحار إلى ساحل غرب الهند، ثم إلى جنوب شرقي آسيا وبلاد الصين.
* **الاتجاه الثالث:** من صحار إلى ساحل شرقي أفريقية.

وبالنسبة للاتجاه الاول وهو الطريق الملاحي المتجه شمالا إلى الخليج العربي وموانئه فهو ينقسم إلى قسمين:

الأول: بموازاة السواحل الغربية العربية أو الجزر القريبة منها.

والثاني: بموازاة السواحل الشرقية الفارسية أو الجزر القريبة منها.

وقد ارتبطت الرحلات البحرية من صحار واليها بالطريق الأول في اغلب الأحيان، رغم تميز السواحل الفارسية بقصر المسافات لاستقامة السواحل، وذلك بسبب وجود المراكز التجارية النشطة من الشمال وحتى الجنوب وانتشار التجمعات البشرية على الساحل الغربي، الأمر الذي يوفر عنصر الأمن والأمان للسفن والبحارة، وكذلك العمل في تجارة الترانزيت(١٠٠).

وقد اقتصر الطريق الثاني على السفن القاصدة للسند والهند والصين مباشرة(١٠١) رغم

وجود موانئ نشطة على الساحل الإيراني مثل ميناء سيراف.

ويمكن تحديد المحطات البحرية في الديرة البحرية من صحار إلى البصرة كما يلي: صحار - مجيس - لوى - حرمول - الحميري - القراقير - شناص - البليدة - الحضراوية - خطمة ملاحة - كلبا - جبل حتى - مسندم[١٠٢] - جزيرة الغنم - خصب - خور الرمس - جلفار - جبل هيلي - غوابي - قطر - جزيرة عالي - الحويلة - الزبارة - سلوى - جزيرة بني صالح - جزيرة البحرين - الرفاع - المحرق - الدمام - القطيف - تاروت - رأس تنورة - بوعلن - حرقوص - خور الخفجي - جزيرة ام المرادم - الشعيبة - الفحيحيل - ام النمل - كاظمة - فيلكة - سمعان - بوبيان - خور عبدالله - خور البصرة.

ومن صحار إلى مسقط: صحار - العوينات - خور الحمام - الجعاريف - بني خالد - الخابورة - بندر سويق - مصنعة - السوادي - بركاء - الجرادي - الرميس - بندر السيب (جزر ديمانيات السيب) - جزيرة الفحل - شطيفي - مطرح (المكلا) - مسقط.

ومن قطر إلى رأس الحد[١٠٣] (حيث الديرة المطلقة): مسقط - سداب - البستان - الجصة - يتي - سيفة - شيخ مسعود - قريات - دغمر - فنس - طيوي - رأس قلهات - السنيسلة - صور. وتبدأ من المحطة الأخيرة الرحلة إما بمحاذاة السواحل شرقي أفريقية عبر سواحل جنوب الجزيرة العربية حتى تصل إلى سفالة الزنج وجزيرة قنبلو. أو تتجه إلى سواحل مكران وسواحل غرب الهند وسرنديب وجزر جاوة وسومطرة وبورنى حتى سواحل الصين. أو تتجه الرحلة من صور إلى تلك الأماكن في عرض البحر تبعا للديرة المطلقة، وخاصة وقت انتشار القراصنة[١٠٤].

أما عن نظام الإبحار بين ميناء صحار وموانئ الخليج والمحيط الهندي، فكان يعتمد على الرياح الموسمية التي تهب على شمال المحيط الهندي[١٠٥]، حيث تتجه السفن من صحار إلى المحيط الهندي في فصل الشتاء، وتعود مع فصل الصيف. بينما كانت الملاحة مع جزر وموانئ الخليج تستمر معظم السنة. وكان نظام الإبحار يعتمد على سرعة الريح[١٠٦].

ومن دراستنا لنظام الملاحة والتجارة بين ميناء صحار وبين موانئ الخليج العربي بالمحيط الهندي يلاحظ ما يلي:

١- ارتبط كل ميناء من الموانئ بظهيره القاري، فكان ثراء المنطقة التي تقع خلف الميناء عاملا هاما في ازدهاره، وخاصة ميناء البصرة وسيراف والديبل.
٢- ارتبطت حركة التجارة في موانئ الخليج بالسلع الهندية في المقام الأول ثم تليها السلع الإفريقية والسلع الصينية. وكانت تلك الأقاليم مرتبطة عند التجار بسلعها ومنتجاتها.
٣- اتبعت موانئ الخليج ومنها ميناء صحار نظما معينة لدخول وخروج السفن من الميناء.
٤- توقف ازدهار كل ميناء من موانئ الخليج العربي على ظروف المنطقة السياسية أيضا والأمن والاستقرار المحيط[١٠٧].

٥- أتقن بحارة الخليج العربي نظما حياتية ناجحة في حياتهم البحرية، بحيث انهم كانوا يمارسون مهنتهم بصحة جيدة وبروح عالية دون التعرض لأي أمراض وبائية أو أخطار صحية، مثل التي تعرض لها البحارة الأوروبيون مع بدايات الكشوف الجغرافية الحديثة. وكان غذاء الملاح العربي يتكون أساسا من التمر والسمك والعسل[١٠٨].

٦- ساهمت عمان وخاصة منطقتي الداخلية والباطنة بدور كبير في حركة التجارة داخل نطاق الخليج العربي، فإلى جانب ارتباط إنتاج منطقة الباطنة بإنتاج حاجة سكان ميناء صحار، فان هناك محاصيل صدرت من عمان عبر ميناء صحار مثل التمور والرمان وقصب السكر، بالإضافة إلى سلع مصنعة مثل المنسوجات. ومنتجات بحرية مثل اللؤلؤ، وخامات معدنية مثل النحاس والاحجار.

٧- بسبب طول الخبرة الملاحية في منطقة الخليج وصحار فان صناعة السفن لاءمت هي الأخرى ظروف وطبيعة الموانئ، فكانت السفن العربية تتلاءم مع ضحالة مياه السواحل. ويبدو ان تلك السفن قد استنزفت كميات كبيرة من الثروة الغابية في الهند وخاصة من خشب الساج الأمر الذي اضطرت معه الحكومة الهندية إلى اصدار قوانين بحظر تصدير أنواع معينة من الأخشاب وعلى رأسها خشب الساج.

٨- عاد للسفن العربية دورها الكبير أثناء الأزمات التي مرت بها منطقة الخليج العربي خاصة في فترة حرب الخليج الأولى والثانية، حيث بدأت تعود إلى نشاطها القديم بسبب ارتفاع كلفة التأمين البحري للسفن الصاعدة إلى الخليج، وفي فترة تأخر وصول الإمدادات الغذائية من تركيا والشام عبر المملكة العربية السعودية.

٩- كانت الرحلات المتبعة بين ميناء صحار والهند وجنوب شرقي أسيا، تسير في بداية الأمر مع ساحل مكران والديبل، ثم اصبحت في نهاية الأمر تتجه إلى مسقط أو رأس الحد ومنها تتجه إلى الهند وجنوبي شرقي أسيا[١٠٩].

*** ثالثا:**

صعوبات الملاحة

برغم توافر الخبرة العالية للبحارة في منطقة عمان والخليج العربي، وما تميز به ربابنة السفن من مستوى علمي وعملي وأخلاقي، فقد كان هؤلاء على درجة عالية من إجادة الفنون البحرية والملاحية والإدارية، إلا ان هناك صعوبات مستمرة كانت تواجه عملية الملاحة على سواحل عمان والخليج العربي وسواحل المحيط الهندي، وامتدت بدورها على سواحل المحيط الهندي. وقد أثرت على الملاحة وحركة السفن من وإلى صحار.

ويمكننا تقسيمها إلى قسمين:

* **أولا**: الصعوبات الطبيعية (في الخليج العربي):

١ـ الشعب المرجانية والصخور الخفية:

وكانت تعترض حركة السفن من ميناء صحار والمتجهة شمالا إلى سواحل الخليج العربي عند مضيق هرمز، بجوار جزر سلامة وبناتها(١١٠)، وسماها البحارة بـ«الأوساخ»، وكانت تشكل خطرا على حركة السفن.

٢ـ الدردور:

وهو حركة دوران والتفاف الماء بسرعة وبشدة، والمعروف باسم «دردور مسندم» ويكنيه البحريون باسم «أبو جهرة»، ولابد للمراكب ان تسير وسطها بحذر، فتخطئ وتصيب. ويزيد من خطورته وجود الجزر الصخرية بالقرب منه والمعروفة باسم «كسير وعوير والثالث ليس فيه خير».

٣ ـ الرمال المتحركة:

المعروف ان الخليج العربي من الجهة الغربية يفتقر إلى جرف قاري حقيقي، فمازالت سواحله الغربية في حالة تكوين، من خلال رمال الأودية التي تحملها إلى البحر(١١٢)، وقد ترتب على ذلك ظهور الأخوار والبحيرات الشاطئية التي أوجدت لها موانئ، لكنها في المقابل أوجدت مشكلة الرمال المتحركة التي تمتد أحيانا إلى داخل الموانئ. كما ان الأخوار والبحيرات الشاطئية كانت مرتعا لجماعات القراصنة الذين هددوا حركة الملاحة(١١٣).

٤ـ التيارات البحرية داخل الخليج العربي:

يتعرض ميناء صحار مع ساحل عمان لتيارات بحرية من الجنوب عبر خليج عمان إلى الخليج العربي عبر مضيق هرمز، لتعويض النقص في مياه الخليج نتيجة شدة البخر وقلة موارد الخليج المائية. ويسير هذا التيار محاذيا للساحل الإيراني ثم يعكس اتجاهه عند رأس الخليج العربي(١١٤).

٥ـ عند ميناء البصرة ونهاية الخليج توجد مشكلة المياه الضحلة وكثيرا ما ارتطمت السفن بقاع الأرض. الأمر الذي كان من أسباب تحول التجارة من البصرة إلى سيراف(١١٥).

بالإضافة إلى تواجد ريح الصّبا (من الشمال باردة) وريح الدبور (من الجنوب بها رطوبة).

* الصعوبات الطبيعية في المحيط الهندي:

٦ـ التيارات البحرية العظمى:

تشهد منطقة شمال المحيط الهندي تيارات بحرية مستمرة بسبب سيادة الرياح

الموسمية التي تغير اتجاهها من موسم لآخر. وبالتالي فلابد للربابنة من ضبط مواقيت الإبحار مع اتجاه تلك الرياح. كما ان منطقة المحيط الهندي تشهد تيارات بحرية عظمى لاتساع المحيط(١١٦).

٧- أمواج البحر عند خليج عمان:

تشهد منطقة اتصال مياه الخليج العربي بمياه المحيط الهندي حركة مستمرة تؤدي إلى حركة أمواج عالية وذلك بسبب تجانس الظروف السائدة في المحيط والخليج. وتمثل ذلك عائقا لحركة السفن.

٨ - الرياح:

تعد الرياح العامل الأساسي في عمليات الملاحة في تلك الفترة، حيث يترتب عليها بداية الرحلة واتجاهها ونهايتها.

تعد الرياح الموسمية الصيفية ذات أثر هام للملاحة وذلك بسبب سرعتها التي تصل متوسطها إلى ١٤ ميلا في الساعة، بينما الرياح الموسمية الشتوية فتبلغ سرعتها حوالي ثلاثة أميال فقط. وتعد الرياح الموسمية الشتوية والتي سماها العرب «بالرياح التجارية» ذات أهمية في دفع السفن من الخليج العربي نحو المحيط الهندي جنوبا.

٩- كائنات غريبة:

حفلت قصص البحارة والتجار والمسافرين بحكايات عن اشكال غريبة. فقد ذكروا أنواعا من دواب البحر وأنواعا من الطيور الضخمة مثل الرخ، وأنماطا غريبة من مخلوقات بشرية، وأنواعا من القردة والفيلة وطيورا أسطورية، وأسماكا بأحجام ضخمة. ويبدو ان تلك القصص كان لها تأثيرها على المسافرين ومعنوياتهم، حيث تركت في مخيلتهم صورة مهيبة للبحر، وبالتالي فإنهم كانوا يبادرون بتفسير أي ظاهرة جديدة تبدو لهم حسب ما يدور في مخيلتهم(١١٧).

١٠- القموع الهوائية:

وهي حركة التفاف الماء على شكل دائرة وسمي العرب تلك الظاهرة باسم الدردور وكانت توجد في مناطق في المحيط الهندي بالإضافة إلى مناطق في الخليج.

* وبالنسبة للسفن المتجهة إلى شرق أفريقية:

١١- صعوبات خليج عدن (الخليج البربري):

مثل الأمواج العالية كارتفاع الجبال وانخفاضها لانخفاض الأودية خاصة في فصل الربيع، واخطر تلك المناطق سوقطرى حتى عدن. وقد سماه بعض البحارة باسم «الكم البربري»(١١٨).

١٢- تغير الريح عند رأس الحد:

وسميت برأس الجمجمة، وهو رأس رملي يكسر عليه الموج، اقرب بر العرب إلى الهند

وهي بين ديرتين مختلفتين، ورياح وتيارات كثيرة(١١٩).

١٣ـ الشعب المرجانية والأوساخ عند خليج موزمبيق.

١٤ـ الكثبان الرملية على ساحل الصومال.

*** ثانيا صعوبات خاصة بصناعة السفن وحركتها:**

وتتمثل فيما يلي:

١ـ نقص الأخشاب اللازمة لصناعة السفن: ولذلك كان يتم استيرادها من الهند وجنوب شرق آسيا وأفريقية. وهي أخشاب لها مواصفات معينة في تحمّل ملوحة البحر(١٢٠).

٢ـ ملوحة البحر: وتؤدي إلى تآكل أخشاب السفن. وذلك بدأ التوصل إلى طلاء السفن بمادة زيت لحمايتها من ملوحة البحر(١٢١).

٣ـ انتشار القراصنة: خاصة عند ساحل مليبار وساحل جزيرة سوقطرى.

* رابعـــا:

حركة السلع والمؤثرات الحضارية عبر ميناء صحار:

تعلقت قلوب ونفوس الأقدمين بسلع وثقافات المحيط الهندي، بحيث نسجت الأساطير والخرافات حول اصل ومصدر تلك السلع أو منابتها، وأصبحت حلما يراود الجميع للوصول إليه. وأوصبحت سواحل عمان بما فيها ميناء صحار المنفذ الهام لها.

ولما كانت سلع ومؤثرات المحيط الهندي متعددة فاننا قسمناها إلى ما يلي:

اولا: السلع التجارية:

١ـ المنتجات الزراعية والنباتية والغابية:

اصبح الطابع الأساسي لسكان حضارات الشرق الأدنى وحوض البحر المتوسط استهلاك العديد من السلع والمنتجات المدارية، ففي مجال الغذاء:

(أ): أصبح الأرز والقمح والذرة أهم الحاصلات المدارية التي يستهلكها سكان الشرق الأدنى(١٢٢). وكانت تلك الحاصلات تنتج في الهند، ثم نقلت إلى مناطق الخليج والشرق عبر سواحل عمان وصحار في العصر الإسلامي(١٢٣).

(ب): أما قصب السكر فقد انتقل من الهند وفارس عبر سواحل عمان إلى منطقة العراق منذ العصر الساساني ثم عم العالم الإسلامي في العصور الإسلامية وكانت تلك الرحلة عبر سواحل عمان وصحار(١٢٤).

(ج): أما منتجات الألياف النباتية مثل القطن، فقد أصبحت صحار مع سواحل عمان اكبر مستورد له من الهند حيث كان يتم استيراده في شكل خام أو خيوط مندمجة مع ألياف صوفية وكتانية(١٢٥).

أما الحرير فاصبح الخليج هو أهم الممرات لتصديره من الصين إلى الشرق الأدنى

والبحر المتوسط. خاصة وان الطرق البرية أصبحت غير آمنة عبر أواسط آسيا فقام تجار الحرير من الصينيين بعبور طرق جبلية من التبت عبر الهملايا إلى الهند والوصول إلى موانئ كجرات حيث سفن أهل صحار وعمان وغيرهم من التجار العرب(١٢٦).

(د): كما صدرت الهند عبر سفن أهل عمان وصحار أنواعا من الحمضيات مثل النارنج والليمون والبرتقال، وهي سلع انتشرت فيما بعد في حوض البحر المتوسط، كمل حمل الموز من الهند ليزرع في عمان بعد ذلك(١٢٧).

(هـ): كما نقلت النباتات والأعشاب الطبية والتي لاقت رواجا عند شعوب البحر المتوسط وحافظت لفترات طويلة على أسعارها العالية. ومنها: الكركديه، الورد، البنفسج، القرنفل، الزعفران، الراوند، الصندل(١٢٨) بالإضافة إلى الزنجبيل، وعرق الكافور(١٢٩).

(و): كما صدرت الهند عبر ميناء صحار كميات كبيرة من التوابل والعود حيث كانت تمر بها السفن محملة بكميات كبيرة من العود الهندي، ورغم ارتفاع اسعاره فقد كان تجار صحار يقومون بشراء كميات كبيرة منه الإعادة بيعها في مناطق أخرى من العالم الإسلامي(١٣٠).

(ز): كما أصبحت صحار وسواحل عمان مصدرا لإعادة تصدير الأخشاب الجيدة مثل الساج، حيث كان يتم استيرادها من غرب الهند أثناء التوقف للإبحار.

٢ـ السلع المعدنية والحجرية:

(أ) **الحديد:** كان يحمل من شرق أفريقية إلى الهند ويعاد في شكل منتجات فولاذية هندية شهيرة وخاصة صناعة السيوف التي اشتهرت بها الهند منذ العصور القديمة.

(ب) **الذهب:** وكان من أهم السلع التجارية في المحيط الهندي، وقد توفر لأهل صحار رصيدا هاما من الذهب حتى ان عملتهم كانت الدينار الذهبي، واعتقد البعض بوجود دار لسك العملة فيها. فكانت كميات الذهب تصل إليهم من أفريقية على شكل خام ثم يصدر إلى الهند لصهره وصياغته.

(ج) **الفضة:** ويتوفر هذا المعدن في الهند اكثر من الذهب وصدرت منه كميات عبر منطقة الخليج وصحار(١٣١).

(د) **الأحجار الكريمة:** مثل الياقوت الذي كان يصدر من سرنديب ويصل إلى صحار(١٣٢).

٣ـ السلع البحرية:

(أ) **اللؤلؤ:** وقد اشتهرت به صحار بالإضافة إلى مراكز عمانية وخليجية أخرى ونسبت إلى صحار الدرة اليتيمة والتي بيعت إلى هارون الرشيد بسبعين ألف درهم(١٣٣).

(ب) **العنبر:** من سواحل المحيط الهندي وخاصة السواحل الإفريقية وسرنديب.

ثانيا: المؤثرات الحضارية:

قامت السفن التجارية وسفن أهل صحار بحمل مؤثرات حضارية بين المناطق المتعددة التي مرت بها، وبذلك ساهمت بدورها الكبير في عمليات المزج الحضاري. ويمكن تحديد تلك المؤثرات في الجوانب التالية:

(١) في المجالات العقائدية:

ساهم تجار عمان وأهل صحار خاصة في نشر الإسلام بصورة واضحة على سواحل الهند وسواحل شرقي افريقية وفي منطقة جنوبي شرقي آسيا وحتى سواحل جنوب الصين. وبفضل التجار من أهل عمان ظهرت مراكز إسلامية على سواحل جوجيرات ومليبار وفي جزر إندونيسيا وماليزيا وساحل فيتنام، وعلى سواحل شرقي افريقية. ويمكننا القول من خلال الإحصائيات الأخيرة ان اكثر من نصف عدد مسلمي العالم حاليا يعيشون في دول تطل على مياه المحيط الهندي. وهذا يظهر لنا الدور الكبير للتجار خاصة من أهل صحار وأهل عمان بشكل عام ومازالت المساجد الأولى في تلك المناطق تحمل أسماء تجار من أهل صحار وعمان مثل عبيدالله بن القاسم.

(٢) في المجالات الثقافية:

ساعد الاستقرار الذي عم العالم الإسلامي في العصر العباسي على نقل المؤثرات الحضارية الهندية والصينية. وسنفصل ذلك فيما بعد.

كما قام التجار العرب من أهل صحار وعمان بشكل عام بنقل اللغة العربية وثقافتها على سواحل الهند والسند، حتى ظهرت تأثيرات لها في ظهور من يتحدثون اللغة العربية أو استعمال مفرداتها في لغتهم. ومنذ القرن الأول الهجري ظهرت مساهمات من الهنود في مسيرة الحضارة العربية بل انهم ساهموا في الإبداع في علوم اللغة العربية مثل علم النحو وعلم الصرف وعلم الاشتقاق[١٣٥] وحفلت صفحات الفهرست لابن النديم بالعديد من علماء الهنود في الجوانب الفكرية للغة العربية، كما ظهر منهم رواة للحديث مثل عبدالله بن عبدالرحمن المليباري. كما ظهر رجال في الإدارة العباسية من اصل هندي مثل محمد بن شاهك مولى الخليفة أبو جعفر المنصور[١٣٦].

ومازالت التأثيرات العربية واضحة في غرب الهند من خلال:

- مفردات عربية في اللغة المليبارية.
- دخول حروف عربية في اللغة المليبارية مثل حروف: ح، ص، ق، ض. وقد اعترف الدستور الهندي باللغة المليبارية على هيئتها الحالية ضمن ١٤ لغة رسمية للهند.
- انتشار أغان شعبية بين أهل المليبار.
- ارتباط الجمعيات الثقافية في الهند بمنطقة الخليج.

وفي المقابل ظهرت تأثيرات افريقية وهندية في أسماء المحاصيل والنباتات وفي الطب

فقد ظهر طبيب هندي في عمان اسمه البلوجي العماني. كما ترجم العرب كتاب السدهانت وسماه العرب السندهند.

كما نقل تجار عمان وصحار الطرق الهندية في الحساب مثل الأرقام الهندية والأرقام العبارية.

كما نقلت حكايات هندية في التراث العربي مثلما ورد في قصص ألف ليلة وليلة وقد أدرك تيم سيفيرين ارتباطها بمنطقة الباطنة وصحار.

الخاتمـــة

أدت عمان دورها الحضاري الهام في مجال الملاحة الدولية. وعلى سواحلها تلألأت موانئ عالمية قامت بدورها الكبير مثل صحار ودبا ومسقط وصور وقلهات ومرباط وغيرها.

على ان ميناء صحار كانت له مكانته المميزة لاعتبارات دولية وإقليمية ولظروف جغرافية وسياسية. فامسك هذا الميناء بشبكة الموانئ الدولية وأدار أداءها لفترة طويلة، حيث أصبحت سلع المحيط الهندي وتجاراته تمر برصيفه وعبر صفقات تجاره، وقصده التجار من جميع الآفاق.

وعبر ميناء صحار مرت سلع مناطق المحيط الهندي، ومعها عبرت أيضا تأثيرات حضارية من المراكز الحضارية من الشمال إلى الجنوب والعكس. وبذلك قام ميناء صحار بدور حضاري متكامل. ولكن بفعل ظروف جديدة انتقلت مراكز القوى الدولية وظهرت موانئ جديدة في ظل النظام العالمي الجديد الذي ساد العالم منذ القرن السادس عشر الميلادي.

هوامش الموضوع

(١) أبو العلا محمود، جغرافية إقليم عمان، ص٥٣، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨٨م.
(٢) متولي، حوض الخليج العماني، ج١، ص١٨٧.
(٣) بريتون اورلان، جغرافية الحضارات، ترجمة د. خليل احمد، بيروت، ١٩٩١، ص٤٣.
(٤) والدليل على ذلك ان أفريقية تعتبر محاطة من جميع الجهات ببحار ومحيطات، لكن سواحلها ليس بها فتحات وخلجان تصلح كموانئ طبيعية إلا في مناطق قليلة. ورغم ان مساحة أوروبا تبلغ ثلث مساحة أفريقية إلا ان أوروبا تمتلك سواحل تبلغ ثلاثة أضعاف أفريقية بسبب تعمق البحار والخلجان في جسم القارة الأوروبية مما هيأ لأوروبا ظهور موانئ عديدة وتبعا لذلك امتلاك أساطيل بحرية حربية وتجارية وأساطيل ضخمة للصيد البحري مدت عبرها قوتها إلى البحار العالمية. وكذلك الحال بالنسبة للسواحل الآسيوية جهة الشرق والجنوب الشرقي، حيث حال شكل الساحل دون وجود موانئ صالحة لمسافات طويلة. انظر، الديب، محمد، دكتور، الجغرافيا السياسية، ص١٤٥.
(٥) حوراني، جورج، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، مراجعة الخشاب، الانجلو المصرية، ص٢٤، ٢٦، ٢٨.
(٦) كتاب صورة الأرض، ص٤٤، ٤٥.
(٧) انظر خارطة عمان بالأطالس المعتمدة بالدولة.
(٨) هي مرتفعات تنتمي إلى مرتفعات زاجروس الإيرانية. وهي تكوينات ألبية التوائية. وتمتد لمسافة ٦٥٠كلم من رأس الحد في الجنوب وحتى رؤوس جبال مسندم في الشمال. وقد انفصلت عن السلاسل الإيرانية في زاجروس عند مضيق هرمز نتيجة انكسار في عصر البليوسين ويبلغ عرض هذا الانكسار حوالي ٦٠كلم. وامتداد تلك السلسلة على شكل قوس. - ابو العلا، المرجع السابق، ص٤٧.
(٩) لوفران، تاريخ التجارة، ص١٨.
(١٠) سيفصل ذلك في القسم الرابع والأخير من البحث.
(١١) كتاب البلدان، ص٢٩، طبعة بيروت.
(١٢) العوتبي، مسلمة، الأنساب، ج٢، ص٢١٤، ص٢١٨.
(١٣) الصفصافي، المرسى، السلالات اللغوية، ص٤٦.
(١٤) الطرازي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب، ج٢، ص٤٥/٤٦، طبعة جدة.
(١٥) الطرازي، المرجع السابق، ص١٠٦.
(١٦) جيان، وثائق تاريخية وجغرافية، ص٢٥، ص٤٠.
(١٧) البدر، الخليج العربي، ص٦٨.
(١٨) كوستا، باولو، الشواهد الأثرية على وجود التبادل التجاري، ص١٢٦.
(١٩) كارفران، مدينة صحار، ص٩١.
(٢٠) بزرك، عجائب الهند، ص١٠١، ١٠٢.
(٢١) المثقال يساوي درهما ونصف درهم تقريبا.
(٢٢) بزرك، المصدر نفسه، ص١٠٢.
(٢٣) المصدر نفسه، ص١٠٣.
(٢٤) نفسه.
(٢٥) نفسه، ص٩٩، ١٠٧.
(٢٦) أبو العلا، جغرافية إقليم عمان، ص١٨٧.
(٢٧) المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٣.
(٢٨) كتاب صورة الأرض، ص٤٤.
(٢٩) رو، العراق القديم، ص٦٠٢.
(٣٠) العبادي، مصطفى، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص١٢٥، ص١٢٨.
(٣١) قلعجي، الخليج العربي، ص٧٢، ٧٣.
(٣٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٢، ص١٨.
(٣٣) المسلم، ساحل الذهب الأسود، ص٧٤ وما بعدها.
(٣٤) جواد، المرجع السابق، ج٢، ص١٥.
(٣٥) حوراني، العرب والملاحة، ص٥٨.
(٣٦) صالح العلي، خطط البصرة، ص٤٣.

(٣٧) وجهه عمر بن الخطاب إلى ناحية البصرة بعد فتح الحيرة.
ابن حزم الأندلسي، جمهرة انساب العرب، ص٢٦١.
(٣٨) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٠٥.
(٣٩) هو الأحنف بن قيس التميمي.
(٤٠) ابن رستة، الاعلاق النفيسة، ص١٥٨.
(٤١) الجاحظ، التبصير بالتجارة، ص١٣.
(٤٢) ابن الفقيه، البلدان، ص١٧٦.
(٤٣) المقدسي، المصدر السابق، ص١٧٥.
(٤٤) بزرك، عجائب الهند، ص١٠٢، ١٠٣.
(٤٥) الشامي، احمد، العلاقات التجارية، ص١٤.
(٤٦) لوفران، المرجع السابق، ص١٣.
(٤٧) المقدسي، احسن التقاسيم، ص٨٥.
(٤٨) لوفران، المرجع نفسه، ص١٨.
(٤٩) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٠٣.
(٥٠) المسعودي، نفس المصدر، ص١٠٥.
(٥١) بزرك، عجائب الهند، ص١١٩.
(٥٢) الجاحظ، التبصير بالتجارة، ص٢٧.
(٥٣) ابن خرداذبه، المصدر السابق، ص٦٦.
(٥٤) حوراني، المرجع السابق، ص١٦٢.
(٥٥) المقدسي، المصدر السابق، ص٢٤.
(٥٦) المقدسي، احسن التقاسيم، ص٨٤.
(٥٧) ابن الفقيه، البلدان، ص١٠٥.
(٥٨) حوراني، العرب والملاحة، ص٦٢.
(٥٩) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٢١٩، ٢٢٠.
(٦٠) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٩٦.
(٦١) حوراني، المرجع السابق، ص١٠٠.
(٦٢) ابن فرج الجدي، السلاح والعدة في تاريخ جدة، ص٩.
(٦٣) رمزية الخيرد، تجارة الخليج العربي، ص٨٧، ٨٨.
(٦٤) بزرك، عجائب الهند، ص١٢٦.
(٦٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٤٥.
(٦٦) الغساني، عبدالقادر، ظفار ارض اللبان، ص١٣ وما بعدها.
(٦٧) ابن بطوطة، الرحلة، ص٢٧٤.
(٦٨) السالمي، المرجع السابق، ص٥٥.
(٦٩) ابن بطوطة، الرحلة، ص٢٧٦.
(٧٠) المقدسي، المصدر السابق، ص٢٧٧.
(٧١) الخيرد، تجارة الخليج العربي، ص٩٠.
(٧٢) المقدسي، المصدر السابق، ص٣٦١.
(٧٣) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٧١.
(٧٤) مجهول، مخطوط في علوم البحار، رقم ٢٥١٦ عام، ٣٨ ك خاص، وزارة التراث القومي والثقافة.
(٧٥) المقدسي، المصدر السابق، ص١٠٥.
(٧٦) لوريمر، دليل الخليج، القسم الجغرافي، ج١، ص٢٢.
(٧٧) ابن الفقيه، البلدان، ص١٧٦.
(٧٨) حسين، المسري، العلاقات السياسية والاقتصادية، ص٢١٦.
(٧٩) ناصر خسرو، سفرنامه، ص١٥١، ١٥٢.
(٨٠) الجدي، المرجع السابق، ص٩٠.
(٨١) حوراني، العرب والملاحة، ص٩٧.
(٨٢) اليعقوبي، المصدر السابق، ص٨٢.
(٨٣) ابن الاثير، الكامل، ج١، ص٣٣٩.
(٨٤) العلي، خطط البصرة، ص٢٥٠.
(٨٥) يقول الشاعر:

يا حبذا البرق من اكناف كاظمة
يسعى على قصرات المرخ والعشر

(٨٦) المقدسي، المصدر السابق، ص٣٢٦.
(٨٧) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٩٤.
(٨٨) الاصطخري، المصدر السابق، ص٨٤.
(٨٩) القزويني، آثار البلاد، ص٢٤٣.
(٩٠) التطلي، رحلة بنيامين، ترجمة عزان حداد، ص١٤٥.
(٩١) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٣، ص٤٧٩.
(٩٢) عثمان، تجارة المحيط الهندي، ص١٨٣.
(٩٣) عبدالعليم، الملاحة وعلوم البحار، ص٧٨.
(٩٤) عثمان، المرجع السابق، ص١٨٤.
(٩٥) القزويني، المصدر السابق، ص٧٧.
(٩٦) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٧٨.
(٩٧) الهمذاني، صفة جزيرة العرب، ص١١.
(٩٨) شهاب، حسن صالح، البعد الجغرافي للملاحة العربية، ص٧ ـ ٩.
(٩٩) ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص٦٠.
(١٠٠) مخطوط نفحة الأزهار، ورقة ٦١، ٦٢.

(١٠١) ابن الفقيه، البلدان، ص١٢.
(١٠٢) من صحار إلى رأس مسندم بطريق البر تستغرق الرحلة سبعة أيام. ومن صحار إلى مسقط مسيرة أربعة أيام بالبر.
(١٠٣) عرفت باسم رأس الجمجمة وهي نهاية الخليج من الناحية الجغرافية.
(١٠٤) حوراني، المرجع السابق، ص٢٨٩.
(١٠٥) السيرافي، أخبار الصين والهند، ص٩٧٢.
(١٠٦) عثمان، المرجع السابق، ص٩٨.
(١٠٧) حوراني، المرجع نفسه، ص١٧٨.
(١٠٨) ابن بطوطة، الرحلة، ص٢٧٦.
(١٠٩) شهاب، المرجع السابق، ص٣١٢.
(١١٠) شهاب، المرجع السابق، ص٣٢٤.
(١١١) السيرافي، أخبار الهند والصين، ص٩٧٢.
(١١٢) متولي، وأبو العلا، جغرافية الخليج، ص٧٢.
(١١٣) متولي، وأبو العلا، المرجع السابق، ص٣٥.
- حوراني، العرب والملاحة، ص٢٠٦.
(١١٤) متولي، وأبو العلا، المرجع السابق، ص٧١.
(١١٥) شهاب، المرجع السابق، ص٣٢٤.
(١١٦) القزويني، عجائب المخلوقات، ص١٠٩.
(١١٧) بزرك، المصدر السابق، ص٩٩ وما بعدها.
(١١٨) شهاب، المرجع السابق، ص٢٨٦.
(١١٩) ضلت سفن سيدي علي العثماني أثناء عودتها من البصرة إلى الهند.
(١٢٠) مدني، علاء محمود، صناعة السفن في الخليج، ص٤٠.
(١٢١) عثمان، تجارة المحيط الهندي، ص١١٠.
(١٢٢) واطسون، الإبداع الزراعي، ص٣٣، ص٣٤.
(١٢٣) واطسون، المرجع نفسه، ص٣٤.
(١٢٤) لومبارد، الجغرافية التاريخية، ص٢١٨.
(١٢٥) القزويني، آثار البلاد، ص٢٥٧.
(١٢٦) بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص١٧، ص١٨.
(١٢٧) واطسون، المرجع السابق، ص١٢٣.
(١٢٨) القزويني، عجائب المخلوقات، ص٢٦١.
(١٢٩) المليباري، تحفة المجاهدين، ص٣٣ وما بعدها.
(١٣٠) بزرك، المصدر السابق، ص١١٣.
(١٣١) البيروني، الجماهر، ص٢٣٥.
(١٣٢) البيروني، المصدر نفسه، ص٤٤.
(١٣٣) بزرك، المصدر السابق، ص١٢٠.
(١٣٤) المقدسي، المصدر السابق، ص٩٦.
(١٣٥) من اشهر هؤلاء: الشيخ القنوجي، والقاضي يوسف الملتاني والشيخ وجيه الكجراني.
(١٣٦) الماركيوري، رجال السند والهند، ص١٣٨.

المصادر والمراجع

★ اولا: المخطوطات:

١- شيخ الربوة، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن ابي طالب الأنصاري.

- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مخطوط لدى المكتبة الإسلامية بروي، سلطنة عمان، عن نسخة لبيتزج.

٢- مخطوط في علم البحار رقم ١٨٢٨عام/١١ك، بالمديرية العامة للوثائق والمخطوطات، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.

٣- مخطوط معدن الأسرار في علم البحار، ٣ أجزاء، رقم ١٨٤٣/عام/٢٦ك، المديرية العامة للتراث القومي والثقافة، سلطنة عمان

★ ثانيا: المصادر:

١- الأدريسي، أبو عبدالله محمد.

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت.

٢- بزرك بن شهريار.

- عجائب الهند، لندن، ١٩٩٠.

٣- ابن بطوطة، عبدالله بن محمد.

- تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، بيروت سنة ١٩٨٧م.

٤- البيروني، ابو الريحان محمد بن احمد.

- الآثار الباقية عن القرون الخالية، بغداد.

- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، بيروت سنة ١٩٨٣م.

- كتاب الجماهر في معرفة الجواهر، عالم الكتب، سنة ١٩٨٤م.

٥- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر.

- كتاب التبصير بالتجارة، مصر ١٩٣٥.

٦- ابن الفقيه، أبو بكر احمد.

- البلدان، بيروت، ١٩٨٨م.

٧- القزويني، زكريا بن محمد.

- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، بيروت.

٨- المسعودي، ابو الحسن علي.

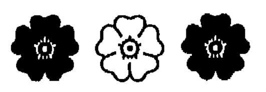
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، سنة ١٩٨٨م.

٩- ابن النديم، محمد بن اسحق.

- الفهرست، قطر، سنة ١٩٨٥م.

١٠- اليعقوبي، احمد بن يعقوب.

- كتاب البلدان، بيروت، سنة ١٩٨٨م.



المداخلات

* الإضافة الأولى: دارت حول البعد الحضاري لأهمية طريق الخليج العربي الذي يماثل سواه في منطقة بلاد الرافدين أو منطقة بلاد الشام التي لعب بها الدور الكبير حيث نجد ان من أهم أسباب ازدهار الأمويين؛ سيطرتهم على الطريق التجاري الذي كان من أعالي الفرات الى لواء اسكندرون آنذاك، اذاً فالطريق التجاري الذي كان يمر بالخليج العربي ثم يسلك طريقا بريا الى البحر المتوسط ولذا لعب دورا رياديا في تقوية طريق الخليج العربي، وقد أصيب هذا الطريق التجاري بالضمور خلال العصر الأموي الى ان عاد مرة اخرى بعد انتقال العاصمة الإسلامية الى بغداد.

* المداخلة الأولى: تضمنت سؤال المداخل، «ألم تكن هناك منتجات صناعية أو زراعية كانت تصدر من صحار في العصور الإسلامية؟».

- رد المحاضر: كانت هناك حركة تصدير واستيراد واسعة الى كل موانئ العالم التجاري في العصور الإسلامية وحتى العصور الحديثة والا فلماذا كان الجغرافيون الذين زاروا صحار حددوا ان الدينار الذهبي هو العملة التي ظهرت في عصر البويهيين والذين كانوا يخلطون الذهب بمعادن اخرى كنوع من تغطية نقص الغطاء الذهبي، ما عدا صحار فكان دينارها من الذهب الخالص، وكان في صحار منتوجات خاصة ولذلك أقاموا نظاما لاقرار الأمن في بلادهم لكي لا يسمحوا بأي نواقص ضد رجال المال الذين قدموا الى صحار فكان عندهم مجلس يراجع الوالي في أي قرار يتخذه ضد احد التجار حتى لا تهرب السفن والتجار من صحار.

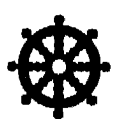
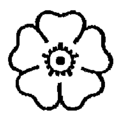
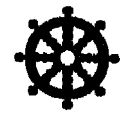
* المداخلة الثانية: دارت حول اتجاه طـــــرق

الحرير؟

- رد المحاضـــر: ان هـــنـــاك طريقين بريا وبحريا، الطريق البري يبدأ من شرق الصين الى وسط آسيا إلى بلاد ما بين النهرين إلى مـنطقـة فارس ثم يتفرع فرعين، فرع يتجه الى آسيا الصغرى الى القسطنطينية، وفرع يتجه الى العراق وبادية الشام والى البحر المتوسط، واما الطريق البحري من جنوب الصين من كانتون الى سواحل جنوب شرق آسيا الهند والصين حاليا الى مضيق ملقا الى هذه المناطق حتى سريلانكا فإلى غرب الهند والى ملبار الى كويجرات الى السند الى مكران ثم يدخل الخليج العربي في هذه المنطقة يتجه اما الى بلاد الرافدين او يتجه الى بادية الشام ويلتقي بالطريق البري، ويصدر مع الحرير المسك والجواهر.

* الاضافة الثانية: دارت حول تيم سيفرين وانه فرد في مجموعة كبيرة وكل الطاقم الموجود في السفينة عماني والهدف من هذه الرحلة اثبات ان العمانيين قاموا بهذه الرحلة، كذلك بالنسبة لاسم رأس الجمجمة هو رأس الجمح كما ورد في المعاجم الجغرافية والذي قصدته رأس الحد.

كذلك بالنسبة للحملة البحرية التي قام بها عثمان بن أبي العاص سنة ١٥ هـ مهمتها ليست الذهاب للقضاء على قراصنة هنود وانما ان الخليفة عمر بن الخطاب طلب من واليه عثمان ابن ابي العاص الثقفي ان يتجه الى بلاد فارس حتى لا تتجمع فلول الفرس المنهزمة من بعد جلولاء.

الاتفاقات
القواعد بين الحكومة والدلاّل

إعداد: محمد بن عبدالله العبيداني

(١) الدلال:

(٢) القواعد للدلالة التي ما بين الحكومة والدلال:

١- مدة القعد سنة كاملة

٢- تجميع الأشياء التي تورّد للعرصة براً وبحراً ينادى عليها بواسطة المستقعد ما عدا[1] الغليون[2] التمور والحطب الذي يباع لأهل الدكاكين او يحمل للبنادر فليس عليه دلالة ولكن مناجيل الحطب اذا ترخصت فللدلال الحق في ان يأخذ الدلالة إذا حملت للخارج[3] اما القاشع إذا حمل الى عمان فتؤخذ الدلالة عليه.

٣- الحكومة ترخص للمستقعد بتحصيل خمسة في المائة

٤- المستقعد يعين دلالاً واحداً فقط للمناداة

٥- المستقعد يعين كاتبا من عنده يكتب مع الكاتب الذي تعينه العرصة والكتابة باللغة العربية

٦- المستقعد ملزوم بدفع ما ينادى عليه لصاحبه يوميا ثم يحصلها من المشترين.

٧- المستقعد ملزوم بتحصيل العشور القانونية يسلمها يومياً للعرصة ريالات على موجب العرف

٨- يجب على المستقعد ان يكون عنده رأس مال كافٍ.

٩- يجب على المستقعد ان يدفع القعد عن سنة كاملة الفا وثمانية ريالات كل شهر مائة وخمسون ريالاً من أول الشهر الى تمام السنة.

١٠- إذا خالف المستقعد الشروط أعلاه يخرج من القعد ويخسر المبلغ الذي دفعة دلالة الى الدلال.

إلقاء الضوء على سوق صحار القديم من خلال الوثائق:

*** الأشياء التي كانت تباع:**

١- السلع الغذائية: الأجبان المصنوعة محلياً السمن المحلي وعسل النحل وعسل النخل (المعروف محليا بالدبس) والمانجو والجح والبطيخ والتمور والأسماك بمختلف أنواعها والأسماك المجففة والربيان (المعروف محلياً بالشباص) والفواكه بأنواعها والخضروات والحلوى العمانية والبقوليات والسكريات.

٢- السلع الجلدية: النعل والدلو وأسراج الخيول وخطام الخيول والمفارش والمستخدمة لسرج الخيل

٣- الحلي: الذهب والفضة

٤- الأواني النحاسية
٥- العطور
٦- الأغنام والمواشي
٧- الملابس.

*** أشهر الطرق التي كانت تسلكها القوافل البرية من وإلى سوق صحار:**

١- طريق وادي حيبي: ينقل ووادي عاهن.
٢- طريق وادي الجزي.
٣- طريق خط الباطنة من صحار إلى مسقط ثم الى المناطق الداخلية لعمان.
٤- طريق صحار - إمارات ساحل عمان مثل الفجيرة، دبي، الشارقة، رأس الخيمة، أم القيوين، أبوظبي.
٥- طريقة صحار - مسندم: ويمرّ في مناطق لوى، شناص، الفجيرة، كلباء إلى ان يصل إلى مدحاء ودبا وباقي مناطق مسندم.

*** أشهر الطرق البحرية التي كانت تسلكها المراكب الشراعية من وإلى أسواق صحار:**

١- إيران: بندر عباس، مكران، بندر لنجة، بوشهر.
٢- اليمن: ميناء المكلا.
٣- الطرق البحرية المتجهة إلى بعض الموانئ في الخليج العربي عن طريق مضيق هرمز: إمارات ساحل: الشارقة، دبي، أبوظبي، قطر، البحرين، الكويت، البصرة بالعراق.
٤- موانئ الهند: ميناء بومبي
٥- باكستان: كراتشي، مستعمرة جواذر
٦- الموانئ المحلية: مثل مسقط، صور.

*** خصائص سوق صحار:**

١- كثرة المقاهي: مفتاح محمد العجمي، راشد محمد البلوشي، حبيب محمد الناعبي.

*** طوبوغرافية أرض السوق:**

١- وجود خمسة آبار عند البحار أشهرها طبيقون، بئر الساحل.
٢- أشتراك المرأة في ب يع بعض السلع: البصل والفجل والحطب واللقيمات والعطور والبخور والمجامر.
٣- ملتقى ثقافي للشعراء: علي بن ابراهيم الكمشكي، ابراهيم سالم صالح العبيداني.
٥- وجود بيوت الهندوس في السوق.
٦- ملتقى فني أرباب الفنون الشعبية مثل الموالد والبرزنجي والرقصات الشعبية.

*** أشهر الصناع و الحرفيين:**

١– صنّاع قوارب الصيد البدائية: مبارك عبدالله المغربي المعروف بجمرة.
٢– الذهب و الفضة: علي بن غلوم العجمي ومحمد غلوم العجمي وصالح علي غلوم العجمي.
٣– تصليح الخناجر و المحازم: عمر بن محمد الزدجالي.
٤– صناعة أدوات الزراعة و الحراثة مثل الفأس و الراس (المجز) المستخدم لقطع سعف النخيل: عن طريق الحدادين عوض محمد وناصر محمد.
٥– صناع الأحذية: أولاد الشمامير ـ مسعود علي وجمعة علي ومحمد علي.
٦– صناع الحلوى العمانية: جمعان بن مبروك وسالم بن خلفان العبيداني وراشد بن علي وعباس بن عبدالله بن عيسى المسقطي وسعيد السلامي ومسعود بن علي.
٧– الحلاقون: حمدان بن مفتاح العجمي وعبدالله بن حسين العجمي وغلوم بن خميس العجمي.

*** الأشياء التي تستورد:**

١– الملح و المكسرات بمختلف أنواعها من ميناء بندر عباس.
٢– الكيروسين (الجاز) من منطقة ميناو.
٣– العنب و التفاح و الرمان و البرتقال.
٤– القهوة من زنجبار.
٥– الأرز من الهند وباكستان + البهارات.
٦– حطب الكندل من جزيرة ممباسا ومدينة المكلا.

*** الأشياء التي كانت تصدر + الدبول:**

١– الحطب إلى الكويت و البحرين وقطر.
٢– تمر الباطنة إلى دبي.
٣– السمن المحلي و العسل ودبس السح إلى مسقط ودبي و البحرين وقطر.
٤– الليمون إلى الكويت وبندر عباس.

تم الاتفاق الحاصل بيننا حكومة [illegible] طرف الاول والدلال [illegible] طرف الثاني في قبالة الدلالة [illegible] لمدة سنة [illegible] من ١٦ اجولاي ١٩٣٥ الى ١٥ اجولاي سنة ١٩٣٦ على موجب الشروط الاتي .

(١) [illegible] مدة سنة كاملة

(٢) [illegible — struck through]

ما عدا (أ) التلبوت و(ب) التمور والحطب الذي يباع لاهل [illegible] كان او يحمل الى بنادر السلطان فلا عليه دلالة ولكن التاجر الحطب اذا [illegible] فللدلال الحق ان ياخذ الدلالة اذا تحملت الخارج (ج) اما التاجر اذا حمل الى [illegible] فعليه الدلالة ولا دلالة عليه اذا حمل الى بنادر السلطان .

(٣) [illegible — struck through]

(٤) المستقعد يأتي دلال واحد للمناداة .

(٥) المستقعد يأتي كاتبا عنده يكتب مع الحساب الذي [illegible] باللغة العربية .

(٦) المستقعد ملزوم بدفع ما ينادي عليه [illegible]

(٧) المستقعد ملزوم بتحصيل المنشور القانونية يسلمها يوميا للفرضة [illegible]

(٨) يجب على المستقعد ان يكون عنده راس مال كافي .

(٩) يجب على المستقعد ان يدفع قيمة القعادة [illegible] نقدا [illegible] . [illegible] وخمسين ريال [illegible] اول الشهر [illegible] ابتداء من ١٦ اجولاي ١٩٣٥ الى ١٥ اجولاي ١٩٣٦

(١٠) [illegible] المستقعد [illegible] الشروط [illegible] يخسر [illegible]

(١١) دلالة الدلال على المستقعد

(امضاء المستقعد — struck through)

(١٢) واموال التجار التي تخرج [illegible] وتحمل [illegible] فعليها الدلالة الا اذا ابتاعت على احد غير او اشتروا شيئا من البلد فعليهم ان يسلموا رسم الدلالة .

[signature] 16.7.35
عن مدير الواردات العامة

امضاء المستقعد
[illegible]

هذه المخطوطة عمرها ٦٢ عاما وقت طباعة هذا الاصدار

تم الاتفاق الحاصل بين حكومة مسقط وعمان طرف الاول والدلال سالم بن صالح طرف الثاني اعطاء دلالة عرصة صحار لمدة سنة كاملة ابتداء من ١٦ جولاي سنة ١٩٢٤ الى ١٥ جولاي سنة ١٩٢٥ على موجب الشروط الاتيه

(١) مدة التعهد سنة كاملة

(٢) جميع الاشياء التي تورد للعرصه براً وبحراً التي يدلل عليها بواسطة المتعهد ماعدا (أ) التليون و(ب) التمور والحطب الذي يباع لاهل الدكاكين او يحمل الى بنادر السلطان فلا عليه دلالة ولكن التناجيل الحطب اذا ترخصت فللدلال الحق ان يأخذ الدلالة اذا تحملت للخارج (ج) اما القاشع اذا حمل الى عمان فتوخذ عليه الدلالة . ولا دلالة عليه اذا حمل الى بنادر السلطانيه .

(٣) الحكومة ترخص للمتعهد بتحصيل خمسة في المائه

(٤) المتعهد يعين دلال واحد للمناداه

(٥) المتعهد يعين كاتباً من عنده يكتب مع الكاتب الذي تعينه العرصه والكاتب براتب العرصة

(٦) المتعهد ملزوم بدفع ما ينادي عليه لصاحبه يومياً . ثم يحصلها من المشتريين

(٧) المتعهد ملزوم بتحصيل الشور القانونيه ويسلمها يومياً للعرصه ريالات على موجب الصرف

(٨) يجب على المتعهد ان يكون عنده راس مال كافي

(٩) يجب على المتعهد ان يدفع قيمة التعهد عن سنة كاملة الف وثمانماية ريال كل شهر مائة وخمسين ريال من اول الشهر الى تمام السنه ابتداء من ١٦ جولاي سنة ١٩٢٤ الى تمام ١٥ جولاي سنة ١٩٢٥

(١٠) اذا خالف المتعهد الشروط اعلاه يحرم من التعهد ويخسر المبلغ الذي دفعه

(١١) الدلالة على المتعهد

صح سالم بن صالح بيده

(امضاء المتعهد)

مدير واردات العامة
لسلطان مسقط وعمان
٢١/٧/٢٤

امضاء الدلال

هذه المخطوطة عمرها ٦٣ عاما وقت طباعة هذا الاصدار

هذا الاتفاق الحاصل بين حكومة مسقط وبين طرفها الاول الدلال سالم بن صالح طرفها الثاني

أعطاء دلالة عرصة مطرح لمدة سنة كاملة ابتداء من ١٢ جولاي ١٩٢٢ الى ١٥ جولاي ١٩٢٤ مسلمه

على موجب الشروط

(١) مدة العقد سنة كاملة

(٢) جميع الاشياء التي ترد للعرصة برًا وبحرًا ينادي عليها بواسطة المتعهد ماعدا (ا) المخلوين و (ب) التمور والحطب الذي يباع لأهل الدكاكين او يحمل الى بنادر السلطان فلا عليه دلالة ولكن المناحل الحطب اذا ترخصت فللدلال الحق ان يأخذ الدلالة اذا تحمل للخارج (ج) اما القماش اذا حمل الى عمان فتؤخذ عليه الدلالة والدلالة عليه اذا حمل الى بنادر السلطانية

(٣) الحكومة ترخص للمتعهد بتحصيل عشر في المائة

(٤) المتعهد يعين دلالا واحدا للمناداة

(٥) المتعهد يعين كاتبا من عنده يكتب مع الكاتب الذي تعينه الغرضة والكتابة باللغة العربية

(٦) المتعهد ملزوم بدفع ما ينادي عليه لصاحبه يوميا لم يحصلها من المشترين

(٧) المتعهد ملزوم بتحصيل العشور للنانونية يوميا للغرضة على موجب تصرف

(٨) يجب على المتعهد ان يكون عنده رأس مال كافي

(٩) يجب على المتعهد ان يدفع قيمة العقد عن سنة كاملة الف وخمسمائة ربية كل شهر مائة وخمسة وعشرين ربية من اول شهر لتمام السنة ابتداء من ١٢ جولاي المذكور الى تمام ١٥ جولاي ١٩٢٤

(١٠) اذا خالف المتعهد الشروط اعلاه يحرم من العقد ويخسر المبلغ الذي دفعه

(١١) دلالة الدلال على المتعهد

امضاء المتعهد

صحيح سالم بن صالح بيده

[illegible]

هذه المخطوطة عمرها ٦٤ عاما وقت طباعة هذا الاصدار

بسم الله الرحمن الرحيم

لجناب الأخ الأمجد الأعز الأكرم الشيخ المكرم سالم بن صالح بن راشد المحترم سلمه الله تعالى

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام ادام الله لنا بقاك
وما هنا قلّ سوى دوام بقاك نعرفك انه بلغنا انك بعثت حطب
على جمال سعيد بن الشيخ وانه السعيد جرى لفوكم للجمال فاعلم انه
لا يكون [illegible] الحطب والدراهم عندك منقذ من قبل قدرنا ويوم
يشاء الله تعالى يصلكم السعيد بجمال الحطب ونرجوك
ان تنهل اشياءنا والظن فيك جميل و[illegible] الجمل هنا
حيث ان المنطاس فيه ضياع ومشغولين بتعديله
ولا ظننا فيك الا الظن الحسن ولا يلزم منك تبيع
الحطب ولا تعرفنا بالسلام ونرجو الجواب مع السلام
ابلغ السلام الولد علي بن سالم ومن لدينا الولد السيد احمد السلام
ومن الداعي المحب لك علي بن احمد [illegible]

و[illegible] محمد [illegible]

في شعبان سنة [illegible]

وعندك الآن جملة الدراهم ربيه مائتين واحد وخمسين ٢٥١
مع المتقدمات

هذه المخطوطة عمرها ٧٨ عاما وقت طباعة هذا الاصدار

سجلت في دفتر التسجيل بمحكمة الشرعية بصحار في سفينة عدد ٤٣٢ كاتب المحكمة علي [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

عام ١٣٤٧

٤٩

لا يباح ان يكتب السند الشرعي في بيع او رهن او توكيل او ضمانة او اثبات او اى نوع من الاقرارات الا على صفحات هذه الاوراق المخصوصة لذلك		بناء على المنشور الصادر رسماً في ٢٥ من شهر شعبان سنه ١٣٣٨ لا تسمع دعوي لصاحب سند خال من مهر الحكومة و امضاء نائب الحكومة حسب الامر الصادر منها عن ذالك

اقر الحاضر عبد الله بن [illegible] الكهستي العجمي الساكن صحار ان عليه لسالم بن صالح بن راشد [illegible]

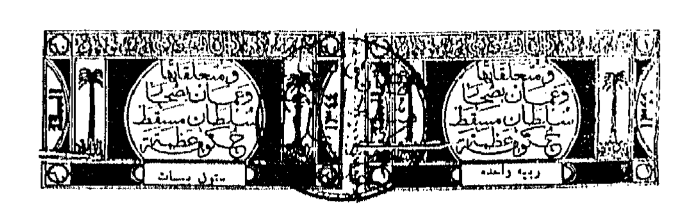
ثمانية قروش فضة افرنسيات [illegible]

كاملاً [illegible] اقراراً [illegible] وذلك باليوم السابع والعشرين من شهر

جمادى الآخر سنة ١٣٤٧ الف وثلاثمائة وسبعة واربعين ٧ هجرية وكتبه الفقير الى الله

علي بن احمد بن محمد [illegible] نيابة عن القاضي بصحار

[illegible]



هذه القصيدة للمرحوم الشيخ ابراهيم بن سالم بن خلفان العبيداني قالها في سنة ١٢٤٧ هجرية مادحاً فيها السيد حمد بن فيصل وذاكراً فيها بلاده آنذاك وذاكراً القرى الشرقية والبلدان من قرية المضيرب الى مدينة صور حال رجوعه من الشميلية:

شوقٌ يحرّكني لكم وغرامُ ... وأنا بكم صبٌّ فكيف أُلامُ
بَعُدَ الحمى وليالِ وصلٍ بالحمى ... مرّت لنا فكأنّها أحلامُ
غادرتموني بالتسليم مسهّداً ... كلّي جوىً من بعدكم وهيامُ
ورحلتمُ يوم الرحيل [illegible] ... عنّي ولكن في الحشى الآلامُ
ومتى تهبُّ ريحُ الصَّبا من نحوكم ... بأريجها قد زالت الأسقامُ
ما لذّةُ الأحباب عند المنحنى ... إلّا لعودي في الهوى إعجامُ
فصلوا ليذروا كيف تبارككم ... والصبرُ أجملُ إنّ للتلفيق حِزامُ
ملكوا فؤادي في الهوى وتحكّموا ... والحلّ في شرع الهوى أحكامُ
إن يثنِ طولُ النوى عن حبّهم ... كلّا ولا ما غالت اللوّامُ
أهلاً بهم قرباً وبعداً إنهم ... في العالمين إليهم الإعظامُ
فالجودُ أحمدُ عندهم مهما دنوا ... نقضوا وفوا أمّوا المزار أقاموا
وهم الأحبابُ الأُلى ذكراهمُ ... أنسٌ لقلبي في الهوى ومدامُ
يا بارقَ الفيحاء هل من نهلةٍ ... لتزول عني علّةٌ وأوامُ
أم هل سقيتَ مرابعاً سحبتْ بها ... ثوبها وحسناً ذيلها الآرامُ
أيامنا غرٌّ بها وليالنا ... بيضٌ عليها تحيّةٌ وسلامُ
يا برقَ ما دار المضيرب وإنما ... عيشٌ كذا حكمت به الأيامُ
بلدٌ تقضّى أهلهُ أهل الوفا ... إلّا بقاياهم بني الصمصامُ
ما شاقني القيصوم من وديانه ... فكأنما تشبه الآرامُ
ولقد أقولُ لكلّ سارٍ في الدجى ... هل أنت مثلي قد شجتك ثمامُ
إن كنتَ أقصيتَ الركائبَ نحوها ... لا راعك التوهيم والإظلامُ
خلِّ الهوامر رتّعاً بقراره ... علفٌ لها منه سنىً وثمامُ
لكن تحمي أهله أهلَ الندى ... فهمُ على مرّ الليالي كرامُ
ومنازلٌ بالخضروين أو أهلها ... فيها شموسٌ ما غزاها قتامُ

أمّا البلدية فهي من قدم بها للأكرمين مفاخرٌ ومقامُ
ما بالنخيل مواقفٌ لمتيّم إمّا على السيفية الأعلامُ
لا أذكر البلد الذي في سوحه قتل الحسين وصبا زفيه نيامُ
وعلى الوديات النسيم مدغدغًا يسري وقد صحبت به الأنسامُ
لله أنت بشناص من بلد سمت منه شرفت أرجاؤها الحكامُ
ما وجدي بالفرفار الفنا ولا وجدي خمير أو عسيبا دما الشامُ
وعلى الطريف طرائفٌ في ربعها ثغر الحباب ضاحكٌ بسامُ
والسور سور بني خزيمة انه مصطاف كل حزين ومقامُ
سقى الخصيبي دارة منك وابلاً وسقى رباك على الدوام غمامُ
وبشطره سور الأكارم منهم في الشابئين الأولين سقامُ
سقى المزاريع البديع كأنه روضٌ زهي وبه يفوح خزامُ
وسور آل محمد نزال العنا وبوادي أم الجنة الأكرامُ
وعلى الزواتي عن أساريرالبها ما زال تحوز حصرة الإقدامُ
وعليك يا نبر السلام ثان في حصبائك القوم الكرام أقاموا
يا أيها الرباع ما أنت التي للقلب فيك مآربٌ ومرامُ
فسقى اللوى وسقى الجباع بالكوى غيث الشؤون ووابلٌ سجامُ
وسقى الخزينة حيث أسار الشرع ما فيها الا باسلٌ وهمامُ
ناران فيها نار حرب للعدى قامت ونارٌ للوفود تقامُ
بالحد كم صاد الثعالب غزيلٌ والحر في غضفان لبس يضامُ
تأتي على الفلج المنيعة فتيةٌ ما فيهم يوم الطعان كهامُ
أضحت مجيسٌ كالعروس بحسنها بحيائها أهل المحبة هاموا
وعلى ربوع الشجر الفيحا المنى لعل الهوى عمق لقلبي لزامُ
يا ملعب العوهي فيك أهلة وعلى السنيني الدوم ال يرامُ
ابآن يا سمة تلطخ جيدها بالزعفران تحبها اليمامُ
والعشبة العليا مقر أكارم فيها غريبٌ ذلك الضرغامُ

يا وادي ميلان يا وادي الظبا … بعيون ريمك ذابلٌ وحسامُ
وعلى شُلوه كم ثنا توه مغرمٌ … إن لم يكن لغرامه كتّامُ
وأفاضل عند الطريف عُباهلٌ … فلهم جنودٌ في الملا وذمامُ
وظبا الخطيرة في الكناس روائعٌ … كظباءِ مكّة صيدهن حرامُ
وإذا الخطيرة خلف ظهرك قد غدت … لاحت لك الأنوار والأعلامُ
داري التي منها جنيتُ جنى المنى … وإذا أحنّ لها فليس أُلامُ
من عهد عادٍ أربعٌ ومساكنٌ … سحبت بها أذيالها الأعوامُ
وطني العزيز فلا أنا مستبدلٌ … وطناً به إذ لا أنا سئّامُ
قف بي على تلك المنازل ربما … يطفي الهوى عند الوقوف سلامُ
فهي التي من دونها شطط النوى … من دونها التلعات والأكامُ
ثم انبرى أعلامها ملك المنى … لم لا وفيها الضيغم المقدامُ
حمد الذي حاز المفاخر والعلى … من شأنه الإكرام والإقدامُ
تاهت به العلياء فخراً وانبرت … بفخاره تتبجّل الأيّامُ
قل للعداة وللعصاة مخبّراً … ماذا الخلاف وقد علاك إمامُ
ألّا يجيء لكل باغٍ معتدٍ … لما تطاول الحلم طال لئامُ
فاعتدّ بالحزم الجلي لموقفٍ … تاهت به الأوهام والأفهامُ
فكأنما قد صيغ من برقٍ سرى … أو صيغ من شهب السما ضرغامُ
لو أطلقاه والبساط معبّأ … أضحى البساط ورا وذا أقدامُ
أسمى المليك كابن داود به … ما فاته عامٌ ولا أعوامُ
ابن الملوك ومن لهم بين الملك … قصب السباق أماجدٌ وفخامُ
إن أسعفوا بالفضل عمّ نوالهم … ولهم إذا اشتدّ الوغى إقدامُ
فهمُ همُ وطاب الثنا بمديحهم … منهم كمت في العلى وهمامُ
لا يدرك الشعراء يوماً مدحهم … ضاقت لكلّ يدٍ ولا تحصى كلامُ
فلطالما صيتهم بكل جميلةٍ … فلهم مبادٍ في الثنا وختامُ

تمت القصيدة

١٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

من بطي بن سليمان الى الشيخ المكرم المحترم سالم بن ضاحي حفظه الله

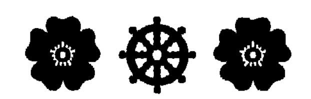
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد نعرفك الواصلين اليك علي بن بطي وسهيل بن سليمان والمراد تخلّص لهما دراهم ساعة تصلون المذكورين وان تقصرون عليهم لا تقلّ واذا اراد غيرهم ايضا خلّصوا لهم فهم العنا دين في ذلك لا تقلّ والسلام

١١ شوال ١٢٥٨

والضمانة واصلة اليك كي تبغى معها لا تقلّ

فهرس الكتاب

م	الموضوع	الصفحة
١	هذا الاصدار	٥
٢	صحار بين التاريخ والاثار	٧
٣	صحار في كتابات الجغرافيين والمؤرخين	١٩
٤	صحار في مواجهة الاحداث	٢٩
٥	صحار ودورها الثقافي	٣٧
	*- المدارس الفكرية والعلمية في عمان	٥٠
	*- أعلام صحار	٥٣
٦	الخصائص الصوتية للهجة صحار	٦٥
٧	الموروث الشعبي تأثيره الاجتماعي والاقتصادي	٨٣
٨	صحار وتراثها البحري	٩٥
	* نظم الابحار والاتصال	١١٤
٩	الاتفاقات - القواعد بين الحكومة والدلاّل	١٢٩



ما ورد في هذا الكتاب لا يمثل بالضرورة
رأي المنتدى الأدبي

رقم الايداع: ٣٦٣/ ٢٠٠٠م



طبع بمطابع مؤسسة عمان
للصحافة والأنباء والنشر والإعلان
ص.ب: ٩٧٤ الرمز الريدي ١١٣ - مسقط
سلطنة عمان
هاتف:٦٩٤٦٢١/٦٩٩٧٨٣/٦٩٩١٧٠